

كنيسة السيدة العذراء
محرم بك - اسكندرية

صور عن

الحياة الاجتماعية اليهودية فى أيام المسيح

بقلم: الفريد ايدرشيم

Sketches of Jewish Social Life In the Days of Christ



كنيسة السيدة العذراء
محرم بك - إسكندرية

صور عن
الحياة الإجتماعية اليهودية
فى أيام المسيح

بقلم
ألفريد إيديرشيم

Sketches of Jewish Social Life
In the Days of Christ

BY

ALFRED EDERSHEIM, D. D., Ph. D.

WM. B EERDMANS pub. comp. Michigan, 1985.

تذكار صعود جسد العذراء
٢٢ أغسطس ٢٠٠٤ م.
١٦ مسرى ١٧٢١ ش.

الفهرس

تقديم

يحمل إلينا الإنجيل بشارة الخلاص، ويسرد قصة وخدمة ربنا يسوع المسيح فى وقت حياته على الأرض، وفداءه الذى أتمه بالصليب، وقيامته من الموت. وحينما نقرأ تلك الأحداث المدونة فى بشائر العهد الجديد، نشتاق أن نتعرف على تلك الحياة التى كان يعيش فيها السيد المسيح، وذلك المجتمع الذى عاصره. وهذا الكتاب هو ملخص الحياة اليهودية فى توضيح العهد الجديد، والمؤلف يصحبنا فى رحلة يطوف بنا البلدان والقرى فى الأرض المقدسة، ويحملنا إلى ذات المجتمع اليهودى آنذاك. وبذلك يلقى الضوء على ذلك الجيل الذى عاش فيه الرب، ويتتبعهم فى حياتهم اليومية وعاداتهم وطبائعهم وعباداتهم. وبذلك تنكشف أمامنا كثير من الصور عن تلك الأحداث، التى حدثت فى ذاك الزمن ونفهم كثيراً من التعبيرات التى ذكرت فى الإنجيل، وينتهى بنا الممؤلف أن السيد المسيح كان ينتمى حقيقة إلى ذلك المجتمع الذى عاش فيه.

أما عن مؤلف الكتاب دكتور ألفريد إيديرشيم، فهو يهودى ولد من أبوين يهوديين فى سنة ١٨٢٥ م فى ڤينا، وتحول إلى المسيحية، وحصل على الدكتوراه فى اللاهوت وفى الفلسفة، وصار أستاذ العهد القديم فى جامعة اكسفورد بانجلترا، وتوفى فى سنة ١٨٨٩ م، وكتب عدة كتب أشهرها كتاب «الهيكل خدمته وخدماته»، وكتابنا هذا «صور عن الحياة الإجتماعية اليهودية فى أيام المسيح».

وحينما نقدم هذا الكتاب، لا ننسى أن نذكر المربى الفاضل المرحوم زكى مسيحه، الذى بذل جهداً كبيراً فى ترجمة هذا الكتاب، وإذ نقدم هذه الترجمة فقد زودنا الكتاب ببعض الصور التوضيحية.

نسأل إلهنا وربنا يسوع المسيح أن يكون الكتاب نافعاً لنفوسنا، وسبب بركة لدارسى الكتاب المقدس، وذخراً فى المكتبة القبطية.

القس

مكسيموس وصفى

مقدمة المؤلف
ألفريد إيديرشيم

عرض هذا الكتاب قريب من هدف كتابى السابق عن الهيكل، خدمته وخدماته، كما كانت فى أيام يسوع المسيح. وفى كليهما أردت أن أنتقل بالقارئ إلى أرض فلسطين، فى أيام ربنا وإلهنا مع تلاميذه، لكى نريه على قدر ما يسمح به مدى كل كتاب، المكان الذى حدثت به الحوادث المدونة، والرجال الذين دارت حولهم هذه الحوادث فى العهد الجديد. لأنى أعتقد أنه بقدر ما ندرك البيئة وما مر فى ذلك الزمان ونتعمق فى أرائه ونألف عوائده وطريق تفكيره وتعاليمه وعبادته لا نقف عند حد فهم كثير من التعبيرات والإشارات فى العهد الجديد بل سوف نحصل على أدلة جديدة على حقيقة تاريخه، ليس فقط بسبب أمانة الصورة التى نقلناها عن المجتمع، ولكن أيضاً بسبب المقابلة بين تعاليمه وأهدافه وبين نظائرها فى أيام سيدنا.

لأنه كلما درسنا هذه الفترة دراسة دقيقة، انطبع على عقولنا، ولنتكلم بمنتهى الإجلال والإكرام، أن يسوع المسيح ينتمى انتماء دقيقاً للزمن الذى أتى فيه، وأن العهد الجديد، أقواله ولغته وإشارته، يصدق صدقاً تاماً مع الفترة والظروف التى صيغت فيها حوادثه. كما يستعلن لنا الإيمان بأنه ليس هناك أدنى تشابه بين سمو المسيح وزمنه فلم يتحدث إنسان بمثل هذا، لا فى تلك الفترة ولا فيما تلاها، ولم يعش إنسان مثلما عاش، أو مات كما مات، وأنه بكل تأكيد، كما كان ابن داود، كان أيضاً ابن الله مخلص العالم.

فى كتابى عن الهيكل خدمته وخدماته، حاولت أن أنقل القارئ معى إلى المقدس، وأجعله يشاهد كل ما يتعلق بأنظمته وكهنته ومقادسه. وفى كتابى هذا حاولت أن أصطحبه إلى المجتمع المدنى العادى، وأن أجعله يختلط بالرجال والنساء ليعلم عوائدهم وطبائعهم وأن يتتبعهم فى حياتهم العادية، توضيحاً لتاريخ العهد الجديد. وسوف أحاول أيضاً أن أعرض المناظر التى نشاهدها فى شكل محبوب مألوف.

ويبقى علينا أن نقوم بدراسة أخرى، وربما تكون أهم دراسة، لما لها من علاقة بالمسيحية، وهى أن نتتبع تقدم الفكر الدينى، فيما يتعلق بتعاليم الكتاب وبالمسيح وبالناموس وبموضوعي الإثم والخلاص، وأن نبين حالة الإيمان بالتعاليم والمبادئ فى زمن سيدنا. وفى هذه المرحلة يجب أن القرابة فى الشكل وكذلك التباين فى المادة يبين ما كانت عليه اليهودية فى زمن المسيح وتعاليمه ومملكة إلهنا الصالح. ولكن يقع ذلك خارج دراسة كتابنا هذا ويتبع لكتاب أكبر، يعتبر كتابى السابق وكتابى هذا تمهيدين له. وعلى ذلك حيث تلاقى المجتمع المدنى مع المجتمع اللاهوتى والعقائدى لم يكن لدىَّ إلا أن ألخصها.

والآن، بكل إجلال وضراعة، أهيء نفسى لأن أقدم صورة لأزمنة إلهنا وسيدنا فى كل علاقاتها، لكى أبين من كان أولئك الذين تحرك يسوع المسيح بينهم، وبم عرفوا وفيم فكروا وبم آمنوا، وليكون ذلك إطاراً على حد قولهم، أضع فيه صورة لحياة إلهنا وسيدنا المبارك نفسه.

وقد بدا من الضرورى أن أقرر هنا ما يأتى لكى أشرح فكرة الكتاب وطريقة معالجته، وأضيف هنا أنه تجسيد لحصيلة عدة سنوات من الدراسة، استفدت فى أثنائها من كل عون فى متناول يدى. ولقد يبدو رياءً وتظاهراً أن أسجل هنا أسماء المصادر التى رجعت إليها، أو الكتب التى قرأتها فى أثناء دراستى، ولا تشمل الكتب التى ذكرتها فى أسفل الصفحات إلا الجزء اليسير منها.

وخلال الكتاب كان غرضى الوحيد الذى حرصت عليه هو أن أوضح تاريخ العهد الجديد وتعليمه. ودليل الكتاب فى نهاية الكتاب سوف يبين كم مرة حاولت ذلك. ويعظم أملى أن تلقى هذه الصفحات الضوء على العهد الجديد، وأن تقدم برهاناً جديداً، أقوى برهان، كما أرى، على صدق الأمور الثابتة عندنا، وإن تكن من اتجاه جديد. والآن يبقى على فى ختام هذه الأبحاث مرة أخرى أنه بإيمانى الكامل الفرح بالحقيقة العظيمة التى تؤدى إليها كل الأشياء وهى «أن المسيح هو غاية الناموس للبر لكل من يؤمن به».

ملخص الحياة اليهودية
فى توضيح العهد الجديد

الفصل الأول
فلسطين منذ ثمانية عشر قرناً

منذ ثمانية عشر قرناً ونصف، وقد صارت الأرض خربة، تطل تلالها الجرداء على أودية أهملت وساء حرثها، وقطعت أخشابها، وتهدمت مصاطبها التى كانت مغطاة بالكروم وأشجار الزيتون، وتفتتت تراباً، وأصابها الفقر والخراب، وافتقدت طرقها الأمن فأمست مهجورة خالية، وكاد يختفى منها سكانها ومعهم الصناعة والثراء والقوة. تلك الأرض التى كانت موطناً للجمال والثراء والحياة التجارية التى لم يفقها شىء فى العالم المعروف آنذاك، وحيث لم يكل المعلمون (الرابيون) أو يملوا من الإشارة بتفوق فلسطين مادياً وأدبياً. وقد ورد فى تعقيب من أقدم التعقيبات اليهودية : حدث أن الرابى يوناثان كان جالساً تحت شجرة تين يحيط به تلاميذه، فلاحظ فجأة أن الفاكهة الناضجة من فوق قد تم تفتحها من فرط ما بها، وكان يتساقط منها عصيرها ورحيقها على الأرض. وكان على بعد قليل منه عنزة قد امتلأ ضرعها، فلم يعد يستطيع احتواء اللبن. فصرخ الرابى وقد رأى المجريين يختلطان: أنظروا التحقيق الحرفى للوعد «أرض تفيض لبناً وعسلاً». ويقول الرابى مائير إن أرض اسرائيل لا ينقصها أى محصول، كما هو مكتوب «لا يعوزك فيها شىء» (تث ٨ : ٩). ولا تحتاج هذه الأقوال إلى دليل أو إثبات، ففى فلسطين كل أنماط المناخ من ثلوج حرمون، ورطوبة لبنان إلى دفء بحر الجليل المنعش، والحرارة المدارية لوادى الأردن. ونتيجة لذلك لم يوجد فى هذه الأرض أشجار الفاكهة والحبوب ومحاصيل الحدائق المعروفة فى المناطق الباردة، وكذلك فى الأجواء المشمسة فحسب، بل أيضاً التوابل النادرة وعطور أشد المناطق حرارة. ويقال أيضاً أن كل أنواع الأسماك تكثر هناك،

بينما كانت الطيور ذات الريش الفخم تملأ الهواء بشدوها وغنائها. فلابد أن هذا الإقليم الصغير المحدود كان إقليماً لا شبيه له فى الجمال والتنوع. فعلى الجانب الشرقى من الأردن امتدت سهول واسعة وأودية مرتفعة وغابات متناثرة وأراضى قمح ومراع تكاد لا تحد، وعلى الجانب الغربى منه تلال ذات مصاطب مدرجة يغطيها الزيتون والكروم وآكام وأدغال لذيذة، وبه ينابيع حلوة تنبثق ذات جمال خيالى، وتجارة مزهرة كما حول بحيرة الجليل. وعن بعد امتد البحر وقد تناثرت عليه السفن بقلاعها المشرعة. هناك كان الترف والثراء كما فى الممتلكات القديمة لأسباط يساكر ومنسى وأفرايم. وهناك فيما وراء السهول والأودية مناظر المرتفعات فى يهوذا تهبط متدرجة خلال مراعى النقب الممتدة أو إقليم الجنوب، حتى تنتهى فى البرية الكبيرة المخيفة وفوق الكل طالما بقيت بركة الله ساد السلام، وكان الخير عاماً. وعلى مدى البصر رعت الماشية على آلاف التلال، وكانت القطعان تكسو المراعى، والأودية أيضاً مغطاه بالقمح، والأرض وقد أغناها نهر الله تكاد تهتف فرحاً وتغنى أيضاً وجدير بهذا الوطن، الذى وهبته السماء من الابتداء وحرسته طيلة التاريخ، أن يشعل أعمق احساس الغيرة والحماسة.

ويكتب أحد أكثر المعلقين الرابيين علماً وثقافة مدعماً ومؤيداً لكل تأكيد باشارة من الأسفار ما نصه ثلاثة عشر شيئاً لا يملكها إلا القدوس وحده تبارك اسمه، وهى كما يأتى: الذهب، الفضة، الكهنوت، إسرائيل، الإبن البكر، المذبح، أوائل الثمار، زيت المسحه، خيمة الاجتماع، ملكية بيت داود، الذبائح، أرض اسرائيل والبكورية. وفى الحقيقة، فضلاً عن أن الأرض جميلة، فإن اتصالها بالبركات الروحية العليا أكسبها قيمتها الحقيقية الأسمى. وعلم الرابى أن مجد الله (الشكينه) لم يظهر نفسه إلا فى فلسطين، ولم يكن إعلان هذا ممكناً خارج حدودها المقدسة. فهناك رأى الأنبياء المختطفون بالروح رؤاهم، وسمع مرنمو المزامير أنغام الترانيم السماوية. وفلسطين هى القطر الذى كانت عاصمته أورشليم، وعلى أعلى تلالها الهيكل من الرخام فى بياض الثلج، والمذبح المقدس من الذهب اللامع، وحوله تجمعت تلك الذكريات الثمينة والآراء المقدسة، والآمال العريضة المجيدة. فما من ديانه فى مكان على وجه التحديد كديانة إسرائيل، فالوثنية كانت ضعيفة بما فيها من عبادة الآلهة القومية أما واليهودية كانت عبادة يهوه إله السماء والأرض ولكن آلهة الوثنيين القومية كان من الممكن نقلها، ومن الممكن تطبيق طقوسها على من لهم العوائد الأجنبية.

وبينما كانت المسيحية من البدء عالمية في طبيعتها ومنهجها عكس ما كانت الأنظمة الدينية والعبادة من الأسفار الخمسة وحتى في الآفاق التى فتحها الأنبياء وذلك لأنها كانت خاصة باسرائيل كانت فلسطينية بحته وخاصة بفلسطين وهذه تتعارض تعارضاً تاماً ولا تتفق أىّ اتفاق مع ضياع الأرض ضياعاً دائماً فاليهودية خارج الأرض بدون كهنوت ومذبح وهيكل وذبائح وعشور وأوائل الثمار والسنة السابعة واليوبيل، يجب عليها أولاً أن تنحى الأسفار الخمسة جانباً وان لم تفعل كما فعلت المسيحية وتعتبرها كبراعم لابد لها أن تتحول إلى ثمار، كنماذج تشير إلى حقائق أسمى وتتحقق فيها خارج إسرائيل، لا يعد الشعب اسرائيل ويصبح فى نظر الأمم هم يهود وفى نظرهم هم أنفسهم الشتات.

ولقد أدرك الرابى (المعلم) كل هذا وعلى ذلك عقب خراب أورشليم على يد تيطس. عندما بدأوا وعندما شرعوا يعيدون بناء الأمة المحطمة لم يقيموا ذلك على أساس جديد بل داخل فلسطين، فكانت فلسطين فى نظرهم جبل سيناء فهنا نشأ ينبوع الخلقة أو ناموس التقليد الذى انساب فى مجار متزايدة فى الاتساع. وهنا القرون الأولى تركز تعليم وسلطان وحكم الأمة اليهودية، وهنا إدعوا أنهم استأنفوها وليبقوها بقاء دائماً ورفضت المحاولات الأولى التى قامت بها المدارس البابلية للتعليم اليهودى وأخمدت اخماداً شديداً، وإنما وطأة الظروف وحدها هى التى حملت الرابيين (المعلمين) بعد ذلك بارادتهم أن يطلبوا الأمان والحرية فى أماكن سبيهم القديمة حيث أمكنهم أن يطوروا نظامهم إلى الشكل النهائى بعيداً عن المضايقات السياسية. ولقد أوحت الرغبة فى المحافظة على الأمة وتعليمها بالمشاعر التى سوف نوردها : ان هواء فلسطين نفسه يجعل الانسان حكيماً، وما قيل فى الكتاب عن أن الجنة حدودها يرويها نهر الحويلة الذى قيل عنه أن ذهب تلك الأرض جيد واستعملوه فى الكلام على جنتهم الأرضية، وفسروه على أنه ليس هناك تعليم كتعليم فلسطين ويقولون أيضاً الحياة فى فلسطين معادل لحفظ الوصايا، وكانوا يعلمون فى التلمود ان الذى يقيم إقامة دائمة فى فلسطين يضمن لنفسه الحياة الأبدية ونقرأ لأحد الثقات ثلاثة أشياء وهى ميراث اسرائيل بسبب آلامها وهى: فلسطين، والتقليد، والعالم الآتى، ولم تخمد أو تضعف هذه المشاعر مع خراب الأرض، فلقد ظلوا يعلّمون فى القرن الثالث والرابع من عصرنا أن من يسكن فى فلسطين هو بغير إثم.

ولم تنتزع قرون الاغتراب والتغير محبة الأرض من قلوب الشعب، حتى الخرافة والاذلال الشائع، كان مثيراً للإنفعال والألم، فلقد نادى التلمود بالمبدأ القائل بأن من يدفن فى أرض اسرائيل يكون كمن دفن تحت الهيكل، ويزيد على ذلك أحد قدامى المعلقين العبرانيين، ومن وصية كل من يعقوب ويوسف ومن رغبة الآباء فى أن يدفنوا فى التربة المقدسة، قيل أن الذين رقدوا هناك قدر لهم أن يكونوا أوائل الذين يسلكون قدام الله فى أرض الأحياء (مز ١١٦ : ٩)، وأوائل من يقومون من الأموات ليتنعموا بأيام المسيح. ولكيلا يحرم الصديقون الأتقياء الذين لم يسعدوا بسكنى فلسطين من جزائهم، قيل إن الله سوف يقيم طرقاً وممرات فى جوف الأرض تنتهى بالأرض المقدسة وأنه عندما يصل ترابهم إلى الأرض المقدسة يقيمهم روح الرب إلى حياة جديدة كما كتب حزقيال «ها أنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبى وأتى بكم إلى أرض اسرائيل وأجعل روحى فيكم فتحيون وأجعلكم فى أرضكم، فتعلمون أنى أنا الرب تكلمت وأفعل يقول الرب» (حز ٢٧ : ١٢ - ١٤) ويفوح أريج وشذى وعطر محبة فلسطين فى كل صلاة وترنيمة وحقيقة، ومهما بلغ عدد الاقتباسات للاستشهاد بها فمن المستحيل أن ننقل فرق واسمى المراثى التى لازالت المجامع ترثى بها فقدان صهيون، أو أن نعبر عن اشتياقهم الشديد لاستعادتها، وان تكن خربة يتعلقون بخرائبها ويؤمنون ويرجون ويتضرعون، وبالضراعة والغيرة، أن يأتى ذلك الوقت الذى سوف تسترد فيه الأرض بأمر الله شبابها وجمالها واثمارها كما أعاد لسارة تنعمها، والذى فيه يرتفع فى المسيح الملك قرن خلاص بيت داود.

ولكن يصدق القول ، كما لاحظ كاتب حديث، بأنه ليس هناك مكان اكتسحت فيه اثاره اكتساحاً كفلسطين، فنحن فى جهل مطلق عن مواقع كل خطوة كان يمكن أن تعتبر مقدسة، وكل صخرة وكهف وقمة تل جديرة أن يكرس لها كل ذكرى، ففى أورشليم ذاتها تغير كل شىء حتى مظاهر التربة، الأودية، المنخفضات، التلال أو ما دفنت إلى أعماق كبيرة تحت أنقاض القرون. ويبدو أن الله قصد بالأرض ما فعل حزقيا بالأثر الذى تركه موسى أى الحية النحاسية عندما كسرها قطعاً لئلا تحولها ذكرياتها المقدسة إلى فرصة لعبادة الأوثان، فوضع الأرض والبحر والجبال والوادى كما هو مدون وبيت لحم وجبل الزيتون والناصرة وبحيرة جينسارت وأرض الجليل، لازالت حيث كانت ولكن الكل تغير فى الشكل والمظهر. ولكن ليس

هناك نقطة واحدة يمكن أن ننسب إليها أقدس حادثة وقدمت أرض اسرائيل حقائق روحية لا بيئاتها الخارجية وقدمت الحوادث ولم تقدم أماكن حدوثها.

ورد في التلمود البابلي، طالما سكنت اسرائيل فى فلسطين كانت فلسطين واسعة ولكنها الآن ضاقت. والأدلة التاريخية على صدق هذه العبارة التى صيغت هذه الصياغة الحقيقية، لا يمكن حصرها فلقد ترك كل تغيير من التغييرات المتعاقبة حدود الأرض المقدسة أضيق مما كانت.

وإلى الآن لم تصل الأرض المقدسة فعلاً إلى المدى الذى يدل عليه الوعد الأصلى لإبراهيم (تك ١٥ : ١٨) والذى تثبتَّ لبنى اسرائيل (خر ٢٣ : ٣١) وأقرب تحقيق له كان فى أيام داود الملك، حينما امتدت قوة يهوذا إلى نهر الفرات (٢ صم ٨ : ٣ - ١٤). وفى الوقت الحاضر فلسطين أصغر مما كانت عليه فى أى وقت مضى وكما فى القدم، من دان (شمالاً) إلى بئر سبع (جنوباً)، ومن الشرق إلى الغرب من سلكاه (وتسمى الآن سلخد) إلى البحر الكبير البحر المتوسط ومساحتها حوالى ١٢٠٠٠ ك.م٢ ويبلغ طولها بين ١٤٠ - ١٨٠ ميل ويبلغ عرضها فى الجنوب حوالى ٧٥ ميل وعرضها فى الشمال فيما بين ١٠٠ و١٢٠ ميل. أى أن فلسطين الحديثة تبلغ مساحتها ضعف ويلز وأصغر من هولندا وتساوى بلجيكا فى حجمها وزد على ذلك يمكننا أن نرى كل القطر تقريباً من أعلى قمة .فما أصغر الأرض التى اختارها السيد المسيح ميداناً لأغرب الحوادث التى حدثت على الأرض، والتى منها رأى أن يفيض النور والحياة إلى كل العالم.

عندما وطأ مخلصنا المبارك تربة فلسطين تغيرت تغييرات كثيرة، فزال التقسيم القديم إلى أسباط. ولم توجد بعد مملكتا يهوذا واسرائيل، وقد قضت عليها أيضاً السيادة الأجنبية المختلفة، كما انتهت فترة الاستقلال القومى القصيرة. ولكن بذاك التمسك بالماضى والتعلق به الذى يميز الشرق، التصقت أسماء الأسباط ببعض الأقاليم التى سبقت أن احتلتها (مت ٤ : ١٣ - ١٥). وكان عدد صغير من المسبيين قد عاد إلى فلسطين مع عزرا ونحميا وتكون السكان اليهود فى القطر إما من أولئك الذين تُركوا أصلاً فى الأرض، أو من سبطى يهوذا وبنيامين وحتى فى وقت السيد ثار الجدل حول العشرة أسباط الذى لا يزال يشغل تفكيرنا فى أيامنا وعجز

اليهود عن سبر عمق معنى نبوءة المسيح عن انتقاله لأنه استعمل لغة سرية غامضة تعودنا أن نخفى فيها أشياء ندعى أن نعرفها ولكننا حقيقة لا نعرفها، سأله اليهود أن يذهب إلى الشتات فى الأمم. ويكتب يوسيفوس بكل ما فيه من طنطنة واعتداد بالنفس، العشر الأسباط هناك فيما وراء الفرات حتى الآن وهم جمهور كبير ولا يمكن تقدير عددهم. ولكنه لا يخبرنا بأكثر ما يخبرنا به معاصروه الآخرون. ونقرأ فى أقدم مصدر يهودى (المشناه) العشر الأسباط لن تعود ثانية، لأن الله قذف بهم فى أرض أخرى كهذا اليوم،وكما يذهب هذا اليوم ولا يعود ثانية فهم أيضاً يذهبون ولا يعودون. وهذا هو رأى الرابى اكيبا. أما الرابى اليسار فيقول: كما أن اليوم يصير ظلاماً ثم ينير ثانية هكذا العشر أسباط الذين أدركتهم الظلمة سيعاد إليهم النور.

وفى وقت ميلاد المسيح حكم فلسطين هيرودس العظيم، أى أنه كانت اسمياً مملكة مستقلة ولكن تحت السيطرة الرومانية وعند موت هيرودس، أى عند افتتاح قصة الانجيل حدث تقسيم جديد، وان يكن مؤقتاً لممتلكاته وتوضح الحوادث المتعلقة به بمثل سيدنا (لو ١٩ : ١٢ - ١٥و٢٧). وإن لم تكن هذه الحوادث تكون القاعدة التاريخية لهذا المثل كانت لا تزال حية فى أذهان سامعى المسيح؛ بحيث تحولت أذهانهم إليه تلقائياً. ولقد مات هيرودس كما عاش قاسياً غادراً، وكان قبل موته بأيام قد غيَّر وصيته مرة أخرى وعيَّن أرخيلاوس خليفة له على الملك، كما عيَّن هيرودس انتيباس الذى عاصر الانجيل رئيس ربع على الجليل وبيريه، وعيَّن فيلبس رئيس ربع على الجولان وتراكونيتس وباتانيا وبانياس، وهى أقاليم سوف نشير إليها فيما يلى (وبقدر ما سمحت الظروف) بعد موت هيرودس. ولما أخمد ثورة فى أورشليم أسرع إلى روما ليحصل على موافقة الامبراطور على الوصية وتبعه أخوه هيرودس أنتيباس وكان أبوه هيرودس فى وصية سابقة قد تركه فيما ترك ارخيلاوس. ولم يكونا وحدهما فى روما فوجدا هناك أعضاء كثيرين من أسرة هيرودس كل يطالب بشىء ولكن يجمع الكل على ألا يكون أحد من أقربائهم ملكاً وبأن يوضع القطر تحت السلطة الرومانية. وان لم يكن ذلك كذلك فهم يفضلون هيرودس انتيباس على ارخيلاوس. وكان لكل من الأخوين حزبه يتناور ويناور ويحاول التأثير على الامبراطور وكان أوغسطس يميل من البداءة إلى ارخيلاوس، ولكنه تعطل بعض الوقت بسبب ثورة جديدة فى اليهودية لم تخمد إلا بالشدة. وفى أثناء ذلك ظهر فى روما وفد يلتمس عدم تعيين أحداً من



قصر هيرودس



هيروديوم ـ شرق بيت لحم

قبر هيرودس



هيكل الإله (بان) فى قيصرية فيلبس

سأل يسوع تلاميذه في هذه المدينة التي إزدحمت بالهياكل الوثنية عن نفسه، وشهد له بطرس : «أنت المسيح بن الله الحي» (مت ١٦ : ١٣ - ٢٠).

أسرة هيرودس بسبب أعمالهم الشائنة التى ذكروها، ولكى يعيشوا كما تسمح به الشريعة تحت اشراف روما فقرر أوغسطس أن ينفذ وصية هيرودس الكبير وأعطاه لقب رئيس شعب بدل ملك، ووعده باللقب الأعلى لو أثبت جدارته له، وعندما عاد ارخيلاوس إلى اليهودية ثأر لنفسه ثأراً دامياً (كما ورد فى المثل) على رعيته الذين كرهوه وأرسلوا سفارة وراءه قائلين : لا نريد أن هذا يملك علينا. ولم يدم حكم ارخيلاوس طويلاً ووردت شكاوى أخرى من اليهودية، فعزل ارخيلاوس وضمت اليهودية إلى ولاية سوريا ولكن بوالى آخر، وبلغ دخل ارخيلاوس طيلة حكمه ٢٤٠٠٠٠ جنيه سنوياً. ودخلا أخويه على التوالى ثلث وسدس هذا المبلغ، ولكن لم يكن هذا شيئاً يذكر بالمقارنة بدخل هيرودس الكبير الذى بلغ ٦٨٠٠٠٠ جنيه، أو دخل اغريباس الثانى فيما بعد ويقدر بنصف مليون. وعندما نفكر فى هذه الأرقام يجب علينا أن نتذكر رخص الحياة فى فلسطين فى ذلك الوقت (يمكن فهم ذلك من صغر العملات المتداولة واتخفاض سوق العملة فأصغر عمله يهودية البيروتا (لم يبلغ قيمتها ١/١٦ من البنس). وكذلك يذكر قراء العهد الجديد أن فاعلا فى الحقل أو الكرم كان يحصل على دينار مقابل عمل يوم (مت ٢٢ : ٢)، وهو ما يعادل (٨ بنس). بينما السامرى الصالح دفع نفقات المريض الذى تركه فى المنزل دينارين ويعادلان شلنا وأربع بنسات.

ولكننا بعدنا كثيراً عن هدفنا فهدفنا الأساسى هو أن نشرح تقسيم فلسطين فى زمن سيدنا. ومن الناحية السياسية كانت تتركب من اليهودية والسامرة يحكمها ولاة رومانيون. والجليل وبيريه على الجانب الآخر من الأردن وكانت خاضعة لهيرودس انتيباس، قاتل يوحنا المعمدان ذلك الثعلب الماكر القاسى الذى لم يجبه السيد بشىء عندما أرسله إليه بيلاطس. أما باتانيا وتراكونيتس وأورانيتس، فكانت تحت حكم فيلبس رئيس الربع. ويعوزنا كثير من التفصيل لنصف الولايات الأخيرة وصفاً دقيقاً ولكن يكفى أن نقول أنها تقع فى الشمال الشرقى، وأن المدينة الأساسية هى قيصرية فيلبس (سميت باسم الامبراطور وباسم هيرودس) حيث فيها اعترف بطرس ذلك الاعتراف الحسن الذى أقام الصخرة التى قدر أن تبنى عليها الكنيسة (مت ١٦ : ١٦، مر ٧ : ٢٩) وكان فيلبس هذا من أحسن أولاد هيرودس وزوجته هى التى أغراها أخو زوجها أن تطلق زوجها والتى من أجلها فصل رأس يوحنا (متى ١٦ : ٣،

مر ٦ : ١٧، لو ٣ : ١٩). وجدير بنا أن نعرف أن هذه الزيجة الدنسة غير الشرعية كلفته مملكته وألقت به فى نفى طويل.

كان هذا هو تقسيم فلسطين السياسى وكانت ترتب عادة إلى : الجليل السامرة واليهودية وبيريه. ونحن فى غير حاجة أن نقول أن اليهود لم يكونوا يعترفون أن السامرة جزء من الأرض المقدسة، ولكن كسلخة من أرض أجنبية كما يسميها التلمود سلخة Cuthite لسان متداخل بين الجليل ويهوذا، ومن الأناجيل نعرف أن السامريين لم يعدوا مع الأمم والأغراب فحسب؛ بل إن كلمة سامرى كانت تطلق للتعيير والسباب (يو ٨ : ٢٨). ويقول ابن سيراخ (١ : ٢٥، ٢٦) هناك شعبان يكرهما قلبى وثالث ليس شعباً ذلك الذى يجلس على جبل السامره والذين يسكنون بين الفلسطينيين والشعب السفيه الذى يسكن فى شكيم. ويروى يوسيفوس قصة تعلل استبعاد السامريين من الهيكل، وهى أنه حدث فى ليلة الفصح عندما اعتادوا أن يفتحوا أبواب الهيكل فى منتصف الليل أتى سامرى ونثر عظاماً فى الأروقة وفى الهيكل ليدنس البيت المقدس، ولو أن هذه القصة تبدو أنها بعيدة الحدوث فهى تبين شعور الشعب. ومن الناحية الأخرى يجب أن نصرح هنا أن السامريين قابلوا ذلك ببغض مر واحتقار، لأنه فى كل فترة من فترات المحنة القومية، لم يكن لليهود عدو ألد وأشد صداماً وعناداً وبغضاً ممن يدعون أنهم يمثلون آمال اسرائيل وعبادتها.

الفصل الثانى
اليهود والأمم فى الأرض

عند نزولنا من سوريا يكون صعباً أن نحدد أين تبدأ الأرض، هكذا كان يؤمن الرابى، فخطوط الحدود مع أنها موجودة فى أربع مستندات مختلفة، ليست واضحة بأى شيء يشبه نظاماً جغرافياً. بل كثيرا ما نشب بسببها نقاش لاهوتى يرتبط بها. لأنه فى نظر الرابى فإن الحدود الدقيقة لفلسطين تهم بقدر ما تؤثر على التزامات الاقليم وامتيازاته، ومن هذه الوجهة كان لموقع مدينة داخل نطاق الالحاد تأثير نافذ وحاسم، لذلك أحياء عسقلون وسور قيصرية وسور عكا، كانت تعتبر داخل حدود اسرائيل، ولو أن المدن نفسها لم تكن كذلك. وفى الواقع إذا نظرنا إلى المشكلة من هذه الناحية لم تكن فلسطين فى نظر هؤلاء المعلمين (الرابيين) سوى الأرض. وكل الأقطار الأخرى كانت تسمى خارج الأرض. وفى التلمود Talmud الاسم (الأرض المقدسة) الشائع أخيراً بين اليهود والمسيح لم يرد في أقواله ولا مرة واحدة، إذ لم يكن فى حاجة إلى هذه الصفة التى قد توحى بمقارنة مع الأقطار الأخرى، لأنه فى نظر طائفة المعلمين والذين يتبعون تعاليمهم، لم تكن فلسطين مقدسة فحسب، بل هى الأرض المقدسة الوحيدة، باستثناء كل الأقطار مع أنه كان لها داخل حدودها مقياس متصاعد من عشرة مستويات من القداسة يرتفع من أرض اسرائيل الجرداء إلى أقدس مكان فى الهيكل. ولكن خارج الأرض لم يكن هناك إلا الظلم والموت فلو أن تراباً وثنياً لمس تقدمة وجب حرقها فوراً زد على ذلك لو أنه لسوء الحظ جلب تراب وثنى إلى فلسطين فأنه لا يختلط ولا يمكن أن يختلط بتراب الأرض بل يبقى إلى الأبد على حاله غير طاهر وينجس أى شيء التصق به، وهذا يلقى ضوء على المعنى الذى يتضمنه الأوامر الرمزية التى أمر بها سيدنا تلاميذه (مت ١٠ : ١٤)، عندما أرسلهم ليضعوا حدود اسرائيل الحقيقى ملكوت السموات قد اقتربت. كل من لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فعندما تخرجون من ذلك المنزل أو من تلك المدينة انفضوا غبار أرجلكم، وبعبارة أخرى لم يكن عليهم أن يكتفوا بترك هذه المدينة، بل كان عليهم

أن يعتبروها ويعاملونها كما يعتبرون الوثنيين ويعاملونهم كما فى الحالة المشابهة التى ذكرت فى (متى ١٨ : ١٧). ويجب أن يتجنب الانسان أى تلامس به وأن ينفض عنه أقل أثر له ويجب الحرص على ذلك وحفظه. ولو أنها كانت محاطة من كل جانب بما يمكن اعتباره تابعا لإسرائيل كما هو الحال مع بعض مدن اسرائيل التى كانت تعتبر وثنية.

المشناه Mishnah فى اشارتها إلى بعض الطقوس تبين ثلاث أراض يمكن أن تسمى فلسطين، ولكن يطبق عليها تنظيمات طقسية مختلفة. وتشمل الأولى كل تلك التى امتلكها كل الذين أتوا من بابل فى أرض اسرائيل إلى كزيب، على سفر ثلاث ساعات شمال عكا، الثانية كل التى امتلكها من أتوا من مصر وهى من كزيب إلى النهر (الفرات) شرقاً والى أمانا (يظن أنه جبل قرب انطاكيا فى سوريا) بينما الثالثة ويبدون أنها تدل على حدود مثالية من المحتمل أن يكون قصد بها أن تحدد ما قصد أن تكون الأرض حسب وعد الله الأساسى. ولو أن اسرائيل لم تمتد إلى هذا الاتساع. وتمشياً مع غرض هذا الكتاب لا يجب أن نطبق كلمة الأرض الا التعريف الأول ففى الميناشوت Menachoth تقرأ ما يأتى: كل تقدمة سواء من الجماعة كلها أو من فرد بمفرده (عامة أو خاصة) تأتى من الأرض أو من خارج الأرض سواء من المحصول الجديد (محصول السنة) أو المحصول القديم ما عدا الأومر (أو حزمة الترديد فى الفصح) والرغيفان (فى الخمسين) اللذان يقدمان من محصول جديد (السنة الجارية)، ومن محصول الأرض، (ناتجها). والى هذه تضيف المشناه فى قطعة أخرى وأيضاً البكوريم أى أوائل الفاكهة الطازجة، ولو أنها غير دقيقة لأن الأخيرة كانت تقدم أيضاً مما يسميه هؤلاء المعلمون (الرابيون) سوريا التى كانت تعتبر متوسطة على حدود ما بين الأرض وبين خارج الأرض، ولم تشمل سوريا على سوريا اليوم، بل كل الأرض التى استولى عليها داود مثل ميزوبتاميا وسوريا وصوبه واكلاب.... الخ. ويطول بنا الوقت لو شرحنا بالتفصيل الطقوس المختلفة التى اشتركت فيها سوريا مع فلسطين، وتلك التى انفردت بها. وان زيادة وزن الواجبات عن الامتيازات كان بالتأكيد فى صالح سوريا بحيث اذا استطاع أحد أن يخطو من أرضها مباشرة إلى أرض فلسطين، أو وصَّل حقولاً فى القطرين دون تداخل أى قطعة من الأمم يعتبر أرض وتراب سوريا طاهراً كتراب وأرض فلسطين، ولذا كان حول الأرض نوع من

النطاق الداخلى يحتوى على الممالك التى يقال أن الملك داود ضمها والمسماه سوريا. ولكن زيادة على ذلك كان هناك ما يمكن أن يسمى نطاقاً خارجياً، ناحية عالم الأمم، يحتوى على مصر، وبابل، وعمون، ومؤاب، وحتى الأقطار التى تهتم بها اسرائيل اهتماماً خاصاً، والتى كانت تمتاز عن سائر الأراضى (التى هى خارج الأرض)، بأنها قابلة للعشور والثيروموت Therumoth أو أوائل الفواكه فى حالة مجهزة، وبالطبع لم يأتوا بهذه التبرعات إلى فلسطين عملياً ولكنهم استخدموها للأغراض المقدسة أو افتديت.

ويرتب مايمونيديس Maimonides الأقطار إلى ثلاثة أنواع، فيما يختص بالآراء المتعلقة بالتربة، الأرض، وسوريا، وخارج الأرض ويقسم أرض اسرائيل إلى أرض امتلكوها قبل أو بعد السبى، بينما يميز بين مصر وبابل ومواب وآمون وأراض أخرى. وفى التقدير العام كانت هناك فروق أخرى، فالرابى (المعلم) يرى أن البكوريم (أوائل الفاكهة) لا يجب أن تأتى من الجانب الآخر من الأردن، لأنها لم تكن أرضاً تفيض لبناً وعسلاً. ولكن كانت شريعة المؤمنين بتعاليم المعلمين (الرابيين) اختلفت مع رأى الرابى (المعلم) چوزى، فلابد أن رأيه كان اجتهاداً يقصد به تعليل عدم احضار سكان ما وراء النهر أوائل فاكهتهم إلى الهيكل وفرق (امتياز) آخر يذكرنا بدرجة غريبة بمخاوف السبطين والغضب عند عودتهم إلى وطنهم بعد غزو فلسطين على يد يشوع (يش ٢٢ : ٢٤،٢٥)، لأنها أعلنت أن الأرض شرق الأردن أقل قداسة بسبب عدم وجود الهيكل التى لم تكن مستحقة له. وأخيراً ادعت يهوذا تفوقها على الجليل لأنها مركز التعاليم التى وضعها الرابى (المعلم). ربما كان من الجيد أن نقرر هنا أنه رغماً عن الوحدة التامة فى النظم الأساسية، كان لكل من اليهودية والجليل عوائدها التامة وحقوقها التى اختلفت فى خصائص كثيرة فى الواحدة عن الأخرى.

ما شرحناه من كتابات أولئك الأساتذة الثقاه فى الشريعة واللاهوت (الرابى)، تكتسب أهمية جديدة عندما تبين علاقتها بدراسة العهد الجديد، لأننا نستطيع أن نفهم الآن كيف فضل الغيورون من أورشليم الذين تمنوا أن يلووا عنق الكنيسة تحت نير الناموس، كيف فضلوا المجتمعات المزدهرة فى سوريا قاعدة لعملياتهم (أع ١٥ : ١) فكان فى هذا أهمية خاصة لأن سوريا كانت تعتبر فلسطين الخارجية، وتكون موقعاً متوسطاً بينها وبين الأراضى الوثنية ثم يتضح من أبحاثنا أن أساتذة الشريعة

والطقوس هؤلاء (الرابي) كانوا يعتقدون أن أرض اسرائيل ذاتها يمكن أن تعتبر كأنها تبتدئ مباشرة من جنوب أنطاكيا، ولذلك كانت المدينة التي تكونت فيها أول كنيسة للأمم، (أع ١١ : ٢٠ ، ٢١) ،والتي تسمى فيها أولاً مسيحيين (أع ١١ : ٢٦)، والتي قام فيها بولس بخدمته مدة طويلة، ومنها بدأ رحلاته التبشيرية، كانت هذه المدينة خارج أرض اسرائيل. ولهذا معناه، فلقد كانت وراءها مباشرة القطر الذى ادعى هؤلاء الأساتذة أن لهم فيه كامل القوة والسلطة، لأنه بالسفر جنوباً نصل إلى الاقليم الذى يعرف فى الانجيل شواطىء صور وصيدا، ويصور القديس مرقس الاقليم خاصة حدود (صور وصيدا) (مر ٧ : ٢٤) وامتدت هذه فى أيام سيدنا كما ورد فى يوسيفوس من البحر الأبيض إلى الأردن، وهذه هى المنطقة التى تقع فى أقصى حدود (الأرض) التى ذهب إليها يسوع بعداً عن الفريسيين عندما أغضبتهم معارضته لتقاليدهم «العمياء» (تمسكهم الأعمى بالتقليد). وهناك شفى بقوة كلمته ابنة المرأة الكنعانية التى انتزع قوة إيمانها من شفتيه ذلك المدح الثمين (مت ١٥ : ٢٨ ، مر ٧ : ٢٩). وفى أرض وثنية، تفوه المخلص بكلمة الشفاء، وفى هذه الأرض أبت المرأة أن تترك المسيح يذهب بدون أن يجيبها وهى نفسها كانت أممية ولم ينفرد هذا الاقليم بهذه الصفات وحده بل كان هناك أبعد منه أراضى فيلبس وكانت كلها وثنية، أزيد من ذلك. وان بدا غريباً حول كل الأقاليم التى سكنها اليهود كان يحف بها قوميات أجنبية وعبادة وثنية وطقوس وعادات وثنية.

ولكى نفهم تاريخ هذا الزمن والظروف المشار إليها فى العهد الجديد فهماً صحيحاً، يجب أن نحصل على نظرة صحيحة. وهنا يجب أن نحرص على ألا نقع فى خطأ طبيعى إذا انتظر أحد أن يجد داخل حدود الأرض نفسها قومية واحدة أو لغة واحدة أو مصالح واحدة أو حتى ديناً واحداً اعترف به علناً. لابد أنه كان يصاب بخيبة أمل ولم تكن المسألة هى وجود الرومان واتباعهم أو وجود عدد من المستوطنين الأجانب ذوى النفوذ القوى. ولكن الأرض المقدسة ذاتها كانت قطراً متعدد الجنسيات المتعادية ذات المصالح المنقسمة، حيث قامت معابد وثنية وسادت طقوس وعادات وثنية جنباً إلى جنب مع الروح الفريسية الضيقة المتزمتة، وسوف يفهم هذا بسرعة بطريقة عامة. لأن الذين عادوا من بابل كانوا قليلى العدد ويجب أن نعترف انهم لم يحتلوا كل الأرض، وفى أثناء فترة الاضطراب التى أتت بعد ذلك تدفق

الوثنيون تدفقاً مستمراً، وقام الكثيرون بمحاولات لا تنقطع لإدخال ونشر عناصر أجنبية وحتى لغة اسرائيل تغيرت تماماً. وبمرور الزمن حل محل اللغة العبرانية القديمة اللهجة الارامية باستثناء العبادة العامة وفى الأكاديميات وبين الأساتذة اللاهوتيين، فمثلا الكلمات والأسماء والاقتباسات التالية مثل :رقا، وآبا وجلجثا، وجباثا، وحقل دما. وبرتلماوس، وبارباس، وبار يشوع كلها ارامية. ومن المحتمل أن بولس خاطب الجمهور الغاضب بهذه اللغة وهو واقف على قمة الدرجات التى تفصل بين الهيكل وحصن انطونيا (أع ٢١ : ٤٠ - ٢٢). ولكن جنباً إلى جنب مع اللغة العبرية الآرامية،كانت اللغة اليونانية قد انتشرت بين الشعب لمدة من قبل، لا بل أن المشناه نفسها تشمل عدداً كبيراً من الكلمات الاغريقية واللاتينية بنهايات عبرية. مما يبين إلى أى مدى أثرت حياة الأمم وعاداتها فى أولئك الذين كرهوهم أكثر كراهية، وإلى أى حد توغلوا فى المجتمع اليهودى عامة. هذا إلى جانب أنه كانت سياسة الحكام منذ مدة طويلة نشر الفكر والميول الأغريقية. وكان عناد وتصميم الروح الفريسية بل وتعصبها لازمة لإيقاف هذا النجاح، ولعل هذا يفسر لنا ولو جزئياً تطرف عدائهم لكل ما هو أممى. وملحوظة قصيرة على الحالة الدينية فى الأقاليم المحيطة للقطر قد تلقى ضوءً على الموضوع.

فى الشمال الشرقى من الأرض كانت جزءاً من ممتلكات سبط منسى وكانت ولاية تابعة لفيلبس رئيس الربع (لو ٣ : ١)، وبعض الأماكن هناك (مر ٨ : ٢٢، لو ٩ : ١٠، مت ١٦ : ١٣) عزيزة على المسيحيين. وبعد السبى عمرت هذه الأقاليم بقبائل رحل تعيش على السلب والنهب كالبدو فى أيامنا، وعاشوا خاصة فى كهوف واسعة حيث كانوا يخزنون مؤنهم وفى حالة الهجوم كانوا يدافعون عن أنفسهم وقطعانهم، ولقد أخضع هؤلاء هيرودس الكبير وخلفاءه وشجعوا اليهود والأدوميين أن يستوطنوا هناك وكذا اليهود من بابل بقيادة راماديس، وشجعهم على ذلك اعفاؤهم من الضرائب. و(لقد اتبعت نفس الطريق فى اقامة مستوطنات المانية حديثة فى الروسيا) ولكن الغالبية العظمى من الشعب كانت لا تزال سوريين واغريق خشنين برابره وثنيين وفى الحقيقة عبادة الآلهة السورية القديمة لم تستسلم لطقوس الاغريق المهذبه وفى هذا المكان اعترف بطرس الاعتراف الحسن النبيل الذى كان على الصخرة تبنى الكنيسة. وكانت قيصرية فيلبس أصلاً تسمى بانياس، المدينة المخصصة

للإله بان، ولا يدل تغيير اسمها على ميل السكان إلى الروح اليهودية. وفى الحقيقة بنى هيرودس معبداً لأوغسطس، ولا ضرورة للمزيد من هذه المعلومات لأن أعمال التنقيب قد كشفت عن أثار لعبادة عشتاروت آلهة الفينيقيين، وعن الإله الشمس إله سوريا القديم، وحتى إله المصريين آمون، جنباً إلى جنب مع الآلهات الاغريقيات. ويمكن أن يقال ذلك على دمشق المهذبة المثقفة الأرض التى كونت أقصى حدود فلسطين. وإذا انتقلنا من الحدود الشرقية إلى الحدود الغربية لفلسطين، نجد أن فى صور وبتولومايس، طقوس فريجيا ومصر وفينيقيا، كانت تتنازع على السيادة، وفى وسط فلسطين رغم ادعاء السامريين أنهم الممثلون الحقيقيون لديانة موسى، ترينا تسمية العاصمة باسم سبسطه، بدل السامرة إلى أى حد تم صبغ المدينة بالصبغة الاغريقية (تمت غرنقتها)، وبنى هيرودس أيضاً فى السامرة معبداً لأوغسطس، ولا شك أنه كما سادت اللغة الاغريقية سادت أيضاً الطقوس والعبادات الاغريقية. أما الاقليم الخارجى ديكابوليس (مت ٤ : ٢٠، ٧ : ٣١) فكاد يكون اغريقياً تماماً فى تكوينه، ولغته، وعباداته، وكان فى الواقع إتحاد مدن وثنية داخل أرض اسرائيل وله حكومته الخاصة. ولا نعرف إلا القليل عن طبيعته.

وفى الحقيقة لا يتفق الكتّاب على المدن ذاتها. ويذكر هنا المدن التى لها أهمية لقراء العهد الجديد فكانت مدينة سكيثوبوليس وهى مدينة بيت شان (يو ١٧ : ١١ – ١٦، قضاة ١ : ٢٧، ١ صم ٣١ : ١٠، ١٢) هى المدينة الوحيدة الواقعة غرب الأردن على مسيرة أربع ساعات جنوب طبريه ونعرف أيضاً جدرا عاصمة بيريه (متى ٨ : ٢٨، مر ٥ : ١، لو ٨ : ٢٦). وأخيراً نذكر بلا pella التى اكتسبت أهميتها الخاصة من أنها كانت المكان الذى هرب اليه المسيحيون من أورشليم اطاعة لتحذير السيد (متى ٢٤ : ١٥ – ٢٠)، ليهربوا من خراب المدينة التى حاربها الرومان ولم نتحقق بعد من موقع مدينة بلا ومن المحتمل أنها كانت تقع بالقرب من يابيش جلعاد القديمة.

ولكن لنعد إلى الموضوع الأصلى فمهما سبق وقلنا، يتضح أنه لم يبق إلا الجليل واليهودية التى نجد فيها الاراء والعوائد اليهودية. وسوف نصف بكل عناية التفصيل، ويكفى الآن أن نلاحظ أن شمال شرق الجليل أى الجليل الأعلى كان يسكن الجزء الأكبر منها الأمم ـ الفينيقيون، والسوريون، والاغريق، ومن هذا سميت جليل الأمم

(متى ٤ : ١٥) . ومن الغريب فى أى من هذه المدن ساد العنصر الوثنى مع أنها مألوفة فى العهد الجديد وكانت طبريه التى سميت البحيرة باسمها فى أيام المسيح منشأة حديثاً إذ قد بناها هيرودس انتيباس رئيس الربع (وهو الذى ذكر فى تاريخ الانجيل)، ولقد سماها تخليداً لذكرى الامبراطور طيباريوس، وأن المدينة أنعم عليها تكريما لطيباريوس بامتيازات كثيرة كأن منح سكانها أراضى ومساكناً واعفاء من الضرائب - ولقد اتبع الإمبراطور فسبسيان سياسة الاعفاء (بعد الحرب اليهودية) واضطر أن يستعمرها بالقوة (خاصة باليهود لأن موقع المدينة التى قامت عليه كان مكان دفن وكانت الأرض كلها لهذا السبب تعتبر نجسة فى اعتقاد اللاويين) وان اشتهرت فيما بعد كالمقر الأخير للسنهدريم. وكانت أصلاً مدينة غير يهودية. أما غزة فكان لها وثنها المحلى وعبدت عسقلون العشتاروث وكانت يافا هى المكان الذى ظهر على صخور شاطئها عندما رأى فيه بطرس رؤياه أثار السلاسل التى قيدت بها اندروميدا عندما حررها برشاوس. وكانت قيصريه بالضرورة مدينة وثنية ولو أن كثيراً من اليهود أقاموا بها، وكان من أبرز وأجمل مبانيها معبد آخر لأوغسطس، بنى على تل مقابل لمدخل الميناء لكى يراه الرائى من بعيد من البحر، ولكن ماذا كنا ننتظر عندما أقام هيرودس فى أورشليم نفسها مسرحاً ومدرجاً فخماً جلب إليه المتصارعين من جميع أنحاء العالم، وهناك لعبوا الألعاب التى تتنافى تماماً مع الروح اليهودية، وهى فى ذاتها وروحها وميولها وثنية تماماً. وكان المحيطون والمشيرون الذين أحاط نفسه بهم وثنيين، وحيثما استطاع هو وخلفاؤه أقاموا معابد وثنية، وفى كل المناسبات ناصروا نشر الآراء اليونانية ومع أنهم اعترفوا بأنهم يهود، ولم يعتبر اليهود ذلك منافياً للميول اليهودية، بل أنه فى الواقع كان بناء الهيكل وكثرة الدفاع أمام روما عن اليهود كلما حاق بهم لون من الظلم، هو الذى حافظ على ولاء الأحزاب القومية لا بل جعل منهم أداة طيعه. وهكذا انتشرت الروح الاغريقية وكانت كل الطبقات المتعلمة فى القطر تتكلم وتفهم الاغريقية، كما أنها كانت ضرورية للتعامل مع السلطات الرومانية، ومع كثير من الموظفين المدنيين والحربيين، ومع الأجانب. وكانت النقوش على العملات كلها باللغة الاغريقية مع أن الملوك الأوائل فى أسرة هيرودس لم ينقشوا صورهم على العملة حرصاً على عدم اغضاب اليهود، ومما له معنى كبير فى ذاته أن هيرودس اغريباس الأول قاتل القديس يعقوب، ولو عاش لكان

هو قاتل القديس بطرس، هو الذى أدخل صورته على العملة وهكذا كان العنصر الأجنبى ولذلك لم يكن هناك بد من كفاح أحد فلم يكن هناك تغيير فى المستقبل.

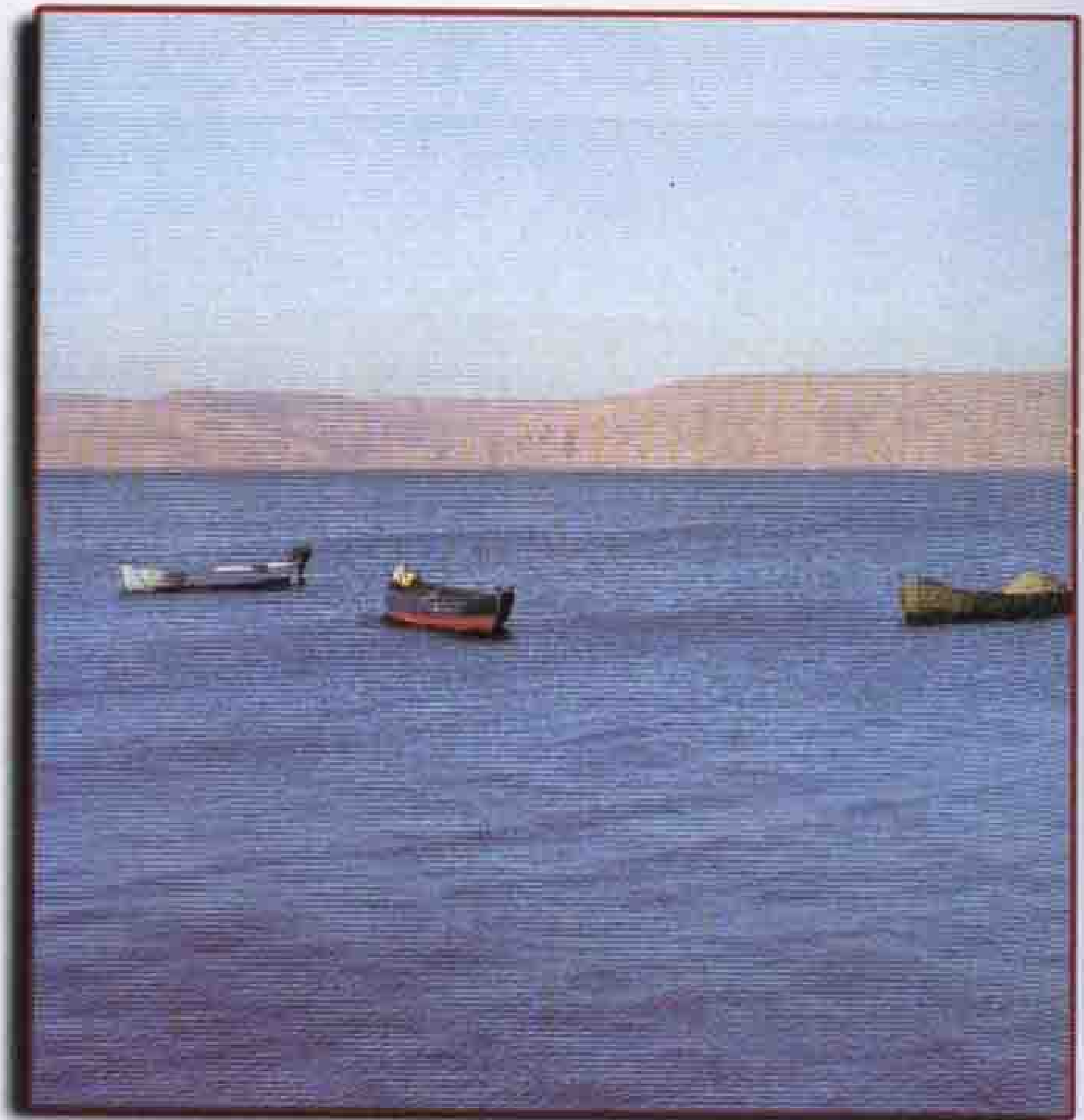
وماذا عن اليهودية ذاتها فى تلك الفترة، أنها كانت منقسمة على ذاتها انقساماً بائساً، ولو أنه لم يحدث انفصال ظاهر. فكان لكل من الفريسيين والصدوقيين مبادئ يناقض بعضها بعضاً. أما الاسينيين فقد احتقروا كلاً منهما وداخل الحركة الفريسية كان أتباع هليل، وأتباع شماى، على طرفى نقيض فى كل مسألة. ولكنهما كانا متحدين فى إحتقارهم، أطلقوا عليهم اسم أهل الريف العاميين الذى لم يحصلوا على أى تعليم تقليدى. ولذا لم يقدروا أو لم يريدوا أن يشتركوا فى مناقشات، أو أن يحتملوا ثقل القرارات التشريعية التى كونت أهم ما فى الروح التقليدية وكان هناك شعور واحد يجمع بينهم أغنياء كانوا أو فقراء، متعلمين كانوا أو غير مثقفين، أو كانوا من علية القوم أو عامتهم وكان هذا هو كراهية شديدة. للأجنبى. فالجليلى الخشن كان وطنياً شأنه شأن الفريسى المتمسك بالناموس، وفى الحقيقة فى الحرب ضد روما كانوا الغالبية بين أشجع الجنود وكان الأجنبى يرى فى كل مكان، فكان له كل ما يجمع من الضرائب وكل درجات الجند ومحاكم الإستئناف العليا، والحكومة، وفى أورشليم كانوا يشرفون على الهيكل كحرس فى حصن انطونيا، وكانوا يحرسون ملابس رئيس الكهنة، بحيث أنه قبل الخدمة كان عليه أن يقدم طلباً للوالى أو المندوب عنه وان كانوا يتسامحون معهم أكثر من الهيرودسيين فإنما لأنهم كانوا وثنيين بلا مواربه، (أما الهيرودسيون فكانوا يجمعون بين اليهودية والوثنية) وبعد أن نشأوا عبيداً أخذوا لأنفسهم مملكة المكابيين.

ويعلم قارئ العهد الجديد كيف باعد اليهودى الفريسى بينه وبين الوثنى، ولنفهم من الابتداء أن كل تعامل مع الوثنية وكل اشتراك فى طقوسها يجب أن يكون محرماً، وأنه فى المعاملات الاجتماعية كانوا يجتنبون كل تدنيس ينشأ من استعمال كل ما هو عادى وغير طاهر. ولكن التعاليم الفريسية ذهبت إلى أبعد من ذلك بكثير، إذا أنها حرمت أى تعامل مع الأمم أثناء الثلاثة الأيام السابقة لأى عيد، حتى لا يشترك الفرد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فى الطقوس، وامتد هذا التحريم إلى الاحتفالات الخاصة ،كأعياد الميلاد ويوم العودة من سفر، وفى مناسبات الأعياد كان يتحتم على كل يهودى تقى ألا يمر داخل مدينة وثنية وألا يتعامل مع حوانيت زينت

للعيد. وكان مخالفاً للناموس أن يساعد العمال اليهود فى أى شىء تقوم به العبادة أو الحكم الوثنى ومن ذلك إقامة دور المحاكم أو ما يشابهها. ولا حاجة بنا أن نشرح إلى أى حد وإلى أية تفاصيل يؤدى التمسك والاجتهاد والتشدد الفريسى بهذه القرارات، فإننا نعرف من العهد الجديد أن دخول بيت الوثنى يدنس حتى المساء (يو ١٨ : ٢٨). وأن كل تعامل عادى مع الأمم محرم (أع ١٠ : ٢٨). وكان هذا التعصب مخيفاً حتى لكان محرماً على اليهودية أن تساعد جارتها الوثنية وهى تلد. فلم يكن جديداً على القديس بولس سؤال الكورنثوسيين عن شرعية اللحم الذى يباع فى الملحمة أو التى قدمت فى عيد (١ كو ١٠ : ٢٥، ٢٧، ٢٨). ومن الواضح أنه كان لا يزال يذكر تعاليم الرابانيين فى الموضوع بينما كان يتجنب عبودية الفريسيين للحرف، وكان يحرص فى نفس الوقت على أن يتعارض مع ضمير الفرد أو أن يغضب الحاضرين، لأنه طبقاً لما علمه الرابى (عقيبة) اللحم فى طريقه إلى العبادة الوثنية طاهر شرعى، ولكن اللحم الخارج منها محرم لأنه يشبه ذبائح الموتى. ولكن التفرقة ذهبت إلى أبعد ما يمكن العقول العادية قبوله فلبن البقرة الذى حلبته أياد وثنية والخبز الذى أعدته أياد وثنية يباع إلى الأجانب، ولكن لا يستعمله الاسرائيليون. وما كان ليهودى تقى أن يجلس طبعاً على مائدة أممى (أع ١٠ : ٣، غلا ٢ : ١٢) وإذا دعى وثنى إلى منزل يهودى ترك وحده فى الحجرة، والا اعتبر كل أداة أو شرب، نجسه. وإذا أحضرت أوانى طبخ من وثنيين يجب أن تطهربالنار، أو الماء، أما السكاكين فيجب أن تحد ثانية، ويجب أن تحمى الشوايات من جديد. ولم يكن من الشريعة أن يؤجر حقل أو منزل إلى وثنى، أو ان تباع ماشيه، وأى أداة مرتبطة بالوثنية ولو ارتباطاً بعيداً كان لابد أن تحطم. وعلى ذلك إذا صنع مغزل من خشب أشجار خصص للوثنين فإن كل نسيج صنع به يجب أن يعدم، وإذا استخدمت قطع كهذه مع قطع أخرى فكان الكل يصبح نجساً ويجب تدميره.

وما هذه سوى حقائق عامة تبين الشعور السائد، وكان من السهل أن نبين إلى أى حد تغلغلت فى كل علاقة الحياة. وكان طبيعياً أن الوثنيين يردون بالمثل مع أنهم كانوا يتصفون بالتسامح. وكان الختان والراحة فى السبت وعبادة الإله الذى لا يرى وامتناعهم عن أكل لحم الخنزير مواضيع مثيرة للمرح ولسخرية الوثنيين، ولم يكن الغزاة حريصيين فى اخفاء مشاعرهم واحتقارهم للمغلوبين، أو خجلين من إظهارها،

وخاصة عندما يتجرأ المغلوبون على احتقارهم وبغضهم، وبازاء هذه الحال كان من غير الممكن تصديقه أن يعلن السيد المسيح بين الاسرائيليين، أن هدف مجيئه ومملكته لم يكن تهويد الأمم بل اعطاء الاثنين السلطان أن يصيروا أبناء الآب الذى فى السموات. ولم يكن الهدف أن يُثبّت على الوثنيين نير الناموس، ولكن الغرض أن يحرر من نير الناموس، اليهود والأمم، أو بالأحرى أن يكمله نيابة عن الجميع. ومن وجهة النظر اليهودية لم يكونوا يتوقعون أو على استعداد له بتاتاً اعلان نقض الحاجز المتوسط بين اليهود والأمم وازالة العداوة للناموس وتسميرها على صليبه. ولم يكن هناك شيء شبيه لهذا ولم يكن ليوجد أى فكرة عنه فى تعاليم تلك الأزمنة أو فى روحها، بل كان العكس صحيحاً وبكل تأكيد كان الزمن الذى عاش فيه المسيح، كان المسيح الشيء الوحيد الذى اختلف عنه، وأعظم الأعاجيب والآيات جميعها السر الذى أخفى عن سائر الأجيال والعصور هو انشاء كنيسة عامة عالمية.



بحر الجليل

هذه المنطقة في بحر الجليل تشاهد من مجدلة،
وتعصف بها رياح عنيفة وفجائية تسبب أمواجاً عاتية (مر ٤ : ٣٧).



الناصـــرة

الناصرة المدينة الصغيرة في الجليل التي تربى فيها يسوع ودعي ناصرياً (لو ٢ : ٥١، ٥٢).

الفصل الثالث

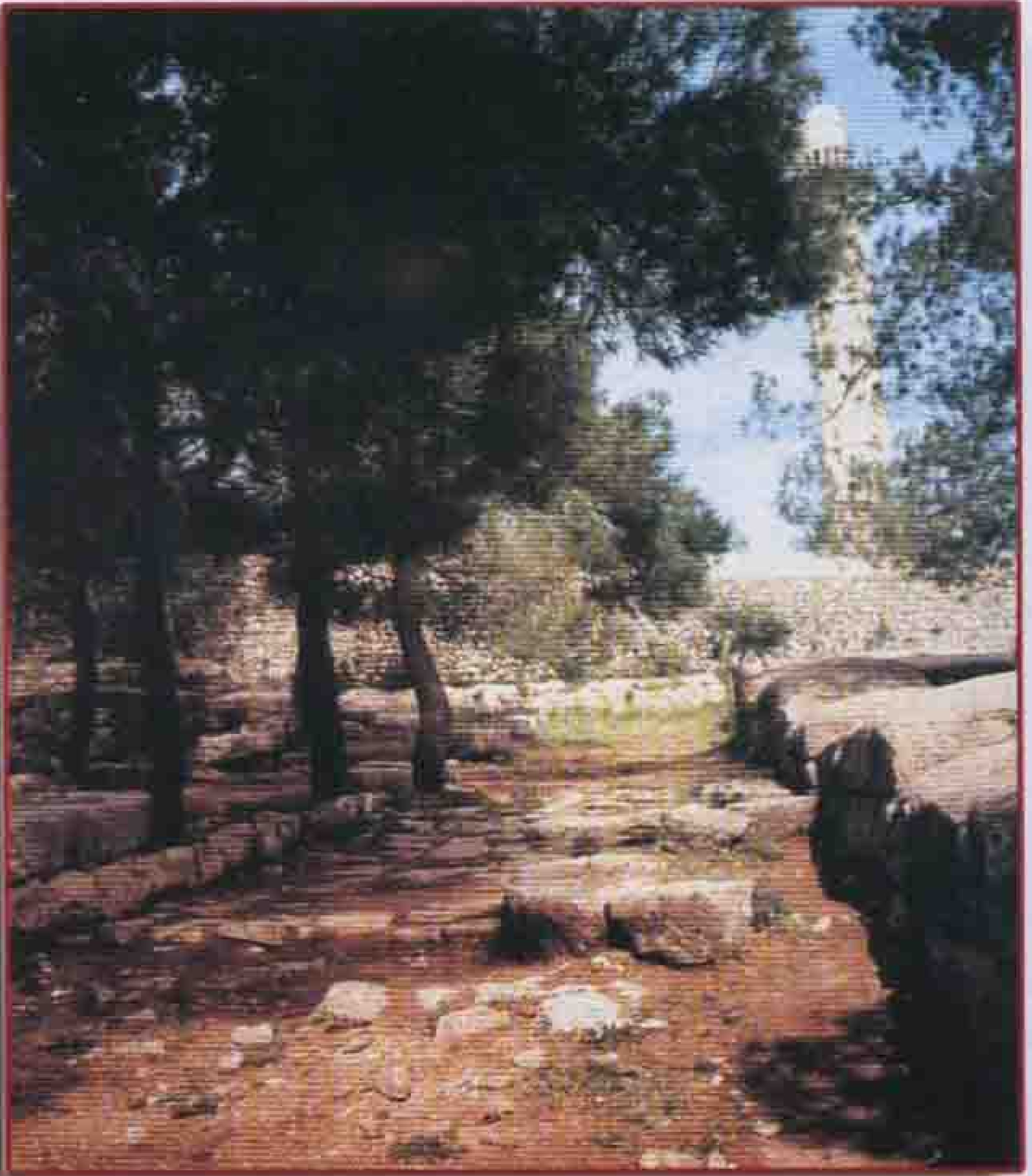
الجليل فى أيام السيد المسيح

إذا أراد أحد أن يكون غنياً فليذهب الى الشمال، وإذا أراد أن يكون حكيماً فليذهب إلى الجنوب، بهذا القول ميز الرابى أساتذة الشريعة والطقوس فى كبريائهم وغطرستهم بين الثراء المادى فى الجليل، والتفوق فى تاريخ التقليد الذى ادعوا أنه من حق أكاديميات اليهودية. وللأسف أنه بعد قليل زالت هذه الميزة التى كانت موضع شك، لأن الكليات انتقلت شمالاً وانتهت أخيراً إلى جوار بحيرة جنيسارت وفى مدينة طبريه التى شاع عنها فى وقت ما أنها نجسة. وبكل تأكيد إن تاريخ الأمم هو سجل دينونتهم. ومما له معناه بدرجة غريبة أن مجموعة القانون التقليدى اليهودى المقرون بالمشناه وما يسمى بتلمود أورشليم وهو التعليق الفلسطينى عليه، كان مقدراً عليه أن يصدر من مدينة كانت أصلاً وثنية بنيت فى موقع قبور قديمة مهجورة. ولكن طالما كانت أورشليم اليهودية مركزاً للتعليم اليهودى لم يكن هناك كلمات احتقار للتعبير عن التعالى وعدم الاعتداد والشعور بالتفوق الذى كان الرابيون (المعلمون) ينظرون به إلى شركائهم فى الدين فى الشمال، وإن قول ناثانائيل الخالى من الاحترام والذى يبدو فيه كل اهمال وعدم اكتراث ونصه «وهل يخرج من الناصرة شيء صالح» (يو ١ : ٤٦) يبدو وكأنه قول عام فى ذلك الزمان. وهناك أيضاً توبيخ الفريسيين لنيقوديموس،وقولهم «ابحث وانظر أنه لم يخرج نبى من الجليل» (يو ٧ : ٥٢) وازدادوا إيلاماً بسؤالهم الساخر فهل أنت أيضاً جليلى. ولم يقتصر سكان المدن هؤلاء كما شاع عن سكان أورشليم على اظهار الاعتداد بالنفس والكبرياء والشعور بالتفوق على أبناء عمومتهم الريفيين، بل أظهروا أيضاً احتقاراً مهيناً وخشونة صريحة لا يمكن تصورها، وعدم رقة ومحبة يشوبها فى كثير من الأحيان شعور بالبر الذاتى والتظاهر بالتقوى، وقول الفريسى فى صلاته «يا الله أشكرك أنى لست مثل باقى الناس» (لو ١٨ : ١١) يبدو كأنه هو القول الطبيعى لهؤلاء المعلمين فى وجود العاميين وكل من اعتبروهم غير متعليمن وأدنى منهم دينياً. إن مثل الفريسى والعشار

لم يذكر فى الإنجيل خاصة لإدانة تلك الصلاة بعينها، بل ليبين خصائص الروح الفريسية حتى فى اقترابها من الله. ثم قولهم أن الشعب الذى لا يعرف الناموس (الناموس التقليدى) هو ملعون، وإنما هو ملخص قصير لتقدير هؤلاء المعلمين للرأى العام ولقد بلغ الأمر بالفريسيين أنهم استبعدوهم من التعامل العام. بل من حق الشهادة وطبقوا فى التزاوج معهم ما ورد فى (تث ٢٧ : ٢١).

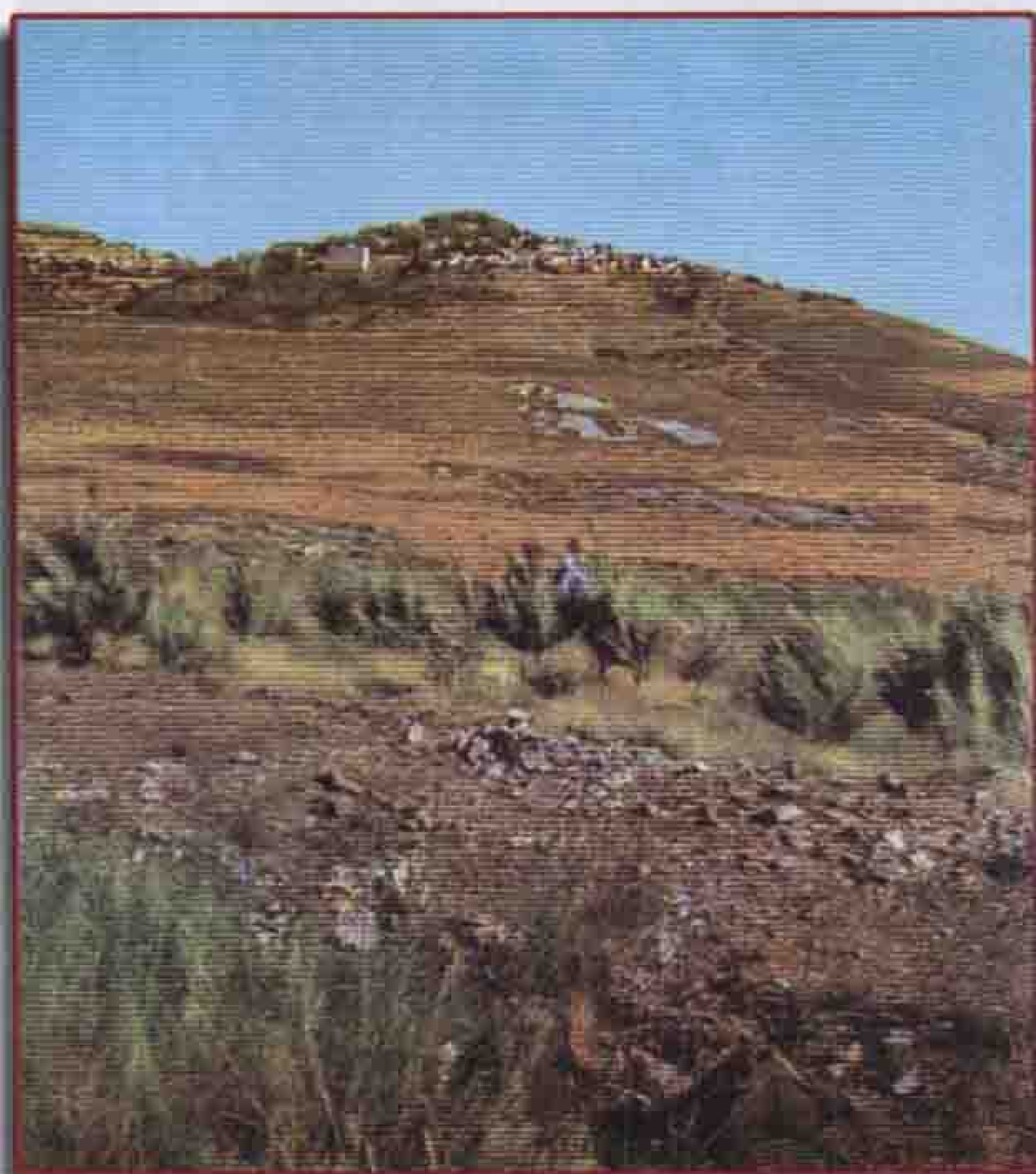
ولكن إذا كانت هذه الأمور تعتبر مغالاة وتطرف، فهناك مثلان اخترناهما اختياراً عشوائياً، الأول من الحياة الدينية والآخر من الحياة العادية، والاثنان يوضحان الحقيقة. فإننا لا يمكننا تشبيه آخر كامل لصلاة الفريسى أكثر ولأنى أقرأ فى التلمود أن معلماً (رابى) مشهوراً تعود كل يوم وهو يترك الأكاديمية أن يصلى بالكلمات الآتية أشكرك أيها السيد الهى وإله آبائى أنك جعلت نصيبى بين الذين يقومون المدارس والمجامع وليس بين الذين يترددون على المسارح والملاهى، لأننا كلانا نعمل ونسهر أما أنا فلكي أرث الحياة الأبدية وأما هم فللهلاك. والمثل الثانى أيضاً مأخوذ من كتاب خاص بهؤلاء أساتذة اللاهوت والطقوس، وهو إذا صح يكون أكثر إيذاء للشعور، يبدو أن المعلم جانّاى تعرف صدفة أثناء سفره برجل ظن أنه يعادله علماً، وسرعان ما دعاه صديقه الجديد إلى الغذاء وقدم له لحماً وخمراً بسخاء، ولكن المعلم داخله الشك وبدأ يختبر مضيفه على التوالى بأسئلة فى نصوص الأسفار المقدسة، عن المشناه وعلى التفاسير الاستعارية وعلى قصص التلمود، ومما يؤسف له أنه لم يقنع المعلم الضيف بأى إجابة من الإجابات وانتهى الغذاء، وكان المعلم جانّاى قد أظهر الكبرياء والخيلاء وما اعتاد سائر العلماء أن يظهروه من الاحتقار لغير المتعلمين المثقفين وطلب من مضيفه كما هى العادة أن يتناول كأس الشكر ويقدم الشكر ولكن الأخير كان قد أصابه الاذلال وبمزيج من الاحترام الشرقى والوادعة اليهودية قال : ليقدم جانّاى نفسه الشكر فى منزله فقال الرابى (المعلم) : على أية حال يمكنك أن تشترك معى وعندما وافق الأخير على ذلك قال جانّاى: إن كلباً قد أكل من خبز جانّاى.

ويجب على التاريخ غير المتحيز أن يسجل حكماً آخر على رجال الجليل يختلف كثيراً عن حكم أساتذة الشريعة والطقوس (المعلمين) وأيضاً من حكم قادة اسرائيل، لأن بعض مميزاتهم التى اختصوا بها نشأت من ظروف أرضهم وولاية الجليل التى يمكن أن يترجم إسمها الدائرة لأنها مشتقة من فعل معناه يتحرك فى دائرة كانت



طريق رومانية قديمة

سار يسوع في هذا الطريق أثناء ذهابه إلي قرية عمواس بعد قيامته (لو ٢٤ : ٢٨ - ٣٢).



صفد

مدينة تبعد ٢٠ كم شمالي كفر ناحوم، وهي مبنية علي جبل والتي تُري عن بعد، كالتي ذكرها يسوع في المثل : «أنتم نورالعالم. لا يمكن أن تخفي مدينة موضوعة علي جبل» (مت ٥ : ١٤).

ممتلكات الأربع أسباط يساكر وزبولون ونفتالى وأشير، والاسم يرد فى العهد القديم (يش ٢٠ : ٧، ١ مل ٩ : ١١، ٢ مل ١٥ : ٢٩، ١ أخ ٦ : ٧٦، وخاصة أش ٩ : ١)، وكانت تمتد فى أيام المسيح إلى ممتلكات صور وصيداء من ناحية وإلى سوريا من ناحية أخرى، وكانت تحد جنوباً بالسامرة جبل الكرمل من الغرب، وإقليم سكيثوبوليس فى ديكابوليس (العشر مدن) من الجانب الشرقى، وكل هذه من المعالم بينما نهر الأرض وبحيرة جنيسارت تكونان خط الحدود العام من الشرق. فإذا تذكرنا هذا رأينا أنها تشمل أسماء لها ذكريات منها جبال جلبوع حيث سقطت اسرائيل وشاول صرعى، وجبل حرمون وطابور والكرمل وساحة الحرب العظمى فى فلسطين وهو سهل يزرعيل. وكل من التلمود ويوسيفوس يقسمونها إلى الجليل الأعلى والجليل الأدنى وبينهما يضع المعلمون (الرابى) اقليم طبريه والجليل الأوسط. ونتذكر فى قصة زكا (لوقا ١٩ : ٤) بالعلامة التى اتخذها الرابى (المعلم) ليميزوا بين الجليل الأعلى والجليل الأدنى - فيبدأ الأول (الأعلى) حيث يتوقف الجميز عن النمو ولا يجب أن نخلط بين الجميز الذى هو نوع من التين مع الجميز كما نعرفه وكان ذاك شجرة حساسة رقيقة يسهل على البرد تدميرها وتنمو فى وادى الأردن أو فى الجليل الأدنى حتى ساحل البحر. وذكر تلك الشجرة يساعدنا على تحديد الموقع الذى تحدث عنه المخلص فى (لوقا ١٧ : ٦). ويذكر المعلمون (الرابيون) أن كفر عنان إلى الشمال الغربى من (صفد) على أنه أول مكان فى الجليل الأعلى، وكانت صفد مدينة قائمة على تل ولموضعها هذا كان فى مدى رؤية السيد عندما ألقى العظة على الجبل (مت ٥ : ١٤). وذكرت فى التلمود باسم zephath زيفات على أنها مدينة من مدن الاشارة التى كان يرسل منها اعلان رؤيا الهلال على يد السنهدريين فى أورشليم وبها يعلن أول الشهر باشارات نارية من تل إلى تل خلال كل الأرض، وبعيداً على شرق الأردن لأولئك الذين فى الشتات.

وكانت المناظر الطبيعية الجبلية فى الجليل الأعلى مناظر فخمة رائعة والهواء منعشاً، وهنا كان مسرح أحداث نشيد الأنشاد. ولكن فى كهوفها وقممها الحصينة وأرضها المغطاة بالمستنقعات وأحراش الغاب والقصب، كان يأوى قطاع الطرق والخارجون على القانون والزعماء من الثوار. ونشأ أخطر الشخصيات من مرتفعات الجليل، وتغيرت المناظر الطبيعية جنوباً فجنوب بحيرة ميروم حيث تعبر ما يسمى قنطرة

يعقوب يصادفنا طريق القوافل العظيم الذى يربط دمشق شرقاً بمدينة بتولمايس التجارية العظيمة على شاطئ البحر المتوسط، وكم كانت هذه الطريق تعج بالتجارة والحركة فى أيام سيدنا وما أكثر الحرف والصناعات التى نشأت فيها، وكانت تمر قوافل الجمال والبغال والحمير محملة بثروات الشرق التى كانت تقصد الغرب، أو تأتى بالكماليات من الغرب إلى الشرق. وكان من الممكن رؤية المسافرين من كل نوع يهود واغريق ورومان وسكان من الشرق كانوا يرون هنا. ولابد أن استمرار التعامل مع الأجانب واستقرار الكثيرين على طول الطرق العظيمة العالمية جعل التعصب وضيق الإفق التى يتصف بها الناس فى اليهودية مستحيلاً فى الجليل.

ونحن الآن فى الجليل ذاتها ولا يمكن لأحد أن يتصور اقليماً أجمل وأخصب من الجليل وكانت هى الأرض التى غمس فيها سبط أشير أقدامه فى الزيت (تث ٣٣ : ٢٤) ويتحدث المعلمون (الرابى) بأن الزيت كان ينحدر كالنهر وقالوا أنه لأسهل زراعة غابة من أشجار الزيتون فى الجليل من تربية طفل واحد فى اليهودية، وكان الخمر مع قلته عن الزيت كثيراً ودسماً، وكان القمح كثيراً جداً وخاصة حول كفرناحوم، وكان الكتان يزرع أيضاً هناك. وكانت تكاليف الحياة فيها أقل مما فى اليهودية حيث كانت خمسة أضعاف ما كانت عليه فى الجليل، وكانت الفاكهة بلغت درجة الكمال، ومن المحتمل أن يكون سكان أورشليم قد منعوا بيعها فى الأعياد فى المدينة من الغيرة لئلا يقول الناس ساخرين أحقاً أننا لم نأت إلا لنتذوق فاكهة الجليل. ويتحدث يوسيفوس عن القطر فى زهو وتحمس وعلو ويذكر أكثر من ٢٤٠ مدينة وقرية لا يقل سكان أصغرها عن ١٥٠٠٠ وهذا أيضاً مغالاه فاضحة لأنه يجعل القطر أغزر سكاناً من أغزر أقاليم انجلترا أو بلجيكا ولقد قارن بعضهم الجليل بالاقليم الصناعى بانجلترا، وهذه المقارنة تصح على الحياة التجارية مع أن صناعات مختلفة كانت قد نشطت هناك، منها صناعة الأوانى الفخارية المختلفة ومصانع الصباغة. ومن مرتفعات الجليل كان من الممكن رؤية موانىء ومرافىء غاصة بالسفن والبحر وقد تناثرت عليه القلاع وتصاعد دخان أفران الزجاج فى الداخل وعلى الشاطئ، وسارت على طول الطريق القوافل، وفى الحقول كانت الكروم وحدائق الفاكهة ملأى بالنشاط، واخترق الطريق العظيم الجليل مبتدئاً من نقطة عبوره الأردن عندما يوصف بقنطرة يعقوب ثم يحف بكفرناحوم ثم ينحدر إلى الناصرة ثم يمر إلى شاطئ البحر وكانت

هذه إحدى مميزات الناصرة أنها واقعة على الطريق العالمى للتجارة والتعامل، أما الخاصية الثانية فيجهلها كتاب المسيحية ويبدو أن الناصرة كانت محطة الكهنة لأن كل الكهنة كانوا مقسمين إلى أربع وعشرين نوبة كانت واحدة فيها تخدم بإستمرار فى الهيكل، وكان كهنة كل نوبة يحتمون فى مدن خاصة وكانوا يصعدون منها إلى الهيكل أما الذين لا يستطيعون الذهاب فيقضون الأسبوع فى الصوم والصلاة عن زملائهم، وكانت الناصرة احدى مراكز الكهنة، بحيث مر من هناك بما كان يحمله المرور من معنى رمزى كل الذين يقومون بتجارة العالم وأولئك الذين يقومون بخدمة الهيكل.

لقد تحدثنا عن الناصرة وقد يكون من المهم أيضاً أن نبدى بعض الملاحظات المختصرة عن مدن أخرى فى الجليل، وكانت مدينة كفرناحوم تقع شمالاً على البحيرة وكانت مدينة كبيرة، وإلى القرب منها كورازين واشتهرت بحبوبها بحيث أنه لو كانت أقرب إلى أورشليم لإتخذت مكاناً للهيكل. وكان هناك أيضاً بيت صيدا ويدل اسمها بيت السمك على الصناعة السائدة بها وكانت كفرناحوم المدينة التى كان يجلس عليها متى لاستلام الضرائب (متى ٩ : ٩). وإلى الجنوب من كفرناحوم مجدلا مدينة الصباغين وموطن مريم المجدلية (مر ٢٥ : ٤٠، ١٦ : ١، يو ٨ : ٢، يو ٢٠ : ١)، ويذكر التلمود حوانيتها ومصانع الصوف بها ويتحدث عن ثرائها وانحلال سكانها. ولا تذكر طبريه التى كانت قد بنيت قبل المسيح بمدة قصيرة إلا مصادفة فى العهد الجديد (يو ٦ : ١، ٣و ٢١ : ١) وكانت فى ذلك الوقت مدينة عظيمة وكانت وثنية وكان بها مبانى فخمه على النقيض من المساكن الحقيرة الشائعة فى الريف. وعلى الطرف الجنوبى للبحيرة مدينة تاريكى مركز عظيم لصيد الأسماك، ومنها كان يصدّر السمك المحفوظ فى براميل، وهنا حارب الرومان معركة بحرية انتهت بمذبحة مخيفة لأن الرومان لم يتركوا لهم فترة للهروب بحيث اصطبغت البحيرة بدماء القتلى وانتشر الوباء فى أجساد القتلى. وكانت قانا الجليل مسقط رأس نثنائيل (يو ١١ : ٢) حيث صنع المسيح أول معجزاته (يو ٢ : ١ - ١١) وهى مدينة مهمة بسبب إرتباطها مع الأعجوبة الثانية عندما ذاقت شفاه الأميين خمر المملكة (الملكوت) (يو ٤ : ٤٦ - ٤٧) وكانت قانا الجليل تقع على سفر ثلاث ساعات شمال شرق الناصرة. وأخيراً تايين أقصى مكان جنوباً فى الجليل ولن تبعد كثيراً عن

يمين دور المدينة القديمة.

لا يدهشنا مع ما فيها من المتعة واللذه أن ذكريات الرابى (المعلمين) عن المسيحيين الأوائل لازالت حية حول الجليل. ولذلك يذكر العهد الرسولى أن شخصاً باسم يعقوب شيفار سيكانجا فى الجليل صنع معجزات شفاء باسم يسوع وفى أحد هذه المناسبات عارضه أحد المعلمين (الرابى) بشدة مات فيها المريض أثناء ذلك. وهناك تسجيلات كثيرة لمناقشات مع مسيحيين متعلمين ودلائل على احتكاكات مع مؤمنين من اليهود. وذهب البعض إلى أبعد من ذلك ووجدوا آثاراً لإنتشار مثل هذه من وجهات النظر فى أن مدرساً من الجليل قُدِّم فى بابل كباحث فى علم المركبه أو المبادئ السرية المتعلقة برؤيا حزقيال للمركبة الإلهية التى احتوت عناصر تقترب إقتراباً شديداً مع التعاليم المسيحية عن الكلمة والثالوث. ولقد أبدى معلم جليلى فى القرن الثالث اهتمامه بمعنى الرقم ثلاثة مما جعل البعض يستنتجون أنه يتفق مع وجهة النظر فى الثالوث ويبدو ذلك فيما يلى : مبارك الرب الذى أعطى ثلاثة قوانين (الأسفار الخمسة، والأنبياء، وسائر الأسفار المقدسة Hagiograph) لشعب مكون من ثلاث طبقات (الكهنة، واللاويون، والعلمانيين) من خلال أصغر الثلاثة (مريم، وهارون، وموسى) فى ثالث يوم (انفصالهم خر ١٩ : ١٦) فى الشهر الثالث. وقال رابى جليلى آخر مشيراً إلى القيامة بقوله وإن لم يكن يعوزه الوضوح يمكن أن يكون تطبيقاً مسيحياً. وأخيراً تستعمل المدارس الاصطلاح «أما الخاطئ فيؤخذ بها» (جا ٧ : ٢٦). أما على المعلم المسيحى يعقوب السابق الذكر أو على المسيحيين عامة أو حتى كفرناحوم مع اشارة واضحة على انتشار المسيحية هناك، ولا نستطيع أن نتتبع هذا الموضوع الممتع أكثر من أن نقول أننا وجدنا ما يدل على أن المسيحيين اليهود حاولوا أن يدخلوا آراءهم أثناء قيامهم بالخدمة العامة فى المجمع بل وأثناء اختلاطهم بشيعة النقولاويين الملحدة المنحلة.

وفى الواقع ما نعلمه عن الجليين يجعلنا على استعداد أن ننتظر أن الإنجيل كان لابد له أن يتقبله الكثيرون منهم وأن يستمعوا له ولم يكن ذلك غريبا لأن الجليل كان المسرح العظيم لأعمال السيد وتعليمه، ووطن أوائل تلاميذه ورسله، ولأن التعامل المتكرر مع الأجانب أدى إلى إزالة التعصب وضيق الأفق والتوقف، بينما كان احتقار الرابيين يضعف التعلق بالروح الفريسية، ولم يكن تقبل الانجيل والاستماع

إليه هو لهذا كله فقط ولكن لأنهم كانوا جنساً كريماً محباً غيوراً متطرف فى غيرة نشطاً لا يستسلم للأحلام الباطلة والجدل فى الأمور اللاهوتية الشرعية التى لا نهاية لها، لأنه كان متحمساً وجاداً كما يبدو من وصف يوسيفوس والرابى وكانوا يضمون إلى هذه الصفات روح قومية شديدة فى أحسن صورها ودون أن نذكرهم هنا وكانوا يختلفون عن سكان اليهودية، فهم يتصفون بتقوى عملية جادة وصرامة فى الحياة وعدم التمسك باجتهادات الفريسيين التى كانت تجعل الشريعة خادمه حرفية لا معنى لها وعلى العكس من ذلك كان التلمود يتهم الجليليين بإهمال روح التقليد والاقتصار على التعلم من معلم واحد ثم من آخر (وربما كان ذلك لأنهم لم يكن عندهم إلا معلمون متجولون ولم يكن لهم أكاديميات ثابتة) ولذلك لم يكونوا قادرين إلى الارتفاع إلى مستوى الامتياز الربانى والتفسيرات الربانية. ونستطيع أن نفهم من يوسيفوس ومن العهد الجديد (لو ٨ : ٢، أع ٥ : ٣٧) أنهم كانوا سريعى الغضب بطبيعتهم ميالين للتنازع والتقاتل وأنهم كانوا فى ثورة دائمة مع روما ولقد جعلهم سوء نطقهم لليهودية وعجزهم عن نطق الحروف الخلقية نطقاً سليماً جعلهم هذا موضع سخرية تفكهة، وشاع ذلك عنهم مما جعل خدم قصر رئيس الكهنة يهاجمون بطرس قائلين: «حقاً أنت منهم لأن لغتك تظهرك» (مت ٢٦ : ٧٣) مما يدل أن اللغة الشائعة فى أيام المسيح فى فلسطين كانت الارامية وليست اليونانية. ويصف يوسيفوس الجليليين بأنهم مجدون نشطون ذوو نخوة وشهامة وشجاعة. وحتى التلمود يصرّح بأنهم أكثر إعتداداً بالشرف منهم بالمال.

ولكن الاقليم الذى تتوق إليه النفس والروح فى الجليل هو شواطئ البحيرة ولقد ورد كثيراً وصف جمالها وحياتها النباتية العجيبة ومحاصيلها المدارية وثرائها وكثافة سكانها. ويقول الرابيون (المعلمون) أن كلمة جنيسارت مشتقة من القيثارة لأن فواكه شواطئها لا يعادل حلاوتها إلا عذوبة أنغام القيثارة ويقول البعض أن معناها حدائق الأمراء لما اشتهر عن بيوتها من الجمال وما يحيط بها من الحدائق. ولكننا لا نفكر فى الحقول الخصبة، أو فى مياه البحيرة الزرقاء العميقة، أو فيما يحيط بها من تلال أو فى مدنها التى تعج بالأعمال، أو بالأشرعة البيضاء المبعثرة هنا وهناك بل نفكر فى من وطأت قدماه شواطئ البحيرة الذى علم وعمل وصلى من أجلنا نحن الخطاة ومشى على مائها وهدأ عواصفها، وحتى بعد القيامة تبادل الأحاديث العذبة مع تلاميذه والذى يتردد صدى آخر كلماته فى أذاننا بمعنى خاص وتطبيق خاص ونحن ننظر إلى العناصر المضطربة حولنا فى العالم وهو يقول : «وأنت مالك اتبعنى» (يو ٢١ : ٢٢).

الفصل الرابع

السفر فى فلسطين ـ الطرق ـ الحانات ـ كرم الضيافة

ضباط الجمارك ـ الضرائب ـ العشارون

إنما كان على أكثر طرق فلسطين ازدحاماً وحركة أن كان لاوى متى العشار جالساً عند مكان الجباية عندما دعاه سيدنا لأخوة الإنجيل ثم أقام وليمة لزملائه العشارين ليروا وليسمعوا الذى وجد فيه الحياة والسلام (لو ٥ : ٢٩)، لأنه كان الطريق الدولى الوحيد من بين الطرق التى اخترقت فلسطين. وفى الحقيقة والواقع كان أحد الطرق العظمى للتجارة العالمية وفى الوقت الذى نكتب عنه يمكن أن نقول على وجه العموم أنه كان هناك ستة شرايين رئيسية للتجارة والتعامل تمتد عبر القطر قاصدة إما قيصرية العاصمة الحربية، أو أورشليم العاصمة الدينية.

فكان هناك الطريق الجنوبى الذى امتد من أورشليم إلى بيت لحم إلى حبرون ومن هناك غرباً إلى غزه، وشرقاً إلى العربية ومن هناك امتد طريق مباشر شمالاً إلى دمشق. ونتصور أنه على هذا الطريق سافر القديس بولس عندما التجأ إلى فلوات العربية وعزلتها عقب تحوله إلى المسيحية مباشرة (غلا ١ : ١٧ ، ١٨) ولابد أن طريق حبرون هو الطريق الذى فضله الكهنة وسائر الحجاج والذى سار فيه والد يوحنا المعمدان ووالدا يسوع.

وكان هناك الطريق القديم من مصر على طول الشاطئ إلى صور ومن هناك اتجه إلى قيصرية فيلبس ثم إلى دمشق ولم يكن هذا الطريق مألوفاً ولكن ربما كان طريق شاطئ البحر نفسه الذى حف بغزه وعسقلون ويامنيا واللد وديوسبوليس لينتهى بقيصرية وبتولومايس وهو أهم طريق حربى فى القطر يربط العاصمة بمقر الوالى الرومانى فى قيصرية ويضمن حرية المواصلات على الواجهة البحرية والمرافئ والموانئ وعند اللد تفرع الطريق إلى أورشليم أما عن شعبة بيت حورون أو شعبة عمواس وهى الأطول ومن المحتمل أن يكون الحرس الرومانى أسرعوا بالقديس بولس (أع ٢٣ :

٣١) وتركه الفرسان عند انتيباترس على بعد ٢٣ ميلاً رومانياً من لدة و٥٢ ميلاً رومانياً من أورشليم (طول الميل الروماني ١٦١٨ ياردة وطول الميل الانجليزى ١٧٦٠ ياردة) ولذلك كانت المسافة التى بقى على الخيالة أن يقطعوها فى الصباح التالى حوالى ٢٦ ميلاً رومانياً أو طول الطريق من أورشليم ٧٨ ميلاً رومانياً ولا يمكن إعتبار سرعة السفر مع سرعتها مغالى فيها لأن سفر يوم عادى يقدر فى التلمود بأربعين ميلاً رومانياً.

ثم كان هذا الطريق الذى يصل بين أورشليم عن طريق بيت حورون واللد إلى يافا ومن هناك استمر بجانب شاطئ البحر إلى قيصريه، وكان هذا هو الطريق الذى اتبعه بطرس وزملاؤه عندما استدعى لأن يذهب ويبشر بالانجيل إلى كورنيليوس (أع ١٠ : ٢٣ - ٢٤). وعند اللد على بعد ٣٢ ميلاً رومانياً من أورشليم شفى إينياس ذلك الشفاء الاعجازى، وبالقرب منها على بعد بضعة أميال أقام طابيثا ومعناها (غزالة) من الأموات (أع ٩ : ٣٢ - ٤٣).

والطريق العظيم الذى امتد من الجليل إلى أورشليم مروراً بالسامرة ثم يتفرع عند شكيم شرقاً إلى دمشق وغرباً إلى قيصرية. ولسنا فى حاجة أن نقول الكثير لأنه وان يكن أقصر كان المسافرون اليهود يتجنبون هذا الطريق بينما كان ربنا يسوع يمر من هذا الطريق فى ذهابه إلى أورشليم وفى عودته منها، والطريق من أورشليم شمالاً تفرع عند مدينة جوفنة ومن هناك بعد ديوسبوليس انتهى إلى قيصرية. ولكن كان المسافرون اليهود عادة يأبون على أنفسهم المرور خلال السامرة مفضلين على ذلك مواجهة أخطار قطاع الطريق الذين كانوا يكمنون لهم فى الطريق.

والطريق العظيم الذى امتد من أورشليم إلى بيت عنيا ثم إلى أريحا وهناك كانوا يخوضون الأردن وامتد الطريق إلى جلعاد، ومنها هناك امتد إما جنوبا أو شمالاً إلى بيريه حيث كان المسافر يستطيع أن يشق طريقه إلى الجليل. ويمكن أن نلاحظ هنا أن كل هذه الطرق تجارية كانت أو حربية كانت كما يقال فى اليهودية أنها تفرعت من أورشليم أو تجمعت فيها.

ولكن الطريق السادس العظيم الذى اخترق الجليل لم يكن أصلاً طريقاً يهودياً بل وربط بين الشرق والغرب، بين دمشق وروما ومن دمشق امتد عبر الأردن إلى

كفرناحوم، ثم إلى طبريه فنايين (حيث تقاطع مع طريق من السامرة) ثم إلى الناصرة ومن هناك إلى بتولومايس ولذلك كانت الناصرة بسبب موقعها تقع على الطريق العالمي العظيم، فكان كل ما يقال هناك يتردد صداه في كل فلسطين وينتقل إلى أقصى أراضي الشرق والغرب.

ولا حاجة بنا إلى أن نقول أن الطرق التي تتبعناها هي وحدها الطرق التي تتبع خطوط المواصلات الأساسية، ولكن اخترق عدد كبير من الطرق الثانوية القطر في جميع الاتجاهات .وفي الواقع منذ الأزمنة القديمة يبدو أنهم أبدوا اهتماماً بالغاً لسهولة المواصلات في الأرض كلها، فمنذ أيام موسى نسمع عن طريق الملك (عدد ٢٠ : ١٧ - ١٩و ٢١ : ٢٢). وفي اللغة العبرانية هناك مصطلحان عامان ديريك وأوراك(derech, orach), فضلاً عن ثلاثة مصطلحات أخرى تدل على التوالي على الطريق المطروق المدوس (ناثيف والمشتق من ناثاف أي يطأ)، والطريق المصنوع أو المصبوب (المسيللاه messillah المشتق من سالال ومعناه هبط على). وهناك أيضاً طريق الملك وواضح أن هذا الأخير للأغراض القومية ينفق عليه من الأموال العامة وفي أيام الملوك (١ مل ١٢ : ١٨)، بل وقبل ذلك بكثير كان هناك طرق للعربات المنتظمه، ولو أننا لا نستطيع أن نؤيد يوسيفوس فيما قاله عن أن سليمان أمر أن تمهد الطرق الأساسية وتغطى بحجارة سوداء من المحتمل ببازلت وفرضت المكوس على الطرقات في أيام عزرا (عزرا ٤ : ١٣ - ٢٠)، ولكن الكهنة كانوا معفيين منها كما أعفوا من كل الضرائب . (عذرا ٧ : ٢٤) .وكان من الضروري أن الطرق المؤدية إلى مدن الملجأ تظل في حالة جيدة (تث ١٩ : ٣). وطبقاً لما ما ورد في التلمود كان يجب أن يكون اتساعها ٤٨ قدماً وكان يجب أن تزود بالقناطر وبلافتات حيثما غير الطريق اتجاهه.

ولننتقل إلى الأيام الأخرى ففي أيام الرومان كما كان متوقعاً أنهم أبدوا عناية كبيرة بطرق المواصلات في القطر، فكانت الطرق الحربية مرصوفة ومزودة بعلامات أميال، ولكن الطرق الزراعية كانت طرقاً غير واسعة. ويميز التلمود بين الطرق العامة والطرق الخاصة، فكان من الواجب أن يبلغ اتساع الطرق العامة ٢٤ قدماً وأما الطرق الخاصة فيبلغ اتساعها ستة أقدام، ويضاف إلى هذا أن طريق الملك وطرق الجنائز ليس لها قياس محدد. وكانت الطرق تصلح سنوياً في الربيع وتعد للصعود إلى الأعياد



الطريق بين أورشليم وأريحا

وتظهر برية اليهودية،وسارالمسيح في هذا الطريق،
وجعله مكاناً لمثل السامري الصالح (لو ١٠ : ٢٥ - ٣٥).



دعوة متى العشار

«وبعد هذا خرج فنظر عشاراً اسمه لاوي جالساً عند مكان الجباية، فقال له اتبعني.
فترك كل شيء وقام وتبعه». (لو ٥ : ٢٧ ، ٢٨).

الكبرى. ولمنع امكان حدوث أخطار لم يكن يصرح بأى أبنية سفلية تحت الطريق العام مهما روعى فيها من قواعد الوقاية. وكان يجب أن تقطع فروع الأشجار الممتدة بحيث تسمح على راكب الجمل أن يمر وكان هناك قاعدة مشابهة تطبق على الشرفات والكوات وكل بروز فى الأبنية، وما كان يسمح لمثل هذه أن تسبب ظلمة الشارع، وكل من كوم أشياء فى الطريق أو أسقطها من عربة عليه أن يعوض المسافرين عن أى أضرار تحدث بسببها. وفى الواقع كانت تعليمات رجال المرور فى المدن والكور المجاورة أشد دقة وصرامه. وهناك مراسيم تنص على وجوب إزالة الأشجار النخرة والجرداء الخطرة فى مدى ثلاثين يوماً لوجوب رش الطرق، وتحريم إلقاء أى شىء فى الشوارع أو ترك مواد البناء أو الزجاج المكسور أو الأشواك وهناك أيضاً تعليمات خاصة بالأمن والصحة.

وكان المسافرون يمرون على هذه الطرق وكانوا أولاً قلة أكثرهم حجاج، وبمرور الزمن زاد عددهم بازدياد التجارة وتطور الحياة السياسية والاجتماعية، وكانت الرحلات على الأقدام وعلى الحمير وفى العربات (أع ٨ : ٢٨)، وذكر ثلاثة أنواع من العربات نوع مستدير (ربما يشبه الكارته) وآخر مستطيل والثالث كارو لنقل البضائع. ويجب أن نفهم أن السفر لم يكن سهلاً أو مريحاً وكان الناس عامة يسافرون جماعات ومن هذه سفر جماعات المعيدين الذاهبين إلى أورشليم، وفيما عدا ذلك كان على المسافر أن يعد للرحلة كما لتغيير مسكنه ويزود بالخيام والأطعمة وكل ما يحتاجه فى السفر، ولم يكن الأمر صعب كما أوردنا على البائع المتجول الذى كان يرحب به الجميع كصديق فى كل حى مر به، لأنه ينقل الأخبار كل يوم ويتبادل محصولات حى بمحصولات الآخر ويعرض آخر السلع التجارية والترفيهية الكمالية أما الخطابات فكان يقوم بنقلها رسل خاصة أو يقوم بذلك المسافرون.

وفى مثل هذه الظروف كان للوصية القائلة «لا تنسوا إضافة الغرباء» (عب ١٣ : ٢) معنى خاصاً وكان إسرائيل يمتاز بإضافة الغرباء ولم يوص بذلك وتعلم به التوراة وحدها فقط بل الرابى (المعلمين) وأوصوا بأقوى الكلمات ففى أورشليم ما كان أحد ليعتبر منزله خاصاً به، وقيل أنه أثناء أعياد الحج لم ينقض أحد إستقبالاً لائقاً والرسالة المسماة أبوث Aboth تذكر المثلين الآتين من ثلاثة أمثال قالها موسى ابن يوكنان من أورشليم: «أفتح أبوابك على مصراعيه وليكن الفقراء أطفال منزلك». ولابد أن يجد

قراء العهد الجديد لذة ومتعة عندما يعلمون ما ورد فى التلمود عن أن بيت فاجى وبيت عنيا اللذين يقترنان بذكريات عزيزة فى هذا الصدد اشتهرتا بكرم الضيافة لحجاج الأعياد. وكانت هناك عادة فى أورشليم أن يسدلوا ستارة على الباب الأمامى ليشيروا أنه لازال هناك متسع لضيوف، وبلغ الأمر بأحدهم أن يقترح فتح أربع أبواب لكل منزل ليرحب بالمسافرين من كل جهة وكان رب البيت يسرع لإستقبال ضيف مرتقب ثم بعد ذلك يرافقه لمسافة كبيرة (أع ٢١ : ٥).

وصرح المعلمون (الرابى) بأن الكرم والضيافة جديران بالمدح والتقدير أكثر من التبكير بالحضور للدراسة، ولم يكن لديهم تعبير أقوى من هذا للتعبير عن ذلك وخاصة إذا أخذنا فى إعتبارنا قيمة الدراسة عندهم وبالطبع كانوا يعطون التفضيل فى هذا الصدد لطائفة الرابى (المعلمين) فقالوا أن الكرم فى ضيافة حكيم وتقديم هدايا له عند مغادرته المنزل لا يعادلها استحقاقاً وبراً إلا تقديم الذبيحة اليومية.

ولكن لا يزال هناك سوء فهم فيما يختص بواجب كرم الضيافة أو العناية بالفقير والمريض ومحبتهما، لم يكن من الممكن للرابانيين (المعلمين) أن يعبروا بأكثر من هذا ولذلك أعلن البعض أن اضافة المسافرين لا يعادلها إلا إضافة الشيكيناه (النور الإلهى) وهذا يكسب الوصية إلى العبرانيين سمة خاصة (عب ١٣ : ٢) ولا تنسوا إضافة الغرباء فإن بها أضاف البعض ملائكة وبخصوص هذا الموضوع فإن لواحدة من أقدم التعليمات الربانية (للمعلمين) توضيح مضىء جميل على (مز ١٠٩ : ٣١) وهى الرب يقف عن يمين الفقير وفى تفسير هذه الآية كلما وقف فقير ببابك يقف القدوس تبارك اسمه عن يمينه فإذا أعطيته إحساناً فأعلم أنك ستنال جزاءك من الواقف عن يمينه، وفى تعليق آخر إن الله وملائكته يزوران المرضى. ويعد التلمود الضيافة من الأشياء التى ستنال جزاءها فى هذا العالم وفى العالم الآتى، وفى مقطوعة أخرى نؤمر أن نتعلم من الله أربعاً هو كسى العريان (تك ٣ : ٢١) زيارة المريض (تك ١٨ : ١) تعزية الحزانى (تك ٢٥ : ١١) دفن الميت (تث ٣٤ : ٦).

وفى معالجة موضوع الضيافة أبدى المعلمون (الرابى) كما فى علاقات الحياة منتهى الرقة واللطف والذكاء ومعرفة العالم وكثيراً من روح الفكاهة، ويتطرقون إلى تفاصيل كثيرة فيصفون الطريقة التى يستقبل بها رب البيت ضيفه، فعليه أن يبدو

سعيداً مسروراً وهو يستضيف ضيفه وأن يقوم بخدمته وأن يَعدْ قليلاً ويعطى كثيراً وأضافوا مستطردين: « أعتبر كل الناس قطاع طريق ولكن عاملهم كأنهم الرابى غمالائيل نفسه» . وفى نفس الوقت يضعون للضيوف قواعد الأدب والشكر والإمتنان ويقولون «لا تلقى حجراً فى العين التى شربت منها » ويقولون: «أن الضيف الصالح يعترف بكل الجميل وبكل الإهتمام الذى أبداه مضيفه بينما الزائر الشرير يقول: وأى إهتمام أبداه لى، وبعد أن يقول أنه لم يحصل فى دار مضيفه إلا القليل يختتم قوله ومع ذلك إنما فعل ما فعل لأجل زوجته وأولاده» وفى الحقيقة بعض الأقوال فى هذا الموضوع تتطابق تطابقاً ملحوظاً مع توجيهات سيدنا لتلاميذه عندما أرسلهم (لو ١٠ : ٥ - ١١) إذ أوصى بالسؤال عن سلامة العائلة وألا يذهبوا من منزل إلى منزل وأن يأكلوا مما يقدم لهم وفى النهاية يباركونهم.

وكل هذا كان ينطبق بالطبع على الضيافة فى العائلات أما فى الطرق غير المأهولة حيث تتباعد القرى أو خارج المدن (لو ٢ : ٧) . فكان هناك الحانات وأماكن إقامة الغرباء وكنظائرها الحديثة كانت مفتوحة وتبنى عادة على شكل مربع والرواق الكبير فى الوسط ومخصص لدواب الحمل والعربات بينما الحجرات تطل على ممرات وكانت هذه الحجرات غير مؤثثة. ولم يكن منتظراً من المسافر أن يدفع أجراً ومع ذلك بعض المسافرين كان مرتبطاً بالخان وكثيراً ما يكون غريباً أجنبياً ولا يدفع أجراً بل يقدم شيئاً يحتاجون إليه، ولنا مثل لهذا فى تاريخ السامرى الصالح كما نعلمه من المثل (لو ١٠ : ٣٥) وذكرت أمثال هذه المضايف (بيوت الضيافة) قديماً فى تاريخ موسى (تك ٤٢ : ٢٧)، ويسميهم أرميا أماكن الغرباء (أر ٤١ : ١٧)، وترجمت فى النسخة الأصلية النزل وفى التلمود سميت بأسماء اغريقية أو لاتينية فى شكل آرامى واحداها هو المستعمل فى (لو ١٠ : ٣٤) مما يثبت أن هذه الأماكن أنفق عليها الأغراب وبنيت لهم وفيما بعد هذه الأيام نقرأ عن الأسهبيزا oshpisa وكما هو واضح مشتقة من هوسبيتيوم Hospitium مما يدل على أصلها الرومانى «منزل استقبال عام» حيث الطعام جراد مملح أو مقلى فى الدقيق أو العسل وكان يقدم خمراً (البيرة) من مديان أو من بابل أو خمراً من مصر أو شراب تفاح أو نبيذاً، من انتاج محلى وانتشر بين أصدقاء الرخاء أو الحظ أمثال منها «من يأكل ولا يشرب يكون كمن يستهلك دمه» وهؤلاء انقسموا فى الضجة والصخب وألعاب الحظ وبددوا أموالهم

بعيش مسرف وفى هذه الأماكن كان جواسيس هيرودس يكشفون آراء الجمهور وهم منكبون على كؤوسهم، وكان هناك كثير من هؤلاء، وكما ورد فى يوسيفوس كان الجواسيس يحيطون بالناس فى المدن وفى الريف يستمعون أحاديثهم وهم يتظاهرون بصداقاتهم وكسب ثقتهم غير المحدودة، ويقال أن هيرودس نفسه كان يعمل كجاسوس وكان يكمن فى الشوارع فى الليل متنكراً ليسمع أحاديث الناس ويوقع فى حبائله المواطنين غير الحذرين والمستهترين وفى الواقع فى فترة طويلة يبدو أن المدينة كانت تحت الحكم العسكرى فكان محرماً على المواطنين أن يجتمعوا أو يمشوا أو يأكلوا معاً، وطبعاً محرم عليهم عقد اجتماعات عامة والتظاهر واقامة الحفلات، ويسجل التاريخ الانتقام المخيف الذى أنزله عليهم لأقل شبهة. ويقص العهد الجديد قصة قتل الأطفال فى بيت لحم (مت ٢ : ١٦) حتى يقضى على النسل الملوكى من بيت داود ويتفق هذا تماماً مع ما نعرفه عن طبيعة هيرودس وحكمه، ويؤكد التلمود تأكيداً غير مباشر هذه القصة لأنه يوجد دليل على أن سجلات المواليد فى الهيكل أبيدت بأمر هيرودس. وما تلاه من ظهور حقيقة واضحة وهو أن اليهود ردوا على ذلك بكراهية مرة شديدة بلغت أنهم جعلوا يوم وفاة هيرودس عيداً سنوياً لا يجب فيه إظهار الحزن.

ولكن سواء مرّ المسافر خلال مدينة أو فى الريف بالطرق الجانبية الهادئة أو بالطرق الكبيرة فكان هناك منظر وموقع يفرض نفسه على إنتباهه وان كان من أصل يهودى يثير فيه الغضب والاحتقار والمقت. فأينما ذهب فإنه كان يقابل فى الحضر والبادية جابى الضرائب الأجنبى المعروف وكان يقابل بوقاحته المعهودة وبتدخله المثير للغيظ والحنق وبما يفرضه، وكان ينظر إليه كرمز خضوع إسرائيل للسيادة الأجنبية فكان يثير فى نفوسهم مرارة الحقد ومع ذلك لم يكن لهذا علاقة بما كان يكنه الرابى (المعلمين) من الكراهية والمقت لطبقة جامعى الضرائب، الذين اعتبروهم خارج نطاق أو حدود المجتمع اليهودى وإنما تعزى هذه الكراهية إلى تجرد هؤلاء تجرداً تاماً من الخجل والحياء ومن نوازع الضمير الحى فى معاملاتهم لأنه منذ عودة اليهود من بابل لابد أنهم تعودوا على الضرائب الأجنبية اللهم إلا فى فترة قصيرة، وفى زمن عزرا (عزرا ٤ : ١٣ - ٢٠، ٧ : ٢٤) كانوا يدفعون للملك الفارسى ضرائب على الأراضى والدخل والممتلكات وعلى الاستهلاك والمستورد والطريق العامة وعوايد هى

ضرائب على الاستهلاك أو الواردات والصادرات وضرائب على الطريق. وفى أيام البطالسة كان جمع الضرائب يعطى لمن يقدم أكبر قدر وكانت تختلف بين ٨ و ١٦ وزنة أى فيما بين ٣١٤٠ جنيه إسترلينى و٦٢٨٠ جنيه مما مكن البعض من الحصول على ثروات ضخمة هذا بالرغم من أنهم كانوا يضطرون لشراء أسلحة وللتقرب إلى البلاط، وفى الحكم السورى كانوا يفرضون جزية وضرائب على الملح وثلث ناتج ما يبذر ونصف إنتاج أشجار الفاكهة فضلاً عن ضريبة الرؤوس وضريبة المستهلك وضريبة تسمى نقود التاج كان فى الأصل عبارة عن هبة سنوية عملة ذهبية تسمى كرون crown. وفى حكم أسرة هيرودس كان الدخل الملكى يتكون من إيراد أراضى الملك ومن ضريبة دخل وضريبة ممتلكات ومن ضرائب الصادرات والواردات وعلى كل ما يباع ويشترى علناً ويضاف إلى كل هذا ضرائب على المنازل فى أورشليم.

ومع أن كل هذه الضرائب لابد وأنها كانت ثقيلة على شعب فقير معظمه زراع إلا أنها كانت كلها ضرائب مدنية لا مستحقات دينية، ولكن رغم عظم ما ذكرناه لم نذكر كل ما كان مطلوباً من شخص يهودى لأن كل مدينة وكل مجتمع كان يفرض ضرائبه لصيانة المجمع والمدارس الإبتدائية والحمامات العامة ولمساعدة الفقراء وصيانة الطرق العامة والأسوار والبوابات والضروريات العامة. ومع ذلك يجب أن نصرح بأن السلطات اليهودية وزعت ثقل الضرائب المدنية توزيعاً سهلاً رحيماً واستخدمت الدخل من الضرائب للصالح العام بطريقة لم تصل إليها أرقى الأقطار وتعتبر التنظيمات الرابية من كل الوجوه متقدمة على التشريع الحديث ولو أنهم كانوا حريصين أن يضعوا على أنفسهم حملاً ثقيلاً وضعوه على غيرهم إذ أعفوا من الضرائب المدنية كل من كرّس نفسه لدراسة الشريعة.

ولكن نظام الضرائب الرومانى الذى وضع على أكتاف اسرائيل ثقلاً ساحقاً ؛كان واحدا من نوعه تماماً كان منظماً قاسياً لارحمة فيه ولا يعتد بأى شيء إعتداداً ما، فكانت ولايات الامبراطورية الرومانية عامة وما كان تابعاً لهم من فلسطين خاضعة لنوعين من الضرائب العظيمة، ضريبة الدخل وضريبة الأرض والممتلكات والدخول التى لا تدخل تحت ضريبة الأرض كانت تدخل تحت ضريبة الدخل التى بلغت فى سوريا وكيليكيا ١ ٪ ، وكانت ضريبة الدخل تشمل ضريبة الدخل وضريبة الرؤوس التى كانت تعرض على كل الأشخاص عبداً كان أو حراً حتى سن الخامسة

والستين، وكانت المرأة خاضعة لها من سن الثانية عشرة والرجال من سن الرابعة عشرة، وكانت ضريبة الأراضي الزراعية بقدر عشر الحبوب وخمس الخمر والفاكهة تدفع نصفها عينياً ويحسب النصف الثاني نقداً. وفضلاً عن ذلك كانت هناك ضرائب ومكوس على الصادرات والواردات تفرض على الطرق العامة الكبرى وفي الموانى، وكانت هناك رسوم القناطر وضرائب طرق، وعلى كل ما يباع ويشترى في المدن وهذه الضرائب التى كانت تسمى الضرائب النظامية لم يدخل في عدادها التبرعات الإجبارية والإعانات الإجبارية لحساب الوالى الرومانى وعائلته ولبلاطه في قيصرية، ولتلافى أية خسارة على الخزينة أخذ كيرنيوس والى سوريا إحصاء منتظماً يكشف عن عدد السكان والدخول وكان هذا فى نظر المعلمين جريمة شنعاء نكراء، الذين تذكروا أنه إذا كان تعداد السكان اعتبر اثماً كبيراً في القديم يكون الشر أكثر مائة ضعف إذا قام به الوثنيون لتحقيق أغراضهم، واعتبر كل يهودى اعطاء جزية لا تعطى إلا لله لإمبراطور وثنى خطأ كبيراً وكان كل يهودى يسأل نفسه أيجوز أن يعطى جزية لقيصر كلما قدم ضريبة الدخل مع نصف الشاقل المخصص للقدس وكلما دفع ضريبة عشر ناتج الزروع والكروم والحدائق الذى طالب به جابى الضرائب مع ما تعود ألا يقدمه إلا لله ذاته، ومع أن اليهود سألوا المسيح أيجوز أن ندفع جزية لقيصر ليصطادوه بكلمة توقعه في حرج سياسى فإن السؤال فى ذاته يكشف كيف أن المسألة كانت تسبب ضيقاً وإنفعالاً شديداً لليهود المخلصين لوطنهم مما كلفهم أنهاراً من الدماء ولم يحصلوا على رد بل أرغموا على السكوت.

وكان للرومان طريقة خاصة فى جمع الضرائب فلم يكونوا يجبونها بطريقة مباشرة بل بطريقة غير مباشرة تضمن للخزانة حقوقها مهما أوقعت من ضرر على دافع الضرائب وفى نفس الوقت عبء تكاليف جمع الضرائب. وكان أعضاء مجلس الشيوخ والقضاة محرومين من الاشتغال بالأعمال أو التجارة ولكن الطبقة العليا طبقة الفرسان كانت مكونة من كبار أصحاب رؤوس الأموال، وكوّن هؤلاء الفرسان شركات مساهمة الذين اشتروا فى المزادات العامة دخل الولاية بثمن محدد لمدة خمس سنوات وكان لمجلس إدارة الشركة رئيس أو القاضى ومكاتب فى روما وهؤلاء هم الببليكانى publicans الحقيقيون أى العشارون الحقيقيون وكانوا يؤجرون لغيرهم بعض الضرائب، وكان هؤلاء الببليكانى (العشارون) ومن يؤجرون يوظفون إما عبيداً

أو بعضاً من الطبقات الدنيا فى القطر ويسندون إليهم مهمة جمع الضرائب، وهؤلاء هم العشارون الذين نقرأ عنهم فى العهد الجديد وكانت ضرائب أخرى تجمع بهذه الطريقة وكان بعضها ثقيلاً ويبلغ إلى إثنين ونصف فى المائة من قيمة البضائع أو خمسة فى المائة أو إلى ١٢,٥ ٪ على الكماليات. وكانت ضرائب المرافئ أعلى من الضرائب العادية وكانت عقوبة التهريب أو الإعلان الخاطئ مصادرة البضائع، وهكذا كان يجمع العشارون ضرائب الصادرات والواردات ورسوم القناطر ورسوم استعمال الطرق، وإذا كان السكان الآمنون وزراع الأرض والتجار والصناع معرضين بإستمرار إلى مطالبتهم فإن المسافر والقوافل والتاجر المتجول كثيراً ما يصادف وجودهم ومضايقاتهم عند كل قنطرة وعلى طول الطريق وعند مداخل المدن فكانوا يأمرون بإنزال كل حمولة ويلقون بمحتوياتها على الأرض ويفتشون فيها، وكانت تفتح الخطابات ولابد من تحمل اهاناتهم والاستسلام لإدعاءاتهم الباطلة فى التقدير الجزافى لعائد الأرض والدخل وقيمة البضائع، كان يتطلب ما اتصف به الشرقيون واعتادوه من الصبر لأنه كان باطلاً استئناف أحكامهم مع أن القانون كان يسمح بذلك؛ لأن القضاة أنفسهم كانوا المستفيدين من هذه الضرائب، لأن أولئك الذين كان تقدم أمامهم الشكاوى من هذا القبيل كانوا ينتمون إلى طبقة الفرسان وهم نفس الأشخاص القائمون بجمع الضرائب ومن الطبيعى أن الشركة المساهمة للعشارين فى روما كانت تنتظر أرباحاً مجزية وكذلك جباة الضرائب فى الولايات وكذلك أولئك الذين باعوا لهم فى ظروف خاصة تلك الضرائب وأراد كل هؤلاء أن يكسبوا الأموال من الفقراء وكان من الطبيعى أن يضاف تكليف جمع الضرائب ونستطيع أن ندرك كيف أن زكا أحد المشرفين على جباة الضرائب فى اقليم أريحا التى كان لابد من أنها تنتج دخلاً كبيراً من زراعة وتصدير البلسم عندما تذكر حياته الماضية يقول «وإن كنت قد وشيت بأحد أو سلبت أحداً» (لو ١٩ : ١٨) لأنه لم يكن هناك أمر أكثر شيوعاً من أن عشاراً يقدر ممتلكات شخص أو دخله تقديراً خيالياً وهمياً، وكانت هناك حيلة شائعة بينهم وهى أن يقدموا قيمة الضرائب لمن يعجز عن السداد ثم يفرضون عليها أرباحاً ربوية على ما أصبح ديناً خاصاً. ويظهر من العهد الجديد نفسه كيف كانت مثل هذه الديون تسترد بسرعة وبقسوة، ففى (متى ١٨ : ٢٨) نقرأ عن الدائن الذى يمسك بالمدين من رقبته فى الطريق ويجره إلى السجن

وذلك من أجل مائة دينار أى ٣ جنيه و٦ شلن و٨ بنس، ونقرأ عن الرجل البائس يلقى بنفسه عند أقدام الدائن ويلتمس منه الصبر وذلك من خوفه من النتائج ونعلم النتائج من نفس المثل حيث يهدد الملك ببيع كل ممتلكات المدين وإمرأته وأولاده فيصبحوا عبيداً وأية مهلة ينتظرها ذلك الرجل البائس من القاضى حتى تبدو من الإجراءات السريعة التى انتهت بالسجن حتى يوفى الفلس الأخير (لو ١٢ : ٥٨).

ومع ذلك ففى روما البعيدة يصف كيكرو cicero العشارين Publican قائلاً:† «أنهم زهرة الفروسية، زينة الدولة، قوة الجمهورية، أكثر الناس استقامة، وأجدرهم بالاحترام. ولذلك يعذر الرابى (المعلم) اليهود فى فلسطين البعيدة فى بغضهم الشديد للعشارين، ولو أنهم بلغوا فى ذلك حداً من الإفراط والإسراف، بحيث أعلنوا عدم صلاحيتهم للشهادة فى محاكم الشريعة اليهودية، وتحريم إستلام عطاياهم وإحساناتهم أو حتى استبدال العملة من خزائنهم، بل أنهم لم يكتفوا بإعتبارهم مع الزانيات والوثنيين بل اعتبروهم قطاع طرق وقتلة وإعتبروهم محرومين، وفى الحقيقة اعتبر شرعياً أن يكذبوا فى قيمة عائداتهم وأن يكذبوا أو يتبعوا طرقاً للتهرب من الضرائب وفى زمن المسيح كان عبء الضرائب أثقل ما يكون بسبب الأزمة العظيمة فى الإمبراطورية الرومانية (عام ٣٣ للميلاد) التى سببت إفلاس الكثيرين ولم يكن من الممكن حدوثها بدون تأثيرها غير المباشر حتى على فلسطين مع بعدها.

ومن مثل هؤلاء ومن الجليليين المحتقرين ومن الصيادين العاميين ومن العشارين المحرومين، اختار السيد المبارك فى تواضعه ووداعته خاصته من الرسل وأقرب أتباعه فما أبعد ذلك عما علّمه الفريسيون عن المسيا ومملكته ويا له من درس يرينا أنه ليس بالقوة ولا بالقدرة ولكن بروحه، وأن الله اختار أدنياء العالم والمزدرى بهم، ليخزى الأقوياء ويقدم لنا هذا مشكلة أصعب حلاً من غيرها لأولئك الذين يفسرون كل شيء بأسباب طبيعية، ومهما قالوا عن تفوق تعاليم المسيح وتساميها ليفسروا نجاحه فليس هناك دين ثقل بأكثر مما ثقل به إنجيل المسيح، أو ظهر فى ظروف أسوأ مما أظهر اليهود فى فلسطين، وحتى من هذه الوجهة فليس هناك ما يعلل قيام مملكة المسيح أمام دارسى التاريخ الذى يعلم علماً عميقاً حياة هذه الفترة الداخلية والخارجية إلا قوة الروح القدس.

وكان متى لاوى ضابطاً لدار الجبايه عندما دق صوت سيدنا فى داخل أعماقه، يدعوه إلى عمل يختلف اختلافاً كبيراً عن العمل الذى كان يعمل ومن أعجب العجب أن يتحدث الواحد القدوس إلى واحد مثل هذا، وفى نبرات تختلف كثيراً عما اعتاد سماعها ولم يكن فى هذه الدعوة تنازل أو شفقة أو تعاطف أو ألفة أوتعامل مع شخص يعتبر من طبقة المنبوذين إجتماعياً بل كان فيها صداقة وحب بل دعوته ليكون من أخلص خلصائه. هى دعوة لأسمى وأقدس عمل قدمه السيد للاوى ومنذ ذلك الوقت لن يرى الطريق المزدحم الذى اعتاد أن يجلس عليه ليجمع الضرائب وجه لاوى المألوف ولكن وجه رسول السلام الذى يبشر بأخبار الفرح والمسرة.

الفصل الخامس
فى اليهودية

إذا كان للجليل أن تفخر بجمال مناظرها وعظم إنتاج تربتها وتنوعه وبأنها مركز الحياة التجارية وأنها طريق التعامل مع العالم العظيم خارج فلسطين، فلم تكن اليهودية لتشتهى هذه المميزات أو تحسدها عليها إذ كان لها ما تفتخر به. فإن الجليل قد تكون الرواق الخارجى أما اليهودية فكانت مقدس إسرائيل الداخلى، حقيقة أنها قاحلة وتلالها صخرية جرداء وبريتها موحشة، ولكن حول جبالها الجيرية الشهباء تجمع التاريخ المقدس، ويمكن أن نقول تجمع وحى خيالها وأحلامها وآمالها كما تجمعت أيضاً ديانتها. فإن الحاج إذا ما أدار ظهره للجليل بكل ثرائه ووفرته فإنه يستمر فى الصعود إلى أورشليم بالمعنى الحرفى للكلمة يصعد، فالتلال الدائمة تظل ترتفع حتى يرى أعلاها مقدس إله أسمى من كل ما حوله مجيداً عظيماً فى نقاء رخامة الثلجى ولمعان ذهبه، وكلما خفت طنين الحياة التجارية فى أذنيه وتوغل فى السكون والوحدة الرزينة يبدو وكأن المناظر المعروفة التى مرت متعاقبة أمامه كانت قد أيقظت صدى تاريخ شعبه، فأولاً اقترب من شيلوه أول مقادس اسرائيل حيث استقر تابوت العهد ثلثمائة وسبعين سنة إلا واحدة كما يخبرنا التقليد ثم ظهرت بيت إيل بآثارها المقدسة لتاريخ الآباء وفيها حتى ملاك الموت كما يفسر المعلمون جرد من قوته، ثم وقف على هضبة الرامة بمرتفعات جبعون وجبعه المجاورة التى تجمع حولها كثير من حوادث التاريخ اليهودى، ففى الرامة ماتت راحيل ودفنت ونعلم أن يعقوب أقام عموداً على قبرها. وإن إحترام الشرقيين لمقابر الشخصيات التاريخية العظيمة يدعونا إلى الاعتقاد أنه كان نفس العمود الذى يدل على موقعه فى أيام سيدنا ومقابله كان قبرى بلهة ودينا، وهذا العمود الذى يبعد عن أورشليم بمقدار خمسة أميال فقط كان علامة معروفة وبجوار الأثر الذى يذكرنا بحزن يعقوب وعاره اجتمع الأسرى قبيل سبيهم إلى بابل (إر ١١ : ١)، وكان هناك عويل مر عندما افترقوا عن الذين خلفوهم وراءهم وازاء عويلهم وهم يتطلعون أمامهم إلى عبودية لا أمل فى الفكاك منها، فلما ذبح المسنون والمرضى والضعاف والنساء والأطفال دون شفقة أو رحمة

على مرأى من أصدقائهم وأقاربهم ومواطنيهم اشتد العويل والبكاء، وإنما فعلوا ذلك تخفيفاً من أثقال الغزاة عند عودتهم ولكن كان على عمود راحيل أثر حزن وخزى يعقوب بعد أن شهد بكاء وعويل مرتين أن يردد صدى عويلها على مذبحة وأسر أشد ضراوة وأسى، عندما ذبح هيرودس الأدومى الأطفال الأبرياء لكى يذبح ضمن من ذبحوا ملك إسرائيل ويبيد مملكة اسرائيل. وهكذا امتلأ كأسها من العبودية والذبح السابق وتمت نبوة أرميا النبى الذى أظهر حزن راحيل على أولادها (متى٢ : ١٧ - ١٨).

ولكن إلى الغرب من هذه المواقع حيث تنحدر الجبال درجات فى بعض الجهات أو إنحدرت إنحدراً فجائياً تجاه الشفيلة أو إقليم التل بجوار البحر، وهنا مواقع انتصارات عديدة فهنا طارد يشوع ملوك الجنوب وفيها انقض شمشون على الفلسطينيين وهنا قامت الحرب لسنين طويلة مع فلسطين العدو الرئيسى لإسرائيل. فإذا درنا من هناك إلى الجنوب فيما وراء العاصمة وجدنا بيت لحم الملوكية وبعدها مدينة الكهنة حبرون بكهوفها وفيها أثمن تراب إسرائيل والهضبة والمرتفعات، كانت برية يهوذا التى سميت بأسماء القرى المبعثرة هنا وهناك والبرية خربة خاوية يستأجرها راع منعزل أو مالك عظيم كنابال كانت أغنامه ترعى فى المرتفعات وفى الأودية. وكانت لمدة طويلة موطناً للخارجين على القانون أو لأولئك الذين سئموا العالم وابتعدوا عن اتباعه، وكانت الكهوف الجيرية مخابئ لداود ولرجاله وكم من جماعة لصوص وقطاع طرق التجأت إلى هذه البرارى وهنا أيضاً أعد يوحنا المعمدان لعمله. وهنا فى الوقت الذى تكتب عنه لجأ الاسينيون وفى أمل باطل أن يجدوا النقاء والطهارة بالانعزال عن العالم والتعايش معه فلجأوا إلى هذه الفلوات. وفيما وراء ذلك فى تجويف غامض عميق امتد السطح المستوى للبحر الميت الأثر الدائم لله ولدينونته، وعلى شاطئه الغربى القلعة التى سماها هيردوس باسمه وإلى الجنوب منه عن بعد حصن الماسادا Masada المنيع الذى لا يكاد يبلغه إنسان، وهنا حدثت المأساة فى الحرب اليهودية. ومع ذلك من برية وخراب البحر الميت ليس إلا بضع ساعات ونصل إلى ما يبدو أنه فردوس أرضى فهناك تقع مدينة أريحا الهامة يحيط بها ويحميها أربعة حصون وبنى هيرودس أسوارها ومسرحها ومدرجها الضخم وبنى ارخيلاوس قصرها الجديد تحيط به الحدائق الفخمة ولقد سار خلال أريحا طريق الحجاج من الجليل وهو الطريق الذى سار فيه سيدنا نفسه

(لو ١٩ : ١) ومر من هناك طريق القوافل الذى ربط بين دمشق وبلاد العرب. وكانت خصوبة أرضها ومحاصيلها المدارية مضرب الأمثال، وكانت أدغال النخيل وحدائق الورود ومزارع البيلسان (البلسم)، وكان أوسعها خلف القصر الملكى كانت أرض الحوريات فى العالم القديم إلا أنها كانت مصدر كسب للأجنبى، إذ إتخذت روما مركزاً لجمع الضرائب بأنواعها التى عرف عنها من تاريخ الإنجيل أنها كانت مصدر ثراء زكا العشار وتجارة أريحا عامة وخاصة تجارة البيلسان (البلسم) الذى اشتهر بأنه له أعذب شذى وبأنه دواء مطلوب فى العالم القديم جعلها مطمع عيون كل من حولها، فكل ما كان يحيط بهذه الجوهرة النادرة غير لائق بها فكان هناك أخدود العربة Arabah العميق وفيه كان الأردن يسير فى إنحناءات أولاً بإندفاع ثم بدا بإقترابه من البحر الميت، وكأنه يكره أن يضيع ماؤه فى تلك الكتلة المملحة وكان من بين الذين التقوا فى هذا الموقع القريب الحجاج والكهنة والتجار وقطاع الطرق والنساك المتوحدون من الرهبان والمتعصبين وعلى مسمع منها كانت الأصوات المقدسة من جبل الهيكل عن بعد.

وقد يكون صحيحاً ما قاله المؤرخ الوثنى عن اليهودية أنه ما كان لأحد أن يرغب أن يقوم بحرب للاستيلاء على اليهودية لذاتها، فلقد كان اليهود على استعداد للتنازل عنها لذاتها، فلم يكن الثراء المادى هو الذى جذبه إليها ولو أن الثروة التى وردت للهيكل من جميع أنحاء العالم هى التى جذبت جشع ونهم الأمم، فاليهودية كانت لليهودى وطنه الحقيقى ومركز حياته الداخلية واشتهاء قلبه «إن نسيتك يا أورشليم تنسى يمينى مهارتها»! هكذا أولئك الذين جلسوا على أنهار بابل يبكون عندما تذكروا صهيون قائلين : ليلتصق لسانى بحنكى إن لم أذكرك إن لم أفضل أورشليم على أفضل فرحى (مز ١٣٧ : ٦٥) ومن مزامير الحج فى الطريق كمزمور ٨٤ أو من مزامير المصاعد إلى المدينة المقدسة نعلم شعور إسرائيل التى تنتهى بفيض من الصلاة والشكر يحيون بها مدينة اشتهائهم عندما تبدو لنظرهم فى كل ردائها وبهائها

«لأن الرب قد اختار صهيون
اشتهاها مسكناً له
هذه هى راحتى إلى الأبد
ههنا أسكن لأنى اشتهيتها

طعامها أبارك بركة
مساكينها أشبع خبزاً
كهنتها ألبس خلاصاً
وأتقياؤها يهتفون هتافاً
هناك أنبت قرناً لدواد
رتبت سراجاً لمسيحى
أعداءها ألبس خزياً
وعليه يزهر إكليله» (مز ١٣٢ : ١٣ - ١٨)

يا لهذه الكلمات الصادقة فى حرفيتها وفى تطبيقها الروحى، يا لهذا الرجاء الذى كون فيما يزيد عن ألفى سنة ولا يزال يكون جزءاً من صلاة اسرائيل اليومية عندما يتضرعون قائلين: «أنبت غصن داود عبدك، إرفع قرن خلاصك». ولكن للأسف إن إسرائيل لا يعلم إتمام هذا الرجاء الذى أعطى بالفعل وعبّر عنه أبو المعمدان فى شكره قائلاً: «مبارك إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه كما يتكلم بفم أنبيائه الذين هم منذ الدهر» (لو ١ : ٦٨ - ٧٠).

مثل هذه البركات وغيرها كثير ولم تكن وحدها موضوع الرجاء بل حقائق عند المعلمين وعند غير المعلمين العاميين وقد جعله يحنى رقبته لنير أوامر ما كانت لتحتمل لغير هذا، ويخضع لمطالب ولمعاملة كانت طبيعية لتثور عليها لو لم يكن هذا رجاءه، ويتحمل الاضطهاد والتعيير والخزى الذى يسحق أى دين آخر، ولمسبيى الشتات كانت هذه هى الحظيرة بكل ما وعدت من مراع خضر وماء راحة وكانت اليهودية هى المعسكر المقدس وفى وسطه الهيكل رمز ونبوة قيامة اسرائيل.

وكان الوقوف ولو لمرة واحدة داخل الأروقة المقدسة والاشتراك مع مصليها وإحضار التقدمات ورؤية الكهنة يخدمون فى أرديتهم البيضاء، وسماع ترانيم اللاويين ورؤية دخان الذبائح يرتفع إلى السماء، والمشاركة فى كل هذا، كان حلم حياته سماء ثانية على الأرض إتمام النبوة، فلا عجب أن يزداد سكان أورشليم وما حولها داخل النطاق المقدس ويصبح ملايين من بينهم رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء (أع ٢ : ٥) وكلما توالت العلامات ازدادت الدلالات على أن النهاية قد اقتربت لأن أزمنة

الأمم كانت قد انقضت وربما يظهر المسيح الموعود فى أية دقيقة ليعيد الملك لاسرائيل ونعلم من يوسيفوس أنهم كثيراً ما رجعوا إلى نبوات دانيال ويرينا عدد كبير من كتب الرؤى ومن أكثرها متعة رغم تعقيدها ما كان التفسير الشائع لنبوة لم تتم، وتظهر هذه الروح بوضوح فى أقدم التراجم للأسفار المقدسة المسماه الترجوميم Targumim ، لا بل إن أعاظم المؤرخين الوثنيين لانتظار عام لامبراطورية عالمية يهودية وينسبون إلى هذا الانتظار أصل الثورة على روما لا بل إن الفلاسفة اليهود فى اسكندرية الذين قامت فلسفتهم على الاستعارة والتشبيه ثم تأثروا بروح الأمل فى تكوين امبراطورية عالمية وفى خارج فلسطين اتجهت كل الأعين إلى اليهودية. وكل جماعة من الحجاج كانت تجلب معها أخباراً عجيبة مدهشة، وكذلك كان يفعل كل تاجر متنقل وفى داخل الأرض كثيراً ما دفعت حُمى قلق هؤلاء المنتظرين إلى الجنون والهوس وبهذا وحده يدفع إلى ظهور مسحاء كذبة واستعداد الجماهير أن ينضموا إلى كل أمنية بعيدة الاحتمال رغم الفشل المتكرر، وهكذا استطاع شخص يدعى ثوداس أن يحرض عدداً كبيراً من الناس أن يتبعوه إلى شواطئ الأردن أملاً فى رؤية المياه تنشق كما حدث أيام موسى. كما استطاع نصاب مصرى أن يحرضهم على الذهاب إلى جبل الزيتون إنتظاراً لرؤية أسوار أورشليم تسقط. لا بل إن هوس التعصب وفتنته بلغت حداً تمكن معه نبى كذاب بينما كان الجنود الرومانيين يستعدون لحرق الهيكل من جمع ٦٠٠٠ رجل وإمرأة وطفل أن يجتمعوا فى أروقة الهيكل وتحت أقبيته إنتظاراً لخلاص السماء. لا ولا سقوط أورشليم ذاتها أطفأ نار هذا الانتظار والأمل إلى أن أطفأت مذبحة أشنع من مذبحة سقوط أورشليم فى الدماء آخر ثورة عامة لليهود ضد روما بزعامة باركوكبا Bar Cochba الذى ادعى أنه المسيا المنتظر.

ومع أنه قد أسئ توجيهها إلى حقيقة مجيئ المسيح أو ميعادها وأيضاً إلى طبيعة روما ذاتها ـ فيما يتعلق بشخص المسيح وطبيعة مملكته فلا يمكن اقتلاع هذه الآراء واجتثاثها إلا عن طريق تاريخ اسرائيل وديانتها، فالعهد الجديد مبنى عليها ونابع منها وكذلك أيضاً العهد القديم والمسيحيون واليهود سواء بسواء تقبلوا هذه الآراء قبولاً حسناً فبلسان القديس بولس وكان هذا رجاء الوعد الذى صار من الله لآبائنا، الذى أسباطنا الاثنا عشر يرجون نواله عابدين بالجهد نهاراً وليلاً (أع ٢٣ : ٦ — ٧). كان هذا هو الذى أرسل فرحة الانتظار فى كل الأمة وجذب الجماهير إلى الأردن عندما

بشر راهب من النساك لا يعرف عنه شيئ لم يدع أنه أثبت صحة رسالته بآية، بشر هذا بالتوبة لإقتراب ملكوت السموات وكان هذا هو الذى لفت نظر الكل إلى يسوع الناصرى، رغم مولده المتواضع وعدم تظاهره بالتعالى ورغم ظروفه واتباعه، والذى أيضاً حول إلتفات الناس من الهيكل ذاته إلى الجليل الحقير البعيد وكان هذا هو الذى فتح كل بيت لكل الرسل الذين أرسلهم المسيح اثنين اثنين، حتى بعد الصلب كما فتح كل مجمع للرسل والوعاظ من اليهودية وكان لقب ابن الانسان مألوفاً لدى كل الذين استمد أراءهم عن المسيا من صفحات سفر دانيال المحذوفة وأدب (كتب الآبوكريفا) الرؤيا المعروف لهذه الفترة وخاصة ما يسمى بسفر أخنوخ الذى احتفظ بهذه التسمية فى ذاكرة الشعب أفاض وأطنب فى الدينونة التى كان سيذلها بملوك الأمم والشعوب [1].

«هل فى هذا الوقت سترد الملك لإسرائيل» كان هذا هو السؤال الخارج من قلب اسرائيل وحتى يوحنا المعمدان فى ظلمة سجنه ووحشته لم يشك فى حقيقة المسيح ولكن فى الطريقه التى بدا أنه يؤسس عليها مملكته [2]، وكان ينتظر أن يسمع طرقات الفأس التى رفعها هو تهوى على الشجرة غير المثمرة، وكان عليه بل بقى عليه أن يتعلم أدق أسرار تلك المملكة التى تقوم لا فى زلزال الغضب أو فى عاصفة الدينونة، ولكن بالصوت الوديع الهادئ صوت المجد والرحمة. وهذا السر هو أن ملكوت السموات كان التسامح والانضمام وليس الاستعباد والطرد وكذلك كان الخلاص والشفاء وليس الهلاك.

---

(١) ما يأتى هو مثل واحد وهو كاف لهذا الغرض : وابن الانسان هذا الذى رأيته سوف يزعزع الملوك والأقوياء من مستقرهم وأساسهم والأقوياء من عروشهم. ويفك ربط الأقوياء ويهشم أسنان الخطاة ويطرد الملوك من عروشهم ومن امبراطورياتهم إذا لم يزيدوه علواً وشكراً، أو إن لم يعترفوا بمن أقامهم على ممالكهم، ويشكرونه وسوف يغطيهم الخزى، وسوف تكون الظلمة مسكنهم والدود فراشهم. والله يكون لهم رجاء القيام من فراشهم لأنهم لم يرفعوا اسمه إله كل الأرواح وسوف يطردون من دور شعبه ودور المؤمنين (سفر أخنوخ).

(٢) القطعة المشار إليها تهمنا كثيراً لأنها قيلت فى تبرئة ساحة شخصية كبيرة فإن تاريخاً يسجل شكوك يوحنا المعمدان (فى طريقه ملكوت السموات)، لا يمكن إلا أن يكون تاريخاً صادقاً وخاصة عندما كانت تبرز صعوبات سببتها رسالة المسيح فى عقلية الشعب، ولم يكن أحد ينتظر أن يعقب إقرار هذه الصعوبات ذلك المديح العظيم الذى مدح به المخلص يوحنا).

أما المعلمون (الرابيون) قادة الرأى العام فكان موقفهم من المملكة مختلفاً جداً، فمع أن باركوكبا وهو (الرابى) العظيم أكيبا الذى يعتبر كحامل العلم الدينى يمكن إعتبار أن باركوكبا استثناء. فكانت طبيعته طبيعة رجل غيور متحمس وتاريخه كقصة خيالية. أما سائر الرابى (المعلمين) فلم يسايروا الشعب فى انتظارهم المسيا. فتاريخ الانجيل وكتاباته جنباً إلى جنب مع كتابات المعلمين يظهر مجافاة لزوح الكنيسة وهو ما قد نتوقعه، كما يظهر بروداً وتباعداً عن مثل هذه الحركات والتشدد فى تطبيق القانون والغيرة العمياء لعقيدة بذاتها.

الهوس الدينى غير التطرف الدينى والأخير هو أصلاً القوة الدافعة لأناس ضلوا فى دينهم وحتى ابتعادهم واحتقارهم «للشعب الذى لا يعرف الناموس» وإعتباره «ملعوناً» يثبت أنهم براء من الهوس الدينى الذى يعترف بأن أى شخص أخوه مادام قلبه يحترق بنفس النار.والمشناه وهو كتاب النصوص العظيم هو كتاب أحكام شرعية بحتية خالصة بكل نتائجها المنطقية العظيمة ولا يخفف من جفافه إلا المناقشات التى وردت به وقصة الأمثلة الدقيقة فيه ولذلك هو لا يتعرض بتاتاً لحركة مجىء المسيح أو للمبادئ الدينية العامة، وكان الميل فى هذا النظام إلى البعد ما أمكن عن حركة مجىء المسيح. وفى نفوس غاية فى التقوى وطبيعة فى منتهى الحماس ربما اتقدت الغيرة واشتعلت. فضلاً عن ذلك فإن دراستهم وحرفيتهم ووظيفتهم كانت نتيجة فى الاتجاه المضاد فضلاً عن ذلك فإنهم علموا يقيناً أنهم لم يتبق لهم إلا قدر قليل من النفوذ والقوة وخشوا على ضياع هذا القدر الضئيل كما أن الخوف من روما كان يستولى عليهم بشدة وحتى عند خراب أورشليم كان كل هَمّ قادة المعلمين أن يحصلوا على أمانهم. وإن تاريخهم المتأخر مليء بحوادث متكررة ظهر فيها الاخلاص لظالميهم الرومان. ولقد عبر السنهدريم بحق عن مخاوفهم الداخلية عندما صمموا على قتل يسوع خوفاً من أنه لو ترك وشأنه وسار الناس وراءه يأتى الرومان ويأخذون مركزنا وأمتنا (يو ١١ : ٤٨). ومع ذلك لم يناقش عقل واحد صريح صحة معجزاته ولم يرتفع صوت واحد نبيل ليؤكد مبدأ حقوق المسيا ومملكته، مع أنهم رفضوا قبول حقوق ومملكة يسوع الناصرى، وإنما مسألة المسيا قد تظهر كنقطة للتأمل والبحث وقد تعرض نفسها على انتباه السنهدريم ولكنه لم يكن موضوعاً يهتمون به إهتماماً شخصياً عملياً لحياتهم. فعندما يقول أحد المعلمين (أى رابى) أنه بين الحاضر وأيام المسيا ليس هناك إلا هذا الفرق الوحيد عبودية اسرائيل كان هناك وجهة واحدة من

المسألة وهى وجهة متطرفة ومع ذلك فهى وجهة متميزة.

وكان هناك مسائل أخرى استرعت إنتباه الرابى (المعلمين) فإنما كان الماضى والحاضر، عن الحاضر فهو تثبيت كل قرارات الشريعة أما الماضى ففيه تقديس هذه، فكانت اليهودية هى المكان الذى ظهر فيه مجد الله مستقراً على عرش الرحمة الأرض التى ارتضى الرب أن يبنى له فيها هيكلاً. وكان مقر السنهدريم مكان التعليم الحقيقى والتقوى الحقيقية. ومن هذا المنطلق كان يحكم على كل شىء فاليهودية كانت الحب والجليل هى التبن وما وراء الأردن كانت كالعصافة، وساكن يهوذا هو اليهودى بين اليهود، ولقد ذكرنا سابقاً تحقير المعلمين (الرابى) للغة الجليل وعوائدها واهمالها للتعليم لا بل أنه من بعض الوجوه قوانين الشريعة وأيضاً العوائد الاجتماعية مختلفة فى اليهودية عنها فى الجليل. فإنما فى اليهودية وحدها كان يرسم المعلمون (الرابى) بوضع اليد، وهناك فقط يستطيع السنهدريم أن يعلن ويشهد بدء كل شهر الذى اعتمد عليه تقويم الأعياد وتحديدها. وحتى بعد أن اقتضى ضغط الضرورة السياسية ابعاد الرابى (المعلمين) إلى الجليل كانوا يعودون إلى اللدة Lydda لهذا الغرض. ولم ينقلوا امتياز اليهودية هذا إلى أقاليم أخرى فى القرن الثالث الميلادى إلا بعد نضال حاد وكانوا يأتون بالخمر الذى يستعمل فى خدمة الهيكل من اليهودية وحدها وذلك ليس فقط لأنه أجود ولكن لأن نقله خلال السامرة كان يدنسه ويذكر فى المشناه أسماء خمس مدن يحصلون منها على الخمر وهكذا أيضاً الزيت المستعمل كان يجلب من اليهودية أو إن كان من بيريه فكان يجلب له الزيتون إلى أورشليم حيث يعصر.

وكان أمراً بالغ الأهمية أن يحدد أى المدن كان يهودياً حقيقياً فيما له علاقة بالطقوس. وكان هذا هو الشغل الشاغل للرابى (المعلمين) وليس من السهل تحديد الحدود الشمالية الغربية لليهودية؛ إذ كان من الخطأ الشائع اعتبار شاطئ البحر داخل حدود السامرة لأنه من المؤكد أنها لم تحسب أبداً منها ولقد أورد يوسيفوس فى كتابه (الحروب اليهودية) أن اليهودية امتدت على طول الشاطئ حتى بتولمايس أى عكا وفى العهد الجديد هنا تفرقة بين قيصرية واقليم اليهودية (أع ١٢ : ١٩، ٢١ : ١٠). ويزودنا هذا بأحد الأدلة غير المباشرة ليس فقط على إلمام الكاتب إلماماً تاماً دقيقاً بوجهات النظر الرابينية (بين المعلمين) ولكن أيضاً بالتاريخ الأول لتدوين سفر الأعمال، لأنه فى فترة متأخرة أعلنت قيصرية تابعة لليهودية مع أن مرفأها استثنى من

هذه المميزات واعتبر شرقها وغربها نجسين وربما أضيفت إلى اليهودية لا لشيء إلا أنها فيما بعد سكنها بعض المعلمين (الرابى)، وأهمية قيصرية فى التبشير بالانجيل وبتاريخ القديس بولس وبالكنائس المسيحية الأولى والمزدهرة التى تأسست هناك يكسب ما قيل عن المدينة أهمية خاصة، ولا يهمنا هنا إلا الأقوال من المصادر اليهودية وقد يكون خارج نطاق هذا الكتاب أن نصف الأهمية السياسية لقيصرية كمقر للقوة الرومانية أو أن نصف مينائها العظيم ومبانيها وثروتها ونفوذها ففى الكتابات اليهودية عرفت بالاسم الذى نعرفها به ولو أنها فى بعض الأحيان سميت باسم حصونها (مجدال شور، ومجدال زور، ومجدال نسأى. أو اسم مرفأها مجدل شينا. وسميت مرة باسمها القديم برج ستراتون) وكان سكانها خليطاً من اليهود والاغريق والسوريين والسامريين وكان النزاع بينهم من أول نذر الحرب اليهودية. ويسميها التلمود (مدينة الملوك) وكمقر لقوة الرومان كانت مكروهة عند اليهود كراهة عظيمة ولذلك سميت ابنة أدوم ومدينة الرجس والتجديف، مع أن المكان كان يسمى (مدينة الحياة) لكثرة الثراء به وكما كان متوقعاً نشأت خلافات مستمرة بين السلطات اليهودية والسلطات الرومانية فى قيصرية، وكثيرة هى الشكاوى من عدم استقامة القضاة الوثنيين، ومن السهل أن نفهم أن قيصرية كانت لليهودى رمز روما. روما أدوم وكانت أدوم للهلاك، وفى الواقع كانوا يعتقدون أن أورشليم وقيصرية لا يمكن أن يتعايشا ويفسر لنا هذا المقطوعة الآتية : «إذا قيل لك أن أورشليم وقيصرية قائمتان فلا تصدق أو قيل لك أن كليهما حلَّ بهما الخراب فلا تصدق ذلك أيضاً. ولكن إن قيل لك أن الخراب حل بإحداهما أما الأخرى فباقية فصدق ما يقال». ومن الممتع أن تعرف أنه بسبب اليهود المتغربين فى قيصرية كانت الصلوات الأساسية تقال بالأغريقية التى اعتبرت اللغة العامية وأنه منذ أيام فيلبس المبشر تمت أعمال صالحة للمسيح بين اليهود المقيمين وتبدى الكتابات اليهودية اهتماماً خاصاً للمجادلات التى دارت بين اليهود والمسيحيين.

ونورد هنا بعض الملاحظات اليهودية عن بعض المدن الأخرى فى اليهودية لعلها تلقى ضوء على بعض الأقوال المقدسة، ولقد قسمت المشناه اليهودية عامة إلى ثلاثة أقسام: (الجبل، الشفيله، الوادى) والتى يجب أن نضم إليها أورشليم كاقليم منفصل وهنا نجد دليلاً واضحاً على صحة الكتاب المقدس وبإستثناء الرابى (المعلمين)، ما كان لأحد أن يقدر على التكلم عن أورشليم كأقليم منفصل بذاته عن سائر اليهود

إلا لشخص ملم إلماماً تاماً بالحالة فى ذلك الوقت وهذا ما فعله القديس لوقا بدرجة ملحوظة أكثر من مرة (لو ٥ : ١٧ ، أع ١ : ٨ و ١٠ : ٣٩). وعندما يتحدث الرابى (المعلمون) عن اقليم الجبل يقصدون اقليم شمال شرق وشمال أورشليم المعروف باسم الجبل الملوكى، والشفيله هو الاقليم على طول شاطئ البحر، والباقى هو ما يطلق عليه الوادى. ولا حاجة بنا أن نشرح كما يخبرنا تلمود أورشليم أن هذا هو مجرد تقسيم عام ليس إلا ولا يجب الاعتماد عليه تماماً. ويخبرنا يوسيفوس أن اليهودية قسمت إلى إحدى عشر محافظة Toparchies مع أن المعلمين (الرابى) لم يهتموا بذلك أدنى إهتمام ولو أن بعض هذه الأسماء ذكرت فى كتابات التلمود، وهذه المحافظات قسمت إلى أقاليم، كما قسمت المدن إلى أحياء ولقد ورد ذكر الكلمتين هاياركى hyparchies (الأقاليم) والهيجيمونيى hegemonies (الأحياء) فى التلمود ولقد حرم الرابى (المعلمين) تصدير المؤن من فلسطين حتى إلى سوريا ذاتها.

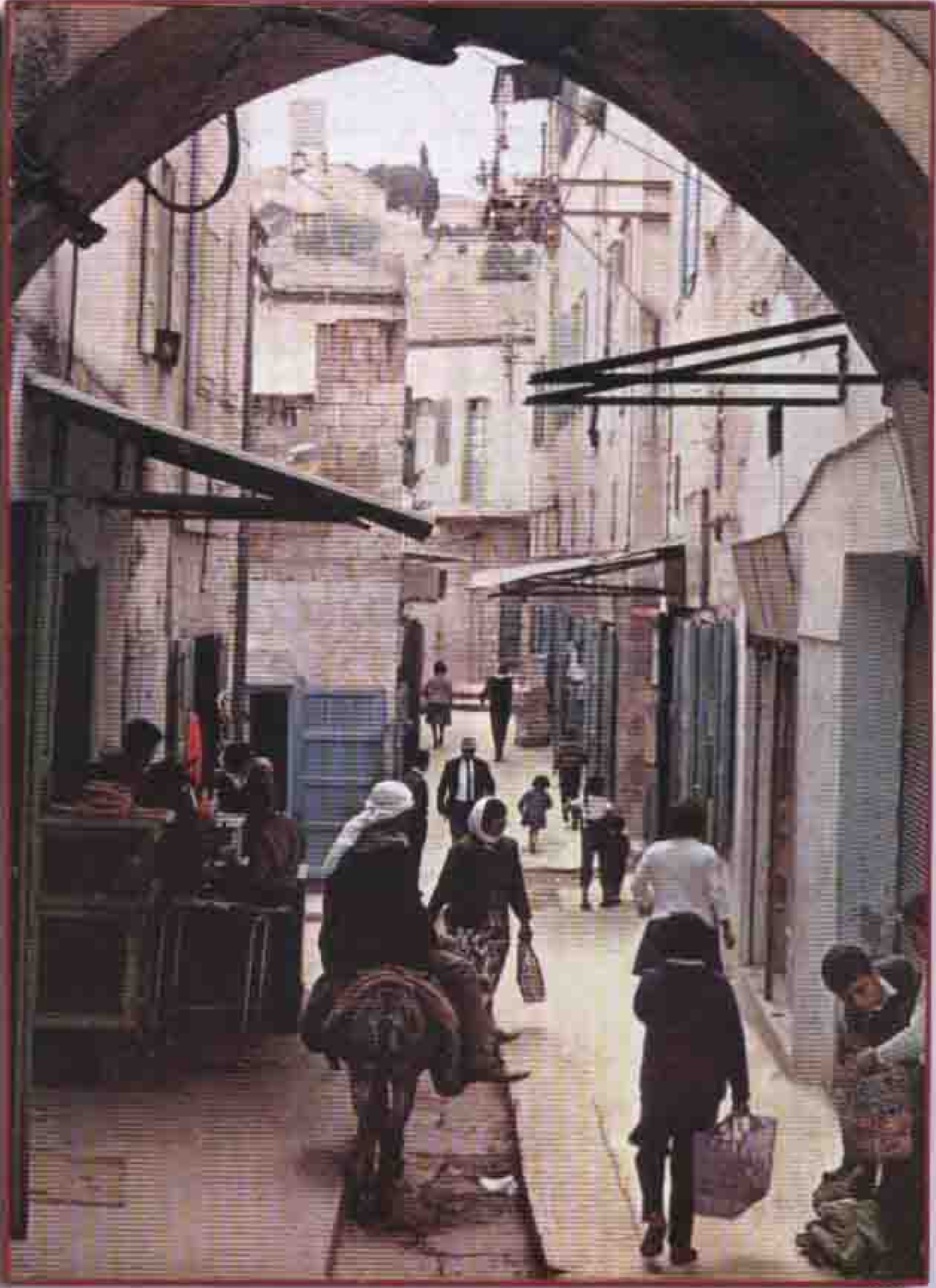
وبالسفر جنوباً من قيصرية نصل إلى سهل شارون المشهور فى الأسفار المقدسة بجماله وثرائه (نش ٢ : ١، أش ٤٧ : ٢)، ويمتد حتى لده حيث يندمج فى سهول داروم؛ الذى يمتد فيما بعد ذلك جنوباً وكما ورد فى أقوال الأسفار المقدسة (أش ٦٥ : ١٠). اشتهر سهل شارون بمراعيه ويذكر فى التلمود أن معظم عجول الذبائح كانت تجلب من هذا الاقليم، وكان خمر شارون مشهوراً ويخلط بثلث مقداره من الماء وكان المكان مشهوراً بصناعة الفخار، ولكن لابد أنها كانت من نوع ردئ لأنه ورد فى المشناه عن نسبة البضاعة التالفة التى لا يطالب عنها الشارى بتعويض يصرح على الأقل بعشرة فى المائة عن المصنوعات الفخارية من شارون، ولقد قيل إن الإذن بالعودة من الحرب لم يكن يطبق على الذين بنوا بيوتاً من الطوب فى شارون وكان تفسير ذلك أن الطمى كان رديئاً بحيث كان من الواجب أن يعاد بناء المنازل كل سبع سنوات. ولهذا السبب كان رئيس الكهنة يصلى فى يوم الغفران ألا تكون بيوت رجال شارون قبورهم. وكانت أنتيباترس Antipatris التى شاهدت تغيير المشاة الذين كانوا فى حراسة القديس بولس بالفرسان (أع٢٣ : ٣١)؛ شاهدت عرضاً آخر لأنه كان هناك قابل الكهنة وعلى رأسهم سمعان العادل الاسكندر الأكبر فى موكب مهيب ضمنوا به سلامة الهيكل. وفى كتابات التلمود وردت بنفس الاسم الذى أطلقه عليها هيردوس تخليداً لذكرى أبيه انتيباتر Antipater ويرد أيضاً ذكر كفر زابا

chephar zaba ومن الممكن أن يكون هذا فى موقع قريب، ونقرأ أيضاً أن حزقيا قد علق لوحة عند مدخل بيت مدراس Beth Midras تحمل إعلاناً أن من لا يدرس الشريعة يهلك، ولذلك بحثوا من دان إلى بئر سبع ولم يجدوا شخصاً واحداً عامياً وكذلك أيضاً لم يكن هناك من جبعة إلى أنتيباترس ولد أو بنت، رجل أو إمرأة لا يعرف أوامر الشريعة عن النجس والطاهر معرفة تامة.

وتزودنا لدة Lydda التى وردت فى التلمود باسم لدة Lud أو لود بتوضيح للعهد الجديد فنقرأ أنه نتيجة لأعمال القديس بطرس ومعجزة شفاء أنياس أن كل سكان لدة وشارون قد رجعوا إلى الرب (أع ٩ : ٣٥). ولقد أيدت ملاحظات التلمود تأييداً كبيراً تلك المحلوظة المختصرة عن أعمال الرسول، ولو أننا من الطبيعى لا ننتظر أن يروى التلمود انتشار المسيحية ونستطيع أن نعتقد أن لدة كان فيها جماعة قديسين من البداءة لأنها تقع على سفر يوم غرب أورشليم وكان السفر سهلاً وفى الواقع يشرح التلمود أن العشور الثانية (تث ١٤ : ٢٢ ر ١٦ : ١٢) من لدة لا تحول إلى نقود بل يجب أن تجلب إلى المدينة ذاتها لكى تتزين شوارع أورشليم بعناقيد الفاكهة، وتشرح نفس الفقرة قرب اللدة من المدينة والمعاملات الكثيرة بين المدينتين بأن نساء اللدة كن يعجن عجينهن ويذهبن إلى أورشليم ويصلين ويعدن قبل أن يخمر العجين. ونفهم من التلمود أن كثيرين من الرابى (المعلمين) كانوا يقيمون فى اللدة قبل خراب أورشليم وبعد الحادث أصبحت مقر مدرسة شهيرة يرأسها أحد قادة الفكر اليهودى وإن هذه المدرسة قررت بجسارة أن يتحاشى الانسان الموت يمكن أن يخالف كل وصايا الشريعة ما عدا الخاصة بالزنى وزواج الأقارب والقتل وحدث فى لدة أن اخوين قدما أنفسهما بارادتهما ضحيتين لينقذا شركاءهما فى العقيدة من تهديد بالمذبحة بسبب جسد نسب موته إلى اليهود وفى المناسبة المذكورة آنفاً عندما خاطب الرومانى الشهيدين قائلاً: إذا كنتما من شعب حنانيا وميشائيل وعزريا فليأت إلهكما وينقذكما من يدى. ويبدو لنا أنه صدى محزن للتعبيرات التى وجهها رؤساء الكهنة والشيوخ ليسوع على الصليب (مت ٢٧ : ٤١ - ٤٣).

ولكن هناك مجموعة من الأدلة أكثر إمتاعاً من هذا بكثير تربط لدة بتاريخ نشأة الكنيسة فلقد كان فى لدة محكمة يقال أنها كانت قادرة على أن تنطق بحكم الإعدام. ولقد ورد ذكر إلهنا تبارك إسمه والاسم العذراء فى بعض مقطوعات من التلمود وإن يكن بطريقة مدروسة كلها تجديف [1].

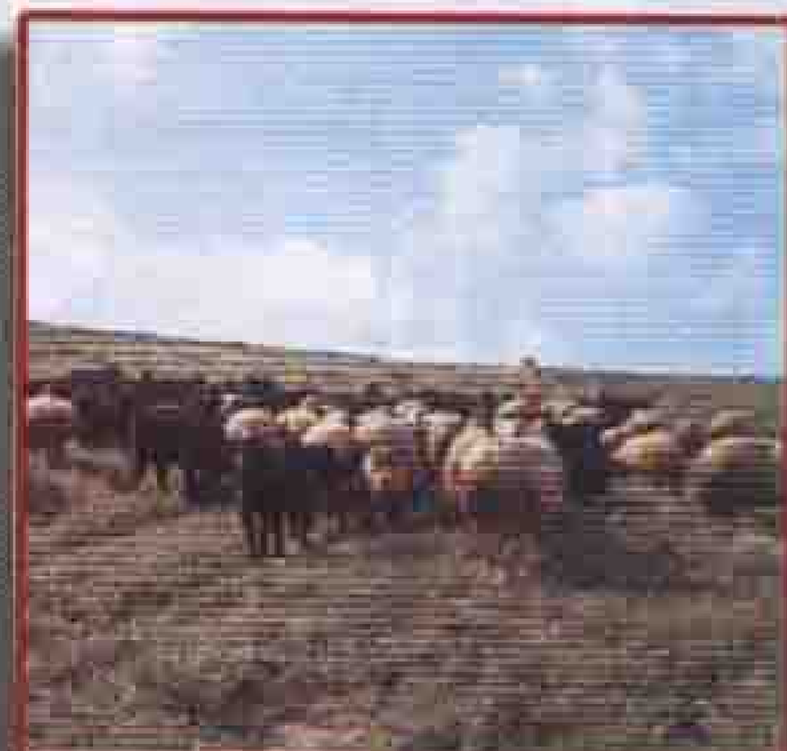
(١) لقد استطاع العالم كاسل professor cassel فك رموز هذه التسمية.

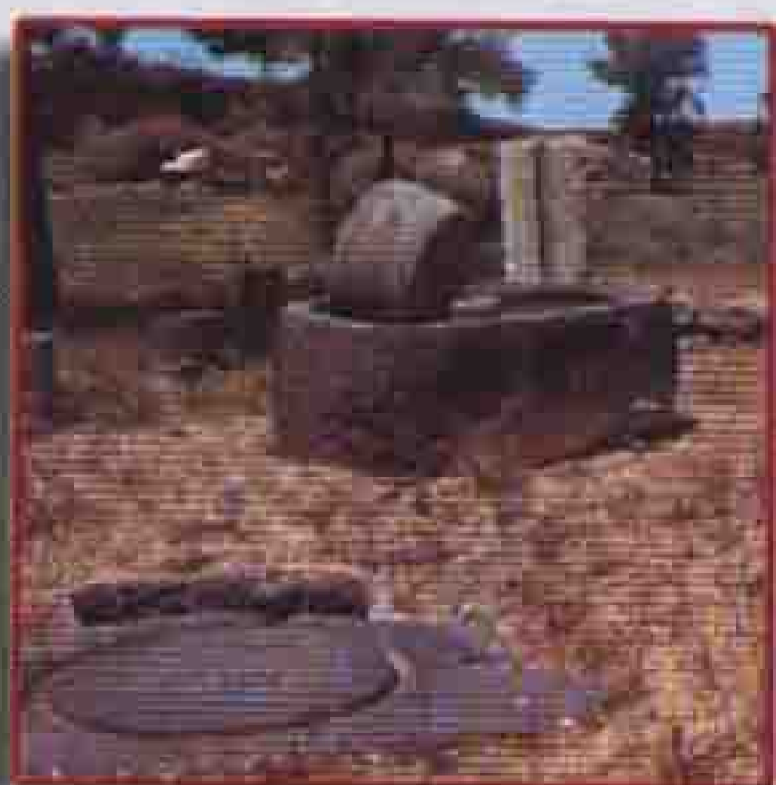


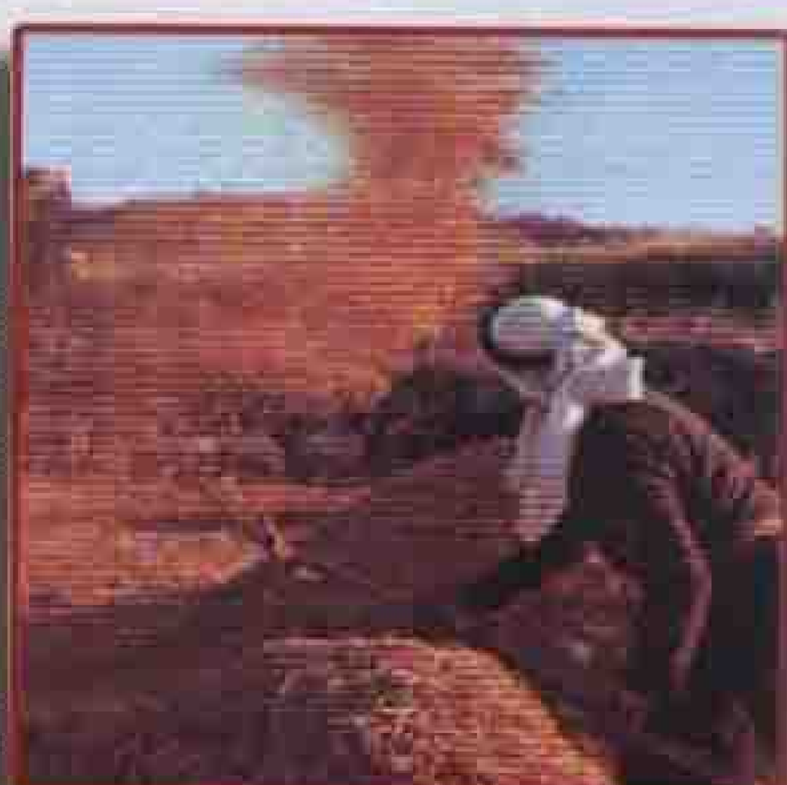
شارع فى القدس

أورشليم مدينة الكهنوت والهيكل الذي علم فيه السيد المسيح منادياً بالخلاص لكنها رفضته
«وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكي عليها» (لو ١٩ : ٤١).









الحياة فى القرية

وهذه الحقائق فى شكلها الحالى سواء عن جهل أو عن تخطيط مسبق أو نتيجة لتحريف متعاقب تخلط بين الحوادث والشخصيات المختلفة فى تاريخ الانجيل خلطاً كبيراً؛ منه أن الحكم على إلهنا كان فى لده ولكن ليس هناك أدنى شك يعقل فى أنها تشير إلى العلاقة الوطيدة بين لدة [1]، وتأسيس المسيحية. ومن التأييد الوطيد لتاريخ الانجيل أنه ورد أن موت المسيح كان فى عشية عيد الفصح ويذكر ليس فقط تاريخ الحدث كما نفهمه من الأناجيل الأربعة ولكنه يبين أن أساتذة الشريعة والطقوس المرسومين لوظائف خاصة (الرابيين) لم يعلموا شيئاً من وخزات الضمير اليهودى، التى يحاول بها الكتاب الأمميون الحديثون أن يثبتوا استحالة الحكم على المسيح فى ليلة الفصح. ولقد ورد من قبل أنه عقب خراب أورشليم اختار كثير من أساتذة الشريعة الرابيين اللدة مقراً لهم، ولكن القرن الثانى شاهد تغييراً كبيراً فيتهم اليوم سكان اللده بالكبرياء والجهل وإهمال أمور دينهم ويقول المدراش أن هناك عشرة معايير للبؤس فى العالم يخص لود (لدة)منها تسعة والعاشر لبقية العالم. وكانت لدة آخر مكان فى اليهودية بعد الهجرة إلى الجليل أن هؤلاء المعلمين (الرابيين) التجأوا إلى لدة ليحددوا بداية الشهور، وفى التقليد والأدب الشعبى اليهودى أن العين الشريرة صادفتهم وأهلكتهم وقد يكون فى هذا إشارة رمزية فمن المؤكد أنه فى ذلك الوقت كانت لده مقر كنيسة مسيحية مزدهرة لها أسقفها وفى الحقيقة ربط كاتب يهودى بين تغير الشعور اليهودى للدة وبين إنتشار المسيحية فيها. ولابد أن لدة كانت مدينة جميلة مزدحمة ويتحدث التلمود بإطناب بل بمبالغة عن عسل بلح لدة ويشير المشناه إلى تجار اللدة بأنهم طبقة كبيرة ولو أنه لم يمدح أمانتهم.

وبالقرب من لدة شرقاً كانت قرية كفر طابى chephar Tabi ولعل اسم طابيثا (أع ٩ : ٣٦) مشتقة من اسم المدينة، إذ لم يكن الأسمان طابى وطابيثا شائعين فى ذلك الوقت فى فلسطين. وليس هناك شك فى موقع جوبا Joppa (يافا الحالية) حيث رأى

---

(١) ألا يصح أن يكون هناك أساس تاريخى لهذه الحقيقة ألا يمكن أن يكون الاجتماع السرى لرئيس الكهنة والفريسيين قد انعقد فى لدة (يو ١١ : ٤٧ و ٥٤ – ٥٥) وهل هناك تآمر يهوذا مع رؤساء الكهنة والجند كيف يسلمه لهم. إذ كان هناك على أية حال أسباب واضحة للابتعاد عن أورشليم فى الإجراءات الأولية ضد يسوع ونعلم أنه طيلة قيام الهيكل كانت لدة المكان الوحيد خارج أورشليم الذى يمكن أن يكون مقر حزب الرابيين أساتذة الشريعة والطقوس المرسومين.

بطرس الرؤيا التى فتحت باب الكنيسة للأمم ولقد اقترنت يافا بأسماء كثير من الرابيين أساتذة الشريعة والطقوس ولقد خربها فسبسيان Vespasian وفى المدراش تعليق على أن يافا لم يغرقها الطوفان ألا يمكن أن يكون هذا محاولة للايحاء بطريقة غير مباشرة بالهجرة إلى أجزاء الأرض البعيدة من الأرض للنجاة والبقاء؟ وهناك مدينة عمواس Emmaus التى ستظل مقدسة لأنه فيها استعلن المخلص لاثنين من تلاميذه (لو ٢٤ : ١٣) . إلا أن موقعها الحقيقى موضوع شك وعلى وجه العموم تكثر البراهين على أن موقعها هو الموقع المعروف عنها، ولو صح ذلك فكان عدد كبير من سكانها من اليهود وكان بها حامية رومانية وكانت شهيرة بمياهها ومناخها وسوقها. ومن الممتع أن نعرف أن من بين العائلات الشريفة العلمانية الذين اشتركوا فى الموسيقى الآلية فى المعبد عائلتين بيجاريم pegarim وزباريا zippariah كانتا من عمواس، ومن الممتع أن نعلم أيضاً أن الكهنة تعودوا أن يتزوجوا من بنات أثرياء العبرانيين فى عمواس. وننتقل إلى غزة Gaza التى على حافة طريقها الصحراوى بشر فيلبس الخصى الحبشى وعمده (أع ٨ : ٢٦) وكان بها ما لا يقل عن ثمانية معابد وثنية ومعبد صغير خارج المدينة ومع ذلك كان يسمح لليهود بالإقامة هناك بسبب سوقها الشهير.

ويبقى علينا أن نذكر إسمين نهتم بهما إهتماماً عميقاً مقدساً هما: بيت لحم Bethlehem مولد إلهنا، وأورشليم حيث صلب. ومما هو جدير بالملاحظة هو أن رد رجال السنهدريم القدماء على أسئلة هيردوس (متى ٢ : ٥) تردد كثيراً فى التلمود الكتاب الذى يحتوى على الناموس والتقليد اليهودى وآراء الشيوخ والتعليقات على الأسفار المقدسة، ويشير أيضاً إلى نبوة ميخا النبى (ميخا ٥ :٢)، فيمكننا أن نعتبر أنه أمر مقرر ثابت كما يقرر ذلك الآباء اليهود أن المسيا ابن داود ولد فى بيت لحم يهوذا ولكن هناك مقطوعة فى المشناه (كتاب الآراء الأساسية فى التلمود الكتاب الشامل اليهودى) تلقى الضوء على قصة الانجيل بحيث أنه من الأفضل أن نوردها هنا بكاملها، فنحن نعلم أنه فى الليلة التى ولد فيها مخلصنا أتت رسالة الملائكة إلى الذين كانوا وحدهم فى كل بيت لحم متبدين يحرسون حراسة الليل، لأنه بالقرب من بيت لحم على الطريق المؤدى إلى أورشليم كان هناك برج يسمى مجدل عدر Migdal Eder أى (برج القطيع) لأنه كان هناك محطة يحرس فيها الرعاة القطعان المخصصة لمحرقات الهيكل ومن المعروف جيداً أنه لو وجد حيوان بعيداً من أورشليم عند

مجدل عدر وفى دائرة من كل الاتجاهات قدمت الذكور كمحرقة والاناث كذبيحة سلامة، ويضيف الرابى يهوذا «إذا كان صالحاً لذبائح الفصح على شرط ألا يكون أكثر من ثلاثين يوماً قبل الفصح» تعتبر ذبائح فصح. ومما يبدو ذا معنى عميق يكاد يكون كإتمام الرمز أن الرعاة الذين سمعوا أولاً أخبار ولادة المخلص والذين سمعوا ترانيم الملائكة كانوا يحرسون القطعان المكرسة لتقدم ذبائح فى الهيكل، فهناك كان الرمز وهنا كانت الحقيقة. وفى كل الأوقات كانت بيت لحم صغرى فى يهوذا صغيرة حتى أن الرابيين لم يشيروا إليها بالتفصيل، وكانت حانة القرية مزدحمة فلم يجد الضيوف من الناصرة مكاناً إلا فى الحظيرة التى أصبح مزودها مهداً لملك إسرائيل. وهنا وجد الذين كانوا يرعون قطعان الذبيحة بإرشاد السماء الطفل الإله ومما كان له معناه الهام أنهم كانوا أول من رأوه وآمنوا به وسجدوا له، ولكن ليس هذا كل ما هنالك فعندما نتذكر أنه ما أن وصل هؤلاء الرعاة إلى الهيكل وقابلوا أولئك الذين أتوا ليتعبدوا ويقدموا الذبائح حتى نرى أهمية ما لا يكاد يعتبر فى ظروف أخرى جديراً بالملاحظة فيما يتعلق بهؤلاء الرعاة فلما رأوا أخبروا بالكلام الذى قيل لهم عن هذا الصبى وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة (لو ٢ : ١٧ - ١٨) وزد على ذلك يمكننا أن ندرك التأثير العجيب الذى تأثر به كل الذين كانوا فى أروقة الهيكل إذ بينما كانوا يختارون ذبائحهم كان الرعاة هؤلاء الناس الأتقياء يشهدون عن إتمام كل النبوات والرموز فى كل ما شاهدوه هم أنفسهم وما كانوا قد سمعوه فى ليلة العجائب والايات. وكم تجمعت جماهير جذبها الاشتياق وحب الاستطلاع ليناقشوا ويتعجبوا، أو ليسخروا، وكم فرح قلب سمعان البار التقى فى داخله توقعاً لتحقيق رجاء حياته وطلباته، وكم رفعت حنة ومعها كل من كان ينتظر من فداء اسرائيل رؤوسهم لأن خلاصهم كان يقترب. وهكذا كان الرعاة أبعد المبشرين أثراً بالسيد فى الهيكل وهكذا بدأ سمعان وحنة يستعدان للوقت الذى فيه يُقدَّم المخلص فى الهيكل ومع ذلك فإن هناك آية أخرى تجد تفسيراً لها أتم فى أن هؤلاء الرعاة كانوا يرعون قطعان الهيكل فعندما نقرأ فى (لو ٢ : ٢٠) ثم رجع الرعاة وهم يمجدون الله ويسبحونه فى كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم، يبدو المعنى فى تلك العلاقة صعباً بعض الصعوبة إلى أن نتحقق من أنهم بعد أن أحضروا قطعانهم إلى الهيكل عادوا إلى بيوتهم يحملون معهم بالفرح والشكر أخبار الخلاص العظيم.

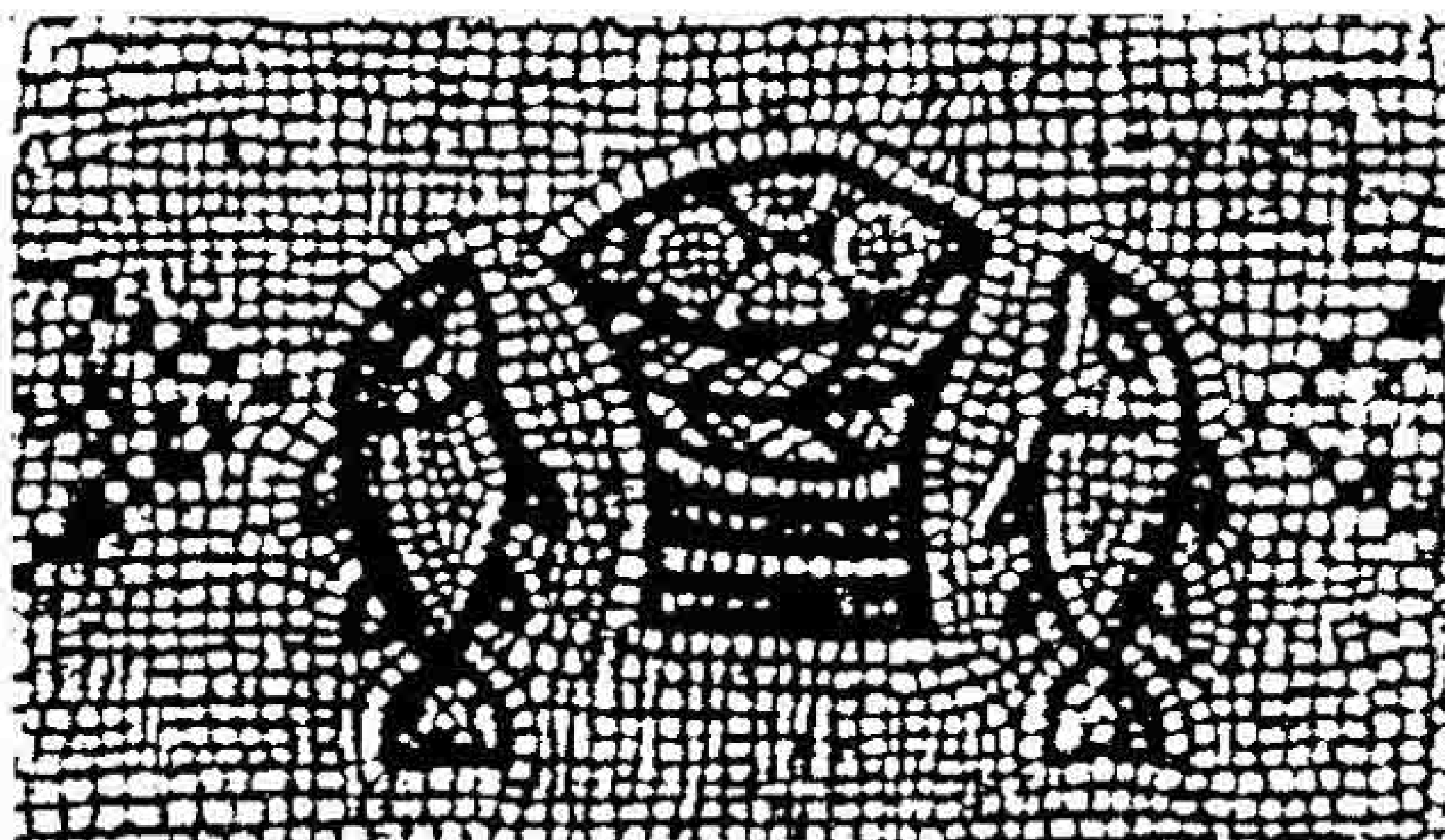
وأخيراً بدون الدخول في مجادلات فإن المقطوعة التى اقتبسناها بإطناب من المشناه (كتاب الآراء الأساسية لتلمود اليهود) يقضى على كل اعتراض على التاريخ التقليدى لتاريخ ميلاد ربنا وإلهنا الذى يعتمد على أن أمطار ديسمبر تحول دون بقاء الأغنام طول الليل فى الحقل لأنه أولاً كان هناك قطعان فى طريقها إلى أورشليم لا ترعى فى العراء بإنتظام فى هذا الفصل والمشناه يقرر وجودهم فى العراء ثلاثين يوماً قبل الفصح أو فى شهر فبراير الذى يبلغ فيه متوسط المطر أعلاه طول السنة.

والآن إلى أورشليم Jerusalem يقول أساتذة الناموس والطقوس الرابى أن الله أسبغ على العالم عشرة معايير للجمال تسعة منها من حظ أورشليم، وأيضاً أن أورشليم مدينة سرت شهرتها من طرف الدنيا إلى الطرف الآخر «لك أيها الرب العظمة والقوة والمجد الدائم» ويفسر التلمود هذا بأن كل هذا هو أورشليم وعلى العكس من الاسكندرية منافستها والتى سموها الصغرى. كانوا يطلقون على أورشليم الكبرى والعظمى وعندما نجد أولئك الأساتذة يتحدثون عن أورشليم بأنها «البيت الأبدى» (الخالد) تتذكر لقب المدينة الخالدة التى يصفون به مدينة روما وكما أنه هناك مثل عام ينص على أن كل الطرق تؤدى إلى روما فهناك مثل يهودى يقول إن كل العملات تخرج من أورشليم. وليس هنا مجال وصف المدينة فى مظهرها وكل مجدها ولكنى أكاد أشعر فى هذا الصدد أنه لن أفهم إن لم أعفو وأغفر وأتغاضى عن مبالغات الرابى. وفى الحقيقة والواقع هناك دلائل على أنهم لم ينتظروا أن أقوالهم ستؤخذ على حرفيتها، ولذا عندما يقال أن عدد مجامعها بلغ فيما بين ٤٦٠ و ٤٨٠ يشرح ذلك بأن الرقم الأخير هو المعادل الرقمى لكلمة (ثلاثة) فى (أشعياء ١ : ٢١) كانت ملآنة عدلاً. ومن المهم أن نعرف أننا نجد فى التلمود (كتاب الناموس والتقليد اليهودى وآراء الشيوخ المقننة والتعليق على أسس التلمود) ذكراً صريحاً للمجمع الاسكندرى المشار إليه فى (أع ٦ : ٩)، وهذا إثبات هام آخر على دقة قصص القديس لوقا إذا كنا فى حاجة إلى ذلك. ويرد فى التلمود وصف لكرم ضيافة سكان أورشليم لا يمكن أن نقول أن بها مبالغة كبيرة لأن المدينة لم تعتبر ملكاً لسبط خاص بل كانت تعتبر وطناً للكل على السواء، وما كانت بيوتها تؤجر أو تستأجر بل تفتح أبوابها لكل أخ ولم يحتج أحد من الآلاف التى لا حصر لها الذين كانت المدينة تعج بهم إلى حجرة، وكانوا يسدلون ستارة على الباب إيماء إلى أنه كان لا يزال متسعا

لضيوف، وكانوا يمدون مائدة أمام المنزل. وأن كل ما بالمنزل كان تحت تصرف الزائر وإذا استحال إيواء داخل أسوار أورشليم كل الجماهير الضخمة التى التجأت إلى المدينة؛ فلا شك أن بيت عنيا وبيت فاجى كانتا تعتبران داخل دائرة أورشليم. وأنه لما يبعث فينا شعور الاعزاز والاكبار عندما نقرأ فى هذه السجلات اليهودية عن بيت فاجى وبيت عنيا أنهما كانتا شهيرتين بالكرم للضيوف من الحجاج لأنها توقظ فينا ذكريات رحلة إلهنا مع العائلة المقدسة إلى بيت عنيا وخاصة إقامته الأخيرة هناك ودخوله الملوكى لأورشليم.

وفى الحقيقة كان كل مجهود يبذل ليجعل من أورشليم مدينة الفرح؛ فتعليمات الأمن والصحة كانت أكثر كمالاً منها فى أى بلد حديث. وكانت الترتيبات والتنظيمات تضمن للحجاج أن يعطوا عقولهم وأرواحهم للأغراض المقدسة فإذا أعتبر البعض بعد كل ذلك أن (سكان المدن) كما كانوا يسمون يصيبهم قليل من الكبرياء والزهو والتعالى؛ فلقد كان لمواطن أورشاليما Jerushalaimah كما اعتاد سكان أورشليم أن يكتبوا إسمها ما يفخر به ويعتز به. فلقد أكسبهم تعاملهم مع الأغراب معرفة الناس والعالم وكان حدة ذكاء الشباب وبديهيتهم ومهارتهم مثار إعجاب أقاربهم من الريف المحيط، الذين كانوا يتصفون بالخجل وعدم الخبرة، وكان هناك عظمة فى سلوكهم تكاد تكون كمالية وقدراً من الرقة وحسن التصرف والرفق واللين كانت تبدو فى معاملاتهم العامة وإذ نشأوا فى شعب اتصف بحدة الذكاء والظرف والمهارة فليس بالكثير عليهم أن يمدحوا بهذه الصفات وبالاختصار فإن أورشليم كانت المثل الأعلى لليهودى مهما طالت اقامته فى أرض السبى والشتات وكان الأغنياء ينفقون مبالغ طائلة دعماً للتعليم اليهودى ولتربية التقوى أو لدعم القضية القومية، ومن هذا إن أحدهم عندما وجد أن ثمن الذبائح ارتفع ارتفاعاً فاحشاً أرسل إلى رواق الهيكل كل الحيوانات المطلوبة على نفقته الخاصة ليجعل الخدمة ممكنة للفقراء، وفى ظرف آخر تطوع شخص آخر أن يزود المدينة ببعض أنواع المؤن لمدة واحد وعشرين شهراً وذلك فى نضالها ضد روما. وفى شوارع أورشليم كان يتقابل رجال من الأقطار البعيدة يتحدثون لغات عدة ولهجات مختلفة، واختلط فيها اغريق وجند رومان ومزارعون جليليون، وفريسيون وصديقيون واسينيون بأرديتهم البيضاء، وتجار مجدون نشطون، وطلبة لاهوت صعب الفهم لعمقه. واختلط كل

هؤلاء في الشوارع الضيقة لمدينة القصور الشاهقة؛ مكونين خليطاً غريباً. وفوق الكل ارتفع الهيكل فوق المدينة ملقياً ظله ومجده، وفي كل صباح أيقظت أصوات أبواق الكهنة المدينة بنداء للصلاة وفي المساء اختتمت نفس الأصوات يوم العمل؛ كما بأصوات من السماء وحيثما سرت كانت الأماكن المقدسة في مدى بصرك مرة بدخان الذبائح يرتفع فوق الأروقة وأخرى يستقر فوق التلال المقدسة في سكون ووقار، وإنه الهيكل هو الذى أكسب أورشليم طبيعتها وهو الذى قرر مصيرها وهناك مقطوعة ملحوظة في التلمود تبدو وكأنها لا تريد أن تقر بصحة قصة الإنجيل، وخاصة لأنها تذكرنا بأن الوقت التى تشير إليه هو السنة التى مات فيها إلهنا على الصليب، ونصها: « قبل خراب الهيكل بأربعين عاما إنفتحت أبوابه من تلقاء ذاتها فوبخها يوكنان بن سكاى (يقول البعض أنه هو حنان رئيس الكهنة) قائلاً : يا هيكل لماذا انفتحت من قبيل ذاتك أنا أدرك أن نهايتك قريبة لأنه مكتوب في (زكريا ١١ : ١) افتح أبوابك بالبنان فتأكل النار أرزك». «وإذا حجاب الهيكل انشق اثنين من أعلى إلى أسفل» (مت ٢٧ : ٥١) ليبارك الرب ليس فقط في اعلان دينونته القادمة بل لأنه من الآن فصاعد يفتح الطريق إلى قدس الأقداس».



الفصل السادس
البيــوت فى اليهــوديــة

يمكننا هنا أن نؤكد أن التمييز الذى يقسم البشرية إلى يهود وأمم ليس فقط تمييزاً دينياً بل اجتماعياً، فمهما اقتربت مدن الوثنيين من مدن اسرائيل، ومهما تكررت المعاملات بين الجماعتين وتوطدت فلا يستطيع أحد أن يدخل مدينة يهودية أو قرية يهودية دون أن يشعر أنه فى عالم آخر، فمنظر الشوارع والمبانى وترتيب المنازل والحكم الدينى والمحلى وسلوك الشعب وعوائده وطرقه وفوق كل هذا حياته العائلية تختلف اختلاف ملحوظاً عما يرى فى أى مكان آخر بل يكاد يكون على نقيضه، فمن كل جانب كان هناك أدلة وبينات أن الدين لم يكن هنا مجرد عقيدة بل أنه تخلل كل علاقة وساد كل مظهر من مظاهر الحياة.

فلنتصور مدينة أو قرية يهودية حقيقية فكان هناك الكثير منها لأنه كان لفلسطين فى كل الأوقات عدد من القرى والمدن أكبر مما كان منتظراً من قطر فى هذا الحجم أو من المهن الزراعية العامة لسكانها، فحتى فى أيام احتلالها الأول على يد يشوع نجد حوالى ستمائة مدينة إذا حكمنا على ذلك من عدد مدن اللاويين التى بلغ متوسط محيطها ٢٠٠٠ ذراع من كل جانب ومتوسط سكانها من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ فرد. ولكن عدد المدن وسكانها ازداد فى الأوقات الأخيرة ولهذا يحدثنا يوسيفوس أنه كان هناك ما لا يقل عن ٢٤٠ مدينة فى الجليل وحدها فى أيامه، ويعزى هذا التقدم لا إلى تطور المجتمع وحده بل إلى محبة البناء التى امتاز بها هيردوس وعائلته والتى يدين إليها كثير من الحصون والقصور والمعابد والمدن بنشأتها وقيامها. ويعطينا العهد الجديد، ويوسيفوس، والرابى ثلاثة أسماء تترجم (قرى، ومدن، ومدن حصينة)، والأخيرة محاطة بأسوار ثم تقسم هذه إلى مدن كانت محصنة فى أيام يشوع وأخرى فى أوقات متأخرة، وقد تكون المدينة كبيرة لو كان بها مجمع أو صغيرة إذا لم يكن بها مجمع ويعتمد هذا على إقامة ما لا يقل عن عشرة رجال الذى يعتمد عليهم فى تكوين جماعة عبادة فى مجمع، لأن الخدمة لا تستقيم بأقل من هذا العدد أما القرى فلم يكن

بها مجمع ولكن كان من المفروض أن يذهب سكانها إلى أقرب مدينة للسوق فى أيام الاثنين والخميس وحيث ينعقد السنهدريم المحلى. وكان هناك قانون ينص على أنه ليس للرجل أن يجبر إمرأته أن ترافقه إذا انتقل من (مدينة) إلى (مدينة محصنة) أو بالعكس، والسبب فى الشرط الأول هو أنه فى المدن الحصينة كان الناس يعيشون سوياً والمنازل متقاربة ومن ثم لم يكن هواء نقى طليق أو حدائق. تلك التى تسبب المتعة فى المدن. وعلى العكس من ذلك كان للمرأة أن تعترض على الانتقال من مدينة حصينة إلى مدينة عادية لأن فى المدينة الحصينة كان يمكن الحصول على كل شيء والناس اجتمعت فيها فى الشوارع والأسواق من البلاد المحيطة.

وتعطينا مثل هذه الحقائق فكرة عن الخلافات بين حياة المدينة وحياة الريف، ولنفكر أولاً فى المدن بإقترابنا من مدينة محصنة نأتى إلى سور منخفض يحمى خندقاً، ولدى عبورك الخندق تصل إلى سور المدينة نفسه وتدخل من خلال بوابة ضخمة مغطاه بالحديد يحكم غلقها بقضبان وارتاج وأعلى كان يرتفع فوق السور برج حراسة، وداخل البوابة كان الملجأ الظليل حيث يجلس الشيوخ، وهنا كان المواطنون الوقورون يناقشون الشئون العامة أو الأخبار اليومية أو الأعمال والمبادلات التجارية الهامة، وكانت الأبواب تطل على ميادين تلتقى فيها الشوارع المختلفة وهنا تكون الحركة والمعاملات والتجارة. وكان الناس الآتون من الريف يقفون أو يتحركون يتجرون بمحاصيل حقولهم وحدائقهم وحيواناتهم، وكان التاجر الأجنبى والبائع المتجول يعرض سلعه وبضائعه ويمدح آخر المستحدثات من روما والاسكندرية وآخر الكماليات من الشرق الأقصى والمصنوعات الفنية للصباغ وعارضات الأزياء من أورشليم، بينما الشعب يتنقل بينهم كسالى أو نشطين يتحدثون ويتبادلون النكات والمرح فى مرح وخفة روح، تارة يفسحون الطريق لفريسى إحتراماً وتقديراً أو يكتمون أحاديثهم لقدوم أحد الاسينيين أو أحد رجال الطوائف السياسية أو الدين، وبينما تتبع لعناتهم الخفيضة العشار وهو يسترق الخطا وتتجول عيناه القلقة حوله ليلاحظ أن شيئاً ما لن يهرب من فتحات شبكة جامع الضرائب. والشوارع كلها لها أسماؤها وغالباً ما تسمى بأسماء الحرف أو اتحادات الصناع التى يكون لها أسواق بها لأن أفراد كل اتحاد يلازمون بعضهم فى الشارع أو المجمع. وفى الاسكندرية فئات كانت فئات الحرف المختلفة تجلس فى المجمع منظمة فى اتحادات ولم يجد القديس بولس صعوبة



أوانى منزلية من زمن السيد المسيح

(وجدت فى كهوف البحر الميت)



رب عائلة يهودى يعلم إبنه الصلاة،

وتظهر التيفلين (العصائب) على رأس واليد اليسرى وتتدلى الأهداب من رداء الطفل

فى أن يتقابل فى سوق حرفته مع أكيلا وبريسكلا المتفقين معه فى عقليته (أع ١٨ : ٢و٣) والذى يجد إقامة عنده، وفى هذه الأسواق كان كثير من الصناع يجلسون خارج حوانيتهم وفى فترة العمل كانوا يتبادلون التحيات والنكات على المارة، لأن كل اسرائيل أخوة فإنه لمن الثابت أن هناك شكلا من حياة البنائين الأحرار فى طريقة التحية اليهودية التى جسدت إعترافاً بإله إسرائيل أو رغبة أخوية فى السلام، واتصف ذلك الجمهور الخليط من طوائف متعددة بأنه سريع الإثارة مندفع على قدر كبير من الذكاء وسريع البديهة واسع الخيال، وبأنه مغرم بالأمثال والأقوال الموغلة فى الايجاز الخالية من اطناب لا لزوم له الدقيقة القوية المحببة للسمع، وبألوان من التفرقة الرقيقة الحادة والنكتة اللاذعة. كما اتصف بتقديس الله وإحترام الانسان وإكرام المسن والتزام الأدب فى حضرته، والغيرة فى التعلم وفى تربية المواهب العقلية الفائقة ودقه الحس لمشاعر الآخرين، كما إمتاز بالغيرة أى غيور بطبائع شرقية دافئة وبتقبل أى تعصب يثار وبالتسرع وبعنف العاطفة وإن كان يهدأ ويسترضى بسرعة. وكثيراً ما جمعتهم صوت رابًاى يعلم فى مظله ـ ولو أنه فيما بعد حرم اعتزازهم بالتعليم تدنيس التقليد وتعليم الشريعة واللاهوت بتبسيطه للبسطاء غير المتعلمين من العامة ـ أو أفضل من ذلك بكثير فيما بعد جمعهم حضور السيد وإبقاهم مبهورين مبهوتين وأنساهم كما بسحر ساحر وخزات الجوع ومرور الوقت إلى أن ذكرهم إنتهاء اليوم الشرقى القصير وبزوغ النجوم وبريقها فى السماء الزرقاء الفاقعة بوعد الله لإبراهيم الذى تم عند ذلك فى واحد أعظم من ابراهيم.

فلنعد إلى المدينة وقد حل بها الشتاء بجوه اللطيف لنستمع إلى همس البئر أو الينبوع كلما ازداد عليه زحام من ليس لهم أحواض فى منازلهم، ويكون الحارس فوق البرج على قمة البرج ويبدأ حراس الليل يجوبون الشوارع ولم يكن هناك ظلمة مطلقة لأنه كان من المعتاد أن يحتفظوا بنور مضيء طول الليل فى المنزل والنوافذ هناك على العكس من نوافذ المنازل الشرقية الحديثة التى تطل نوافذها أساساً على الشارع أو الطرق، فالنوافذ الكبيرة تسمى النوافذ الصورية Tyrian وتسمى النوافذ الصغيرة النوافذ المصرية ولم تكن مغطاة بالزجاج ولكن تحتوى على حواجز حديدية أو حواجز خشبية وفى بيوت الأغنياء كانت إطارات الشبابيك من الخشب المشغول المرصع ترصيعاً كبيراً وعادة كانت الأشغال الخشبية من خشب الجميز وقد يكون من

خشب الزيتون أو البلوط وفي القصور من خشب الصندل من الهند، وكان كل ما يحيط بالنوافذ مغطى بالخشب المغطى بالنقوش الغريبة الجميلة. ولكن كان هناك أمر هام واحد وهو أنه لا يجب أن يكون هناك ما يمثل أى شيء مما فى السماء أو الأرض وكان الشعور بهذا الأمر عميقاً جداً؛ حتى أنه لما حاول بيلاطس أن يدخل فى أورشليم ليلاً صورة قيصر فى أعلى الأعلام الرومانية حدث قتال عنيف أظهر فيه اليهود أنهم يقبلون الموت في سبيل حفظ معتقداتهم. كما أحرق الغوغاء والجماهير الثائرة قصر هيرودس انتيباس فى طبيريا Tiberias لأنه كان مزيناً بتماثيل حيوانات، ولكن هذه الأراء المتطرفة سرعان ما أفسحت الطريق أولاً لأراء غمالائيل معلم بولس الذى كان فيها تسامح غريب واستعمل حماماً عاماً مع أنه كان مزيناً بتمثال ڤينوس لأن التمثال كما قال «قصد به زينة الحمام ولم يبن الحمام وبه التمثال لعبادته» من ذلك تبين لنا هذه الحجة أن غمالائيل لم يكن جاهلاً بالمسيحية وغريباً عنها كذلك تذكرنا الحقيقة التى وردت على لسان حفيده التى تقول بأن الوثن لا يكون شيئاً إذا أنكر الوثنيون عبادته يذكرنا بتعاليم القديس بولس وهى أقوى بكثير من هذا ونصل تدريجياً إلى تعاليمه المستقيمة الحديثة التى تسمح بتمثيل النباتات والحيوانات وتحرم تمثيل الشمس والقمر والنجوم إلا لأغراض الدراسة، وتسمح مع قليل من الشك بتمثيل الناس والملائكة على أن تكون غائرة لا بارزة.

وكان حكم هذه المدن والقرى صارماً فكان ممثلو روما إما رجالا حرين أو وكلاء سياسيين أو ماليين ونعلم أن القائد الرومانى جابينيوس Gabinius حوالى نصف قرن قبل المسيح قسم فلسطين إلى خمسة أقسام يرأس كل منها مجلس ولكن هذا النظام لم يدم طويلاً ويبدو أنه طالما كان قائماً كانت المجالس يهودية ثم كان لكل مدينة مجلس سنهدرين أو (سهندريم) (١) يتكون من عشرين عضواً إذا بلغ عدد سكان المكان على الأقل ١٢٠ رجلاً أو ثلاثة أعضاء إذا كان السكان أقل من هذا. وكانت السلطة العليا هى التى تعين أعضاء السنهدريم الأعلى الذى كان يتكون من اثنين وسبعين عضواً فى أورشليم. ومن الصعب أن تحدد القوة الحقيقية التى كانت لهذه المجالس فى الأحوال الجنائية ولكن مجالس السنهدريم الصغرى يشار إليها فى (مت ٥ : ٢٢، ٢٣و ١٠ : ١٧و مرقس ١٣ : ٩) وبالطبع كان يدخل فى علمهم الخاص

(١) أسم Sanhedrin لا شك أنه مشتق من اللغة اليونانية، ولكن الرابى (المعلمين) يفسرون الأسم أنه مكون من جزئين «هو (Sinai) و haderin أى مفسرو الشريعة (التى نزلت فى سينا)..

كل الأسباب الطقسية واليهودية البحتة والمشاكل الدينية. وأخيراً كان فى كل مكان ما يمكن أن نسميه السلطات المدنية تحت رئاسة العمدة ـ ممثلو (الشيوخ) وهى هيئة كثيراً ما تذكر فى الكتاب ولها جذورها العميقة فى المجتمع اليهودى ولعل هؤلاء هو المشار إليهم فى (لوقا ٧ : ٣) الذين أرسلهم قائد المائة فى كفرناحوم ليتوسطوا بينه وبين سيدنا وإلهنا.

وكانت التعليمات الصحية والبوليسية من أقسى مثيلاتها فنعلم عن قيصرية مثلاً أنه كان هناك نظام صرف منتظم فى البحر أكمل من أى نظام فى مدينة حديثة، ويصح هذا على مبانى الهيكل فى أورشليم. ولكن فى كل مدينة وقرية كان الناس يتمسكون بالتعليمات تمسكاً صارماً. فكان يجب أن تبعد المدافن والمدابغ وكل ما يضر بالصحة على الأقل خمسين ذراعاً عن المدينة. ولم يكن يسمح للمخابز والمدابغ والاسطبلات أن تكون تحت منازل شخص آخر. وزد على ذلك كان على الناس أن يحترموا خط كل شارع إحتراماً تاماً فى البناء، ولم يكن يسمح بأى بروز فيها. وعامة كانت الشوارع أوسع من شوارع أى مدينة شرقية حديثة وكانت طبيعة التربة وظروف بناء المدن على التلال عاملين مهمين من الناحية الصحية. وكان ذلك يجعل رصف الشوارع ضرورة لازمة، وكلنا نعلم أن بعض المدن كانت مرصوفة فكانت شوارع أورشليم مرصوفة بحجر أبيض ولاستبعاد أسباب النزاع كان لا يسمح للجيران أن يكون لهم نوافذ تطل على أروقة أو حجرات الآخرين أو أن يكون مدخل أى حانوت خلال رواق مشترك بين مسكنين أو ثلاثة مساكن.

ويساعدنا كل ما قلناه على أن ندرك كل ما يحيط بحياة المدن اليهودية وإذا ما تطلعنا فى شوارع مدينة فى الجليل أو اليهودية تبدو المنازل مختلفة فى الحجم والجمال، فهناك الكوخ الصغير الذى لا يزيد عن عشرة أمتار مربعة وقصور الأغنياء من طابقين أو ثلاثة يزينها صفوف من أعمدة وزينات معمارية. فلنفرض أننا واقفون أمام بيت أحد من طبقة متوسطة ليست تماماً من النبلاء، لأنها مبنية من الطوب أو الحجر المخدوم أو غير المصقول ولا هو من الرخام أو الصخر المصقول وليست حوائطة مطلية بألوان رقيقة كاللون القرمزى ولكنها ليست مطلية إلا بالجير الأبيض أو بأى لون محايد غير واضح مميز، ويؤدى بنا إلى سلم عال واسع من الخارج مباشرة إلى سقف مسطح ينحدر قليلاً إلى أسفل ليصرف المياه خلال أنابيب إلى أحواض أسفل

البناء، والسقف مرصوف بالطوب أو الحجارة أو أى مادة صلبة ويحيط به سور ارتفاعه قصبتان (ثلاثة أقدام) حسب الشريعة ويكون قوياً يتحمل ثقل شخص. وكانت تعليمات البوليس التى وضعت بنفس روح العناية والحرص تحرم الآبار المفتوحة والحفر غير المغطاه وعدم وجود السلالم المتنقلة القصيرة والسلالم الثابتة المتهدمة. وحتى وجود الكلاب الخطرة حول المنازل. وقد يكون بين سطح منزل وسطح اتصال منتظم يسميه الرابى (المعلم) طريق السقوف، وهكذا أى شخص كان يستطيع أن يهرب ماراً من سقف إلى آخر إلى أن يصل إلى آخر منزل فيهبط من السلم الذى فى خارجه دون أن يدخل أى مسكن.

ولا شك أن سيدنا وإلهنا أشار إلى طريق السقف هذا فى تحذيره أتباعه (مت ٢٤ : ١٧، مر ١٣ : ١٥، لو ١٧ : ٣١) الذى قصد به أن يستعمل فى حصار أورشليم قائلاً والذى على السطح لا ينزل إلى المنزل أو يدخل إلى هناك، وللتعامل العادى كان السقف أكثر الأماكن تهوية وهدوء وألطف حرارة. ومن الطبيعى فى بعض الأحيان أنه كان يستعمل لأغراض الاقتصاد المنزلى ولكن كان أى انسان يفضل الاعتزال للصلاة والتأمل الهادئ أو يسهر أو يترقب صديقاً أو يرى عدواً قادماً أو يرصد زوبعة تتجمع، كالكاهن الذى كان يأخذ مكانه على جناح الهيكل قبل ذبيحة الصباح ليرى كيف تنتشر الأشعة الحمراء الذهبية على حافة الأفق. ومن السقف كان من السهل على الفرد أن يحمى نفسه من الأعداء أو أن يستمر فى حرب خطرة مع من هم أسفل، ومن المؤكد كانوا يهمسون بالأسرار من على السطح لا من أى مكان آخر وعلى العكس من ذلك كان من على السطوح كان يعلن أكثر التصريحات علانية (مت ١٠ : ٢٧، لو ١٢ :٣)، وكانت حجرة الغريب تبنى عادة على السطح حتى يدخل ويخرج دون أن يقلقه أهل الدار. وهنا على السطح كانت تقام المظال فى عيد المظال (وفيها أقام اسرائيل لذكرى رحلته فى البرية) وبالقرب من هذه العلية وتجتمع العائلة على السطح للتخاطب أو تجتمع فى الرواق فى أسفل البيت بأشجاره التى تنشر ظلالها التى يشكرون الله عليها ومع موسيقى ماء النافورة الذى يتساقط جميلاً مهدئاً للشخص الواقف تحت الطريق المغطى الذى يمتد حول الرواق الذى يطل على حجرات المنزل.

وإذا كانت حجرة الضيف على السطح التى يمكن الوصول إليها من الخارج دون

المرور بالمنزل تذكرنا بأليشع والشونمية وبآخر عشاء فصح استطاع أن يذهب إليه السيد الرب وتلاميذه والذى كان يمكنهم أن يغادروه دون الاتصال بأى من كان فى المنزل، فإن الطريق المغطى حول الرواق تحت السقف يذكرنا بحادث كله حكمة ورزانة ووقار فنحن نتذكر كيف أن الذين كانوا يحملون المخلع وعندما لم يقدروا أن يقتربوا إلى يسوع من أجل الجمع كشفوا السقف وبعدما نقبوه دلوا السرير الذى كان المفلوج مضطجعاً عليه فى الوسط أمام يسوع (مر ٢ : ٤، لو ٥ : ١٩). ونعرف من مقطوعات عديدة من التلمود أن كثيرين من الرابات فضّلوا الإلتجاء إلى العلية عندما كانوا يناقشون المسائل الدينية، وربما كان ذلك فى هذه المرة وما لم يستطع الحاملون الوصول إلى باب العلية نقبوا العرش من السقف، وهناك رأى أكثر إحتمالاً وهو أن الجمع ازدحم بالرواق بينما وقف يسوع فى الطريق المسقوف الذى يمتد حول الرواق ويطل على الحجرات المتعددة وفى هذه الحالة ربما نقبوا السقف ودلوا حمولتهم عندا اقدامه أمام الجمع. وهناك قصة عن رابای شبيهة لهذه وقد تكون على العكس منها وتروى القصة أن أحد المعلمين المشهورين مات ولم يستطيعوا أن يمروا بالتابوت عند الباب فرفعوا الحمل ودلوه من السقف فى طريقه لا إلى حياة جديدة ولكن للدفن. أو قد يكون هناك درج بين السقف والرواق ثم المنزل فعند اقترابك من المنزل كما يفعل الضيوف عادة كان الشخص يمر برواق خارجى أو يصل مباشرة إلى الطريق المسقوف وهنا كان ينفتح باب إلى رواق داخلى كان يشترك فيه عادة عدة عائلات وكان البواب يفتح للزوار عند ذكر أسمائهم كما نادت رودا اسم بطرس فى تلك الليلة التاريخية ليلة خلاصه العجيب من السجن (أع ١٢ : ١٣ - ١٤) ويستعمل ربنا وإلهنا هذه الحقيقة المعروفة عن الحياة المنزلية عندما يقول (رؤ ٣ : ٢٠) «هاأنذا واقف على الباب أقرع وإذا سمع إنسان صوتى وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو يتعشى معى». وإذا ما سرت خلال الرواق الداخلى وخلال طريق السقوف تصل إلى الغرف المختلفة : حجرة العائلة وحجرة الاستقبال وحجرات النوم وأبعدها يشغلها السيدات وتستعمل الحجرات الداخلية فى الشتاء وكان الأثاث هو نفس الأثاث الذى نستعمله اليوم ويحتوى على موائد وتكأت وكراسى ومنارات ومصابيح تختلف فى غلوها بإختلاف الطبقة التى تنتمى إليها العائلة وبإختلاف ثروتها ومن بين أدوات الترف نستطيع أن نذكر وسائد ثمينة للرأس والذراعين وأدوات زينة وصور. والأبواب

التى كانت تتحرك على مفصلات ثابتة بقطع خشبية كانت تغلق بمزاليج خشبية تسحب بأنواع خاصة من المفاتيح من الخارج وكانت حجرة الطعام عامة واسعة وفى بعض الأحيان تستخدم للإجتماعات.

حتى الآن قمنا بوصف ترتيب المدن والمساكن فى فلسطين ومظهرها ولكن ليس شيء من هذه الأشياء الظاهرية يعطينا الصورة الحقيقة للمنزل اليهودى. لكن من الداخل كل شيء كان عجيباً وأول هذا طقس الختان الذى فصل اليهودى من الأمم حوله وقدسه لله. وتخلل المنزل الصلاة الخاصة صباحاً ومساءاً والحياة اليومية المقدسة والديانة العائلية فقبل كل أكلة كانوا يغسلون الأيدى ويصلُّون وبعدها كانوا يقدمون الشكر، وفضلاً عن ذلك كان هناك ما يمكن أن يسمى أعياد عائلية خاصة، وعودة السبت كان يقدس أسبوع قضى فى العمل فكانوا يستقبلونه استقبال ملكى بالأغانى كما يستقبلون العروس وكانت كل عائلة تحفظه كموسم راحة وفرح. وحقيقة التطرف الرابى (المعلم) جعل من كل هذا مجرد مظاهر فصار نيراً ثقيلاً بفضل الأوامر والوصايا والتعاليم التى اشتمل عليها العمل والتى كان من المفروض أن تنتج السرور والفرح، وهكذا غيرت من طبيعته المقدسة تغيير تاماً ،ومع ذلك بقيت الفكرة الأساسية كعمود محطم يرينا أين كان يقع قصر عظيم وما كانت أبعاده العظيمة. فعندما كان رأس العائلة يعود من الإجتماع عشية السبت من المجمع وجد أنه مزدان كما فى عيد فصباح السبت يضاء بأبهى ضياء والمائدة مزدانة بأغلى ما يمكن العائلة أن تقدمه، ولكن كان يبارك كل طفل على حدة ببركة اسرائيل، وعندما انطفأ مصباح السبت فى المساء التالى أقام فاصلاً من صمت مهيب بين اليوم المقدس وأسبوع العمل وهكذا اعتاد أن يبدأ عمله مرة أخرى باسم الله. ولم يكن الغريب والفقير والأرملة لينسوا فما كان أعظم ما يزودون به وكم شارك كل منهم فى ما لم يعتبر عبئاً بل نعمة وإمتيازاً وبأى رقة ورضى كان كل ذلك يقوم به لأن كل اسرائيل كانوا أخوة فى أورشليم ولا يعلم مراسيمها وممارساتها إلا من درسها دراسة دقيقة.

ولكن هذا لا يتعدى كونه رسماً تخطيطياً للحياة الدينية وليس للحياة العائلية. والإسم البدائى للمرأة الذى أعطى لها منذ الخليقة ميز المرأة بأنها رفيقة زوجها ونظيره (إشاه ishah = إمرأة من ish = رجل). ولا يمكن أن يظهر لنا الفرق الشاسع بين الوثنية واليهودية إلا عندما ندرس العلاقة بين المرأة والرجل، وبين الأطفال والوالدين،

وبين المسنين والصغار، لا بل إن العلاقة التى قدم الله بها نفسه لشعبه كأبيهم يكسب الرابطة التى تربط الوالدين بنسلهم قوة وتقديساً، وهنا يجب أن نتذكر أن غاية اسرائيل كأمة نشأت ليظهر منها المسيح جعل من المهم أهمية عميقة على كل أسرة ألا يطفأ فى اسرائيل مصباح بسبب عدم النسل. وشاع بينهم القول كما فى أرميا (أر ٢٢ : ١٠) أبكوا بكاءً حاراً مريراً على الذى يذهب بعيداً لأنه لن يعود» ويضرب المثل على من يموت عقيماً، وبالمثل قيل على من مات بدون ولد. ولقد ورد أيضاً فى كتابات الراباى (المعلمين) أقوال شائعة كثيرة عن العلاقة الوالدية وتذكرنا هذه الأقوال فى أسمى تطبيقها على كتبة أسفار العهد الجديد من اليهود فإذا قال لنا القديس بولس فى ذروة انفعاله ليؤكد لنا سلامنا فى المسيح ذلك التأكيد المطوب من «سيشتكى على مختارى الله، الله هو الذى يبرر» (رو ٨ : ٣٣) يدعونا ذلك إلى الاعتقاد فى أنه كان يعلم يقيناً قولاً مثله كان شائع بين اليهود «هل يشهد أب ضد ابنه» وهذا القول الأخير يذكرنا بالراحة والطمأنينة التى تقدمها رسالة العبرانين للمتألمين إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين فأى ابن لا يؤدبه أبوه. (عب ١٢ : ٧).

وإذا تحدثنا عن العلاقة بين الوالدين والأولاد نقول بكل تأكيد أنه ما من جريمة كانت تعاقب بأكثر مما كانت تعاقب به كسر الوصية الخامسة «فالتلمود بكل ما عرف عنه من الاهتمام بالتفصيل فى أمور الحفاوة والتكريم، يفضّل ويطنب عندما يضع القاعدة الآتية على الابن أن يطعم والده ويقدم له الشراب وأن يكسوه وأن يحميه وأن يصحبه إلى داخل المنزل ويرافقه فى خروجه منه وأن يغسل قدميه ويديه ويضيف «جيمار أورشليم» JerusalemGemare (تعليق على الآراء الأساسية فى الشريعة والتقليد اليهودى) أن الابن مضطر أن يسأل لأبيه (يشحذ)؛ ولو أن تعاليم الراباى (المعلمين) يفضل الوالد الروحى فى هذا عن الوالد حسب الجسد، وترينا وصف الحالة الاجتماعية العامة للمجتمع اليهودى آباء يسهرون على أطفالهم بحنان ومحبة، وأولاداً يسددون دينهم. وعناية آبائهم بتحمل طبائعهم الغريبة وتجاربهم الناشئة عن أهواء السن ونزوات الضعف، وإذا ظهر نقص فى أداء الواجب أو عدم محبة وتقدير الوالدين لأحدث ذلك رعدة رعب وهلع فى المجتمع اليهودى أما عن الجرائم ضد الآباء التى كانت تعاقب عليها شريعة الله أقسى عقاب، فلم تكن لحسن الحظ

معروفة ومع ذلك حددت مراسيم الراباى وتعاليمهم ووصاياهم التزامات الوالدين وحدت من سلطانهم، ولذلك كان الابن يعتبر حراً عندما يستطيع كسب قوته ومع أن الابنة كانت تبقى فى سلطة أبيها إلى أن تتزوج ما كان لأبيها أن يعطيها لآخر إلا بموافقتها الصريحة دون أى ضغط. وما كان للوالد أن يضرب إبنه إلا صغيراً ولا يسرف فى ذلك حتى لا يهدر كرامة صغيره، لأن ضرب الابن إذا كبر كان محرماً وكان يعاقب بالحرمان والوصية الرسولية (أفسس ٦ : ٤) «أيها الآباء لا تغيظوا أبناءكم إلى الغضب» لها ما يقابلها فى التلمود حرفياً. ونستطيع أن نقول فى هذا الصدد أن القانون اليهودى حدد التزام الأب بأن يطعم الابن ويكسوه ويأويه إلى السادسة من عمره وبعد ذلك ليس لأحد الا أن ينصحه بذلك كواجب توجبه المحبة ولكن لم يكن هناك قانون يفرض ذلك عليه. وفى حالة انفصال الوالدين كان للأم حق الاشراف على البنات وعلى الأب الاشراف على البنين ولكن كان من الممكن أن يعهد بالبنين إلى الأم لو اعتبر القاضى أن ذلك من صالح البنين.

إن بعض الملاحظات عن الاحترام الواجب للمسنين لخاتمة مناسبة لهذا الملخص عن الحياة المنزلية اليهودية، ولقد قيل كما أن ألواح الشريعة المكسرة كانت محفوظة فى تابوت العهد؛ هكذا يجب أن نحترم كبار السن ونقوم بحاجياتهم حتى وإن كانوا محطمين عقلاً وذاكرة، ومع أنه البعض قد يشكون فى صحته فأنه حقيقة يعبر عن فكرة جميلة. ومن المؤكد أن روح التعاليم الراباى (المعلمين) ذهبت إلى أبعد حد فى هذه المسألة عندما أوصت بإحترام كبار السن حتى فيما يختص بالعاميين غير المتعلمين والأميين، ومع ذلك فلقد اختلفت الآراء فى هذا الأمر فإن ما ورد فى (لا ١٩ : ٣٢) «من أمام الاشيب تقوم وتحترم وجه الشيخ» فَسَّره البعض أنها تشير إلى الحكماء الذين يعتبرون وحدهم الشيوخ. وإذا كان الراباى موسى يقارن الرجال الصغار السن الذين يطلبون العلم كمن يأكلون العنب الفج أو الذين يشربون خمراً جديداً؛ فإن الراباى يهودا علّم قائلاً لا تنظر إلى الزجاجات ولكن أنظر إلى ما تحتويه لأن هناك زقاق جديدة ملآنة بخمر عتيق وهناك زقاق عتيقة بها خمر جديد وأورد أيضاً فى (تث ١٣ : ١ - ٢) وكذلك فى (١٨ : ٢١، ٢٢) أن الشعب وُصىّ بأن يمتحن النبى بالعلامات التى يظهرها ولقد أساء اليهود استخدام هذه الآيات عندما سألوا المسيح أية آية يريهم (يو ٢ : ١٨، ٦ : ٣٠)، بينما فى (تث ١٧ : ١٠)

كانت الوصيـة نصاً فتعمل حسب الأمر الذى يخبرونك به من ذلك المكان الذى يختاره الرب». فتساءل الناس إذن ما الفرق بين شيخ ونبى وكان الجواب إن النبى كسفير تؤمن به حسب أوراق اعتماده، أما الشيخ فكلمته تقبل دون حاجة إلى بيّنه وبرهان. وكانوا يوصون بشدة أن يظهروا للشيوخ علامات الاحترام الظاهرة كالوقوف فى حضرته وعدم الجلوس فى مقعده واجابتهم بوداعة واتضاع وأن يخصص لهم المجالس الأولى فى الولائم.

وبعد أن أوضحنا كيف حرصت تعاليم الراباى على الواجبات المتبادلة بين الوالدين والأولاد. فمن المفيد أن نبين كيف أن روح التقليد فى عبادتها للحرف أبطلت روح شريعة الله. ويكفى هنا أن نورد مثلاً واحداً والمثل الذى نختاره له ميزة مزدوجة فهو يشرح اشارة أخرى صعبة فى العهد الجديد وهو أيضاً يرينا خصائص روح التقليد فليس هناك وصية تتفق مع حرفية الشريعة وروحها بوضوح تام مثل الوصية الآتية «الذى يلعن أباه أو أمه فليمت موتاً» ومع ذلك يتهم روح التقليد بتعدى الناموس (مت ١٥ : ٤ - ٦) والاقتباس التالى من المشناه يشرح بوضوح عجيب عدالة الاتهام إذ يقول التقليد من يلعن أباه وأمه لا يكون مجرماً إلا إذا لعنهم وذكر صريحاً إسم الله، ففى أية حالة أخرى يعلن الحكماء أنه برىء. وهذا على كل حال مثل قائم بذاته على تعويج الراباى للشريعة. وفى الحقيقة إن الأنظمة الأخلاقية الأدبية الروحية للمجمع يترك على العقل آثاراً محزنة فى تعليم المبادئ وهى جميعها عبارة عن سلسلة من الفتاوى والاجتهادات لا يمكن أن يصفه وصفاً صادقاً إلا كلمات المخلص (مت ١٥ : ٦) «لقد أبطلتم وصية الله بتقليدكم».

الفصل السابع
تربية الأطفال اليهود

وتظهر رقة ولطف الرابطة التى تربط الوالدين اليهود بأطفالهم فى تعدد وجمال المصطلحات التى يطلقونها على مراحل حياة الطفولة فضلاً عن الكلمات العامة «ابن وبت» ومعناها «ابن وابنه» . نجد ما لا يقل عن تسعة أسماء كل منها تصف مرحلة جديدة من مراحل الحياة وأول هذه يسمى الطفل «الولد» أى المولود والانثى الوالدة كما فى (خر ٢ : ٣، ٦، ٨)، ولكن استعمال هذه الكلمة يلقى ضوءً جديداً على معنى بعض القطع فى الكتاب فنجد أنها أطلقت على سيدنا وإلهنا فى نبوة ميلاده (أش ٩ : ٦) «لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا» بينما استعمالها (أولاد الأجانب) فى (أش ٢ : ٦) يضيف معنى جديداً للتهمة ويصافحون أولاد الأجانب ويطلقون عليهم ليس فقط اسم أولاد الأجانب بل أولاد غير مقدسين من ميلادهم ولتلاحظ أيضاً استعمال كلمة ولد ذلك الاستعمال التصويرى الشاعرى الجميل فى (أش ٢٩ : ٢٣، ٦٤ : ٤، أر ٣١ : ٢٠، جا ٦ : ١٣، ١ مل ١٢ : ٨، ٢ مل ٢ : ٢٤، تك ٤٢ : ٢٢) والاسم الذى يلى ذلك فى الترتيب الزمنى باليهودية «يونيك» Jonek ومعناها الحرفى «الربيع» وتستعمل مجازياً فى بعض الأحيان على النبات كما يستعملها الانجليز وكما فى (أش ٥٣ : ٢) «وينمو أمامه كغصن» وكما وردت فى (أش ١١ : ٨، مز ٨ : ٢)، وعلى العكس من ذلك فى القطعة الأخيرة التى ترجمت «أطفال» «أوليل Olel» فى الترجمة الانجليزية تعين مرحلة ثالثة فى حياة الطفل ومرحلة متقدمة فى حياته ويظهر ذلك ف آيات كثيرة وكما تتضمنه الكلمة «الأوليل» olel باليهودية لايزال «يرضع» ولكنه لا يكتفى بهذه التغذية ولكنه يطلب الخبز ففى (مراثى ٤ : ٤) «لصق لسان الرضيع بحنكه (سقف حنكه) من العطش والرضعان (والمفطومين) olalim يسألون خبزاً» وإسم رابع يقدم الطفل بوصفه «كامول Gamul» أو «العظيم» (مز ١٣١ : ٢، أش ١١ : ٨، ٢٨ : ٩) وهو مشتق من فعل معناه الأولى (يكمل) والمعنى الثانوى (يعظم) وكما نعلم أنه كان عادة فى

نهاية العام الثانى عند العبرانيين، وكان يشهر فى عيد عائلى ويبدو بعد ذلك أن عين الوالد اليهودى المحب المعتز بطفله تراقب الطفل وهو ملتصق ومتعلق بأمه ولا يبعد كثيراً عنها ومن هنا جاء الاسم الخامس اليهودى «تاف» Taph كما ورد فى (أستير ٣ : ١٣) «والأطفال والنساء فى يوم واحد» وفى (إرميا ٤٠ : ٧، حز ٩ : ٦) والفترة السادسة تعرف بالكلمة اليهودية «أيليم» elem ومؤنثها «ألماه» almah كما فى (أشعياء ٧ : ١٤) عن الأم العذراء ومعناها أصبحت ثابتة وقوية. ويلى ذلك الاسم «نار» naar باليهودية ومعناه (الشاب) وحرفياً الذى نفضه عنه كل قيد فأصبح حراً. وأخيراً يسمى الطفل «الباكور» bachur باليهودية ومعناها (الناضج اليافع) أو (الجندى الصغير) كما فى (أشعياء ٣١ : ٨، أر ١٨ : ٢١، ١٥ : ٨). وبكل تأكيد أن الذين اعتادوا أن يلاحظوا حياة الأطفال ملاحظة دقيقة ويطلقون عليها أسماء تصورها تصويراً جميلاً فى كل مرحلة حياتهم لابد أنهم كانوا متعلقين بنسلهم. وهناك مقطوعة فى المشناه ترسم وتضع أسماء لمراحل الحياة حسب مميزات كل منها، وهى جديرة بالاقتباس وإن يكن فقط كمقدمة لما يجب أن نقوله على تربية الأطفال فيقول : راباى يهوذا إبن طما : «فى الخامسة قراءة الكتاب المقدس، وفى العاشرة حفظ المشناه، وفى الثالثة عشر التمسك بالوصايا وفى الخامسة عشرة دراسة التلمود، وفى الثامنة عشرة الزواج، وفى العشرين مزاولة حرفة أو عمل تجارى (نشاط)، وفى الثلاثين قوة كاملة، وفى الأربعين نضوج العقل وفى الخمسين للشورى والتوجيه، وفى الستين يبدأ الهرم، وفى السبعين سن الشعر الأشهب، وفى الثمانين الهرم المتقدم، وفى التسعين الانحناء، وفى المائة كالذى مات وارتحل وأخذ من هذا العالم.» وفى هذه المقطوعة التى اقتبسناها يذكر أن سن الخامسة هو ذلك السن الذى ينتظر أن يبدأ فيه قراءة الكتاب بالطبع فى اليهودية الأصلية، ولكن انتشرت آراء مختلفة إذ أعتبر هذا التعليم مأموناً لكل طفل قوى سليم، فى حين أن الأطفال ذوى البنية المتوسطة لم يكونوا ليبدأوا عملاً نظامياً حتى السادسة. وأن القول الآتى من التلمود مبنى على الحكمة والخبرة فهو يقول : «إذا كلفت طفلك بالدراسة المنتظمة فى سن الخامسة فلسوف تجرى وراءها دون أن تمسك بها» ويشير هذا إلى الضرر الذى يلحق بالصحة من جراء الإنهاك المبكر للعقل. أما إذا صادفنا وصية بيدأ تعليم الطفل فى الثالثة من عمره فإنما يشير ذلك إلى تعليم قطع صغيرة من الكتاب أو إلى الأجزاء المنفصلة والصلوات التى قد يحبب الوالد للطفل تكرارها فى هذه السن الرقيقة وكما سنرى فيما يلى سن السادسة وسن السابعة هو السن الذى كان فيه الأب مضطراً لأن يشرف على تعليم إبنه.

إلا أنه لمن الصعب أن نقول متى يبدأ تعليم الطفل العبراني، فإذا رجع الرجل بفكره إلى الخلف لشعر أن التعليم الذى قَدَّره أعظم تقدير لا بل قَدَّره وحده لا غيره؛ هذا التعليم قد اختلط مع أفكار وعيه المتيقظة فقبل أن يستطيع الطفل الكلام وقبل أن يفهم ما تعلمه بأى لغة أولية وقبل أن يفهم الطقوس الأولية التى تتكرر فى إحتفال أسبوعى أو عيد سنوى. ولابد أن الطفل كانت تبهره ما تسمى «الميسوساه Mesusah» التى كانت تثبت على باب كل البيوت الطاهرة تؤدى أغراض قريبة من الأغراض التى تؤديها العصائب؛ إذ أن كلاهما قائم على سوء فهم الارشادات الإلهية وسوء استعمالها (تث ٦ : ٩، ١١ : ٢٠) ولكن فى حين أننا نوافق بتقبل ورضى العادة اليهودية القديمة التى تخلو من بعض العوائد الحالية التى تكاد تكون وثنية. بل أن كثيراً من المنازل فى فلسطين لم يكن به هذه العادة (ميسوساه). فليس هناك شك فى أنه حتى فى أيام المسيح كان الميسوساه موجوداً فى العائلة ذات الميول الفريسية لأنه بدون أن نتكلم عما يبدو أنه إشارة إليه مبكراً فى (أش ٥٧ : ٨). هناك شهادة يوسيفوس الواضحة باستعمالها وشهادة المشناه التى ذكرها مع إضافات خرافية، ولو فرضنا أن المشناه كانت كما هى فى الوقت الحاضر فإنها كانت تحتوى على مربع من الجلد طويت طيات طولية كتب عليها على اثنين وعشرين سطراً المقطوعتين (تث ٦ : ٤ – ٩و ١١ : ١٣ – ٢١)، ثم توضع فى صندوق معدنى لامع وتثبت على قائمة الباب. وعندما يحمل الطفل على الذراعين فإنه من الطبيعى أن يرفع يده عليها وخاصة لأنه تعود أن يرى والده والآخرين عند خروجهم ودخولهم يلمسون الصندوق المعدنى بإحترام زائد ثم يلثمون أصابعهم وهم يرددون ويطلبون البركة، لأنه منذ الأيام الأولى كان وجود الميسوساه مرتبطا بالحراسة الإلهية لأن الآية التالية كانت تستعمل بها استعمالاً خاصاً : «الرب يحفظك من كل شر يحفظ نفسك الرب يحفظ خروجك ودخولك من الآن والى الدهر» (مز ١٢١ : ٨). وفى الحقيقة إن من أقدم وأمتع الاثار الأدبية فى الوجود الميشيلتا Mechiltaوهو تعليق يهودى على سفر الخروج ومادته أقدم من المشناه نفسها ويرجع تاريخه إلى ابتداء القرن الثانى من عصرنا إن لم يكن قبل ذلك وهو يناقش فاعلية الميسوساه كما يلى لأن ملاك الموت عبر على أبواب إسرائيل التى كان عليها علامة العهد فيجب أن يكون للميسوساه أهمية أكبر لأنها تتضمن اسم الله أكثر من عشر مرات. وكان لابد أن توجد فى منازل إسرائيل نهاراً وليلاً فى كل الأجيال. وللننتقل من هذا إلى سر «كابالا» Kabbalahوما فيها من سحر وإلى مثل الخرافات الحديثة كالآتى : إذا كان هناك

تراب أو قاذورات على بعد ذراع من الميسوساه لدخل ما لا يقل عن ثلاثمائة وخمس وستون روحاً شريرة وكان هناك فرق فى الدرجة وليس فى النوع.

ولنعد إلى الطفل فما ان حصل الطفل على معرفة ما فإن الصلاة الخاصة والصلوات الجماعية للعائلة والطقوس العائلية سواء كانت طقوس السبت الأسبوعية أو كانت طقوس مواسم العيد، تكون قد انطبعت على عقله كل هذا إنطباعاً من الصعب أن ينمحى أى هذه الأعياد وتترك فى خيال الطفل أقوى أثر. فكان هناك الحانوكا hanukah أو عيد التكريس وفيه يضاء كل منزل فى الليلة الأولى شمعة لكل شخص ويزاد العدد كل ليلة إلى الثامنة حينما تكون الإضاءة ثمانية أضعافها فى اليوم الأول. وكان هناك أيضاً عيد الفوريم purim (عيد أستير) بهتافاته ومرحه وضجته. وكان أيضاً عيد المظالTabernacles وفيه يعيش أصغر فرد اطلاقاً فى المظلة (كوخ). وأهم الأعياد جميعاً أسبوع الفصحpassover وفيه يطهرون المنزل تطهيراً تاماً من كل خمير بكل دقة وعناية بإختلافها من كل طعام يستعمل عادة، وهكذا يعرف الطفل أنه عيد خاص، وما أن يصبح الطفل قادراً على أن يتعلم وأن يشترك فى الخدمات إلا ويزداد الأثر عمقاً يوماً فيوم، ولا يستطيع أحد ممن اشترك فى العبادة فى بيت الله فى أورشليم أن ينسى ما شاهد أو الكلمات التى سمع، فعندما يقف الطفل داخل البناء الفخم المجيد ويتطلع إلى تلك المساحة الضخمة الشاسعة من مدرجاته يلاحظه برهبة ومهابة وجلال وتعجب بينما يتحرك جمهور الكهنة بملابسهم البيضاء لأداء أعمالهم، وبينما كان دخان الذبائح يرتفع من مذبح المحرقات من خلال الصمت والسكوت المخيم على الجمهور الكبير كانوا يلقون بأنفسهم ليسجدوا فى وقت رفع البخور، وكذلك من الدرجات التى كانت تؤدى إلى داخل المقدس كانوا يرفعون أيديهم وينطقون بكلمات البركة على الشعب وبينما كانوا يصبون الخمر كانوا يرتلون المزامير ويرتفع صوتهم حتى يصبح عظيماً جداً، وكانت أنغام الرجال الرخيمة تدعم أصوات أولاد اللاويين الرقيقة والغريبة مصحوبة بالموسيقى. وكان الطفل اليهودى يحفظ هذه الكلمات فلقد كانت أولى الترانيم التى سمعها عندما كان يتعلق بأمه أما الآن ففى الصالات المغطاة بالرخام الأبيض المزينة بالذهب تحت قبة السماء الزرقاء وفى وسط هذا الجو فتسقط على أذنه كأصوات من عالم آخر الذى يبدو وأن النفخات الثلاثية من أبواق الكهنة الفضية كانت تبدو أنها توقظه وكأنها أصوات من عالم آخر، لأن كل ما رأى كان مطابقاً للمثال الذى أراه الله لموسى على جبل سيناء

كما تعود والده أن يقول له، وكل ما سمعه نطق به الله وتكلم به الله نفسه بفم خادمه داود وآخرين من مرنمي اسرائيل، لا بل أن المكان والبناء اختارهما الله. وفي ظلمة قدس الأقداس بعيداً حيث كان رئيس الكهنة يدخل مرة في العام في لباس أبيض بسيط نقي لا في الثياب الذهبية الفخمة التي كان يلبسها عادة كان التابوت وبه ألواح الشريعة الحقيقية المنقوش عليها وصايا الله، وبين الكاروبيم الله استوى على عرشه في السحابة التي هي حضرة الله Jehovah المرئية. والحق أن الهيكل بخدمته كان السماء على الأرض.

وما كان التأثير الذى تركه أول عشاء فصح حضره الطفل ليضيع لأن رموزها وخدماتها كانت تستهوى كل شعور حتى ولو أن الشريعة لم توح صراحة بأن يعلم كل جزء وكل طقس في الخدمة أو الحادث المسجل في هذا العشاء. لأن في تلك الليلة ولد اسرائيل كأمة وافتدى الرب الجماعة وكذلك فكل مستقبل التاريخ وكأنه قد صب في قالب على طول التاريخ. وهناك أعلن كما في مثال معناه الدائم وأهميته الدائمة لكل الناس ومقاصد الله وعمل النعمة. وفي الحقيقة في مرحلة من مراحل الخدمة أوصى صراحة أن الأصغر على مائدة البصخة يقوم ويسأل ما معنى كل هذه الخدمة وكيف تتميز هذه الليلة عن مثيلاتها، وأن يجاوبه أبوه بأن يقص بلغة تتناسب مع قدرة الطفل كل التاريخ القومي لإسرائيل من دعوة ابراهيم والخلاص من مصر واعطاء الشريعة، وكلما أفاض في شرح الكل كان ذلك أفضل فإذا أدركنا كل هذا. وأن فيلو يستطيع أن يقول بدون أية مبالغة أن اليهود كانوا وهم بعد أطفالاً في الأقمطة وقبل أن يتعلم الشريعة أو العوائد المكتوبة كان أباؤهم ومعلموهم ومدرسوهم يدربونهم على أن يعرفوا الله كأب وصانع العالم؛ وبعد أن يتعلموا ويعرفوا الشريعة في أوائل شبابهم حفظوا في قلوبهم صورة الوصايا. ويشهد يوسيفوس بأنه عند بلوغهم أول درجات الوعي يكونون قد حفظوا الشرائع بحيث تكون منقوشة على أرواحهم، ومع أننا لا نصدقه عندما يقول بما عرف عنه من الفخر والاعتزاز بنفسه أنه في سن الرابعة عشرة كان كثيراً ما يستشيره رئيس الكهنة والرجال المسئولون في المدينة عن الفهم الدقيق لبعض نقط الشريعة.

ولسنا في حاجة لهذه الشهادة فالعهد القديم والإبوكريفا Apocrpha والعهد الجديد تؤدى بنا على التوالي من قرن إلى قرن، وتدل دلالة قوية على العناية في تربية الأطفال وتنشئتهم فواحدة من دلائل القصص في الكتاب تسجل أن «الله قال

لابراهيم عرفته أنه يوصى بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا براً وعدلاً» (تك ١٨ : ١٩) وهو قول يتضمن التفرقة بين نسل ابراهيم حسب الجسد ونسله حسب الروح ويبدو لنا من مقارنة القطع التالية إلى أى حد وبأى دقة وتدقيق روعيت روح الكلمة الإلهية (خر ١٢ : ٢٦، ١٣ : ٨ ، ١٤وتث ٤ : ٩ ، ١٠و ٦ : ٧ – ٢٠، ١١ : ١٩، ٣١ : ١٣و مز ٧٨ : ٥، ٦). ولا حاجة بنا أن نسير فى هذا الموضوع إلى أبعد من هذا أو أن نبين كيف أن معاملات الله مع شعبه كانت تعتبر أساساً ومثالاً للعلاقات الوالديه، ولكن العهد القديم الذى يعطينا أعمق نظرة فى الحياة العائلية والاجتماعية حسب النظام والترتيب القديم – أعنى سفر الأمثال – حيث يمتلىء بالنصائح والتوجيهات فى تربية الأطفال مما يجعلنا نشير إليه اشارة عامة ولسوف يجد القارئ هناك قيمة مثل هذا التعليم والقصد منه للحصول على الحكمة الحقيقية فى خوف الله وخدمته، كما سيجد أخطار العكس مفصلة تفصيلاً حياً، ويختصر التطبيق العملى فى الحكمة القائلة «رب الولد فى طريقه فمتى شاخ أيضاً لا يحيد عنه» (أم ٢٢ : ٦) ونجد له استعمالاً فى العهد الجديد «ربوهم (الأولاد) بتدبير الرب وإنذار» (أفس ٦ : ٤).

ويعرض لنا سفر الأمثال وجهة نظر أخرى غاية فى الأهمية، تتضمن تقدير المرأة فى كامل كرامتها ومركزها وتأثيرها فى الحياة العائلية. فمن الحقيقى إن واجب تعليم الطفل يقع أولاً على الأب وهذا طبقاً لشريعة الله ومرسومات الراباى، ولكن حتى القصة الأبوية تعد القارئ المنتبه اليقظ أن يجد خاصة فى المراحل الأولى فى تربية الطفل تأثير المرأة المستمر الناشئ من طبيعة علاقة الأمومة، على شريطة أن تشكل الحياة العائلية على مثال كلمة الله. ولا يمكننا أن نجد فى هذا الصدد صوراً أجمل من صورة أم صموئيل أو الشونمية التقية التى أستضافت أليشع. ولكن سفر الأمثال يرينا أنه حتى فى الأيام الأولى للملكية اليهودية ظهرت خاصية العهد القديم هذه خارج حدود الأرض المقدسة حيثما استوطن الاسرائيليون الأتقياء. ولهذا الموضوع أهمية دينية وتاريخية قوية وقد تكون جديدة على بعض القراء مما يدعونا إلى استطراد طفيف. فيما وراء حدود الأرض المقدسة بالقرب من دومة Dmab كانت أرض أو اقليم ماسّه (تك ٢٥ : ١٤ أحد مقر الاسماعيليين الأساسية (١ أخ ١ : ٣٠) ونعلم من (أش ٢١ : ١١)

أنها لابد أن كانت تقع فيما وراء سعير أى جنوب شرق فلسطين فى شمال بلاد العرب. وسواء كان الاسماعيليون فى مسّه قد عرفوا يهوه الاله الحقيقى، أو سواء احتلت مسّه مستعمرة يهودية أسست هناك خدمة الرب، أم سواء من خلال تأثير الهجرة اليهودية تم هذا التغيير الدينى. فمن المؤكد فإن اصحاحين من سفر الأمثال يعرفاننا بالأسرة المالكة فى مسّه كانت متشبعة بالدين الروحى الذى فى العهد القديم، وأن الملكة الأم ربت الوارث للعرش فى خوف الله ومعرفته وهكذا كانت هذه الحالة حتى أن تعليم ملكة مسّه وكلمات إبنيها الملكين أدخلت فى سفر الأمثال كجزء من سجل ملهم موحى به مما دون فى العهد القديم وطبقاً لأحسن معنى يجب أن يترجم (أمثال ٣٠ : ١) كما يلى «كلمات آجور ابن تلك التى يطيعها مسّه، تكلم الرجل إلى الله معى ـ الله معى، وكنت قوياً» ثم (أمثال ٣١)«كلمات أخى الملك آجور من البيت الملكى إلى كلمات لموئيل ملك مسّه التى علمتها له أمه» فإذا كان أسماء الأميرين ـ آجور (المنفى) وليموئيل (لله أى المكرس لله) يشيران إلى اعتقاداتها فتعليم هذه الأم الملكية كما سجل فى (أم ٣١ : ٢ - ٩) جدير بأم فى إسرائيل فلا عجب أن ما سجل من تعليمها يليه وصف حماسى لما تستحقه إمرأة مؤمنة تقية وعملها (أمثال ٣١ : ١٠ - ٣١). وكل آية تبدأ بحرف من حروف الأبجدية اليهودية على التتالى وعددها ٢٢ حرفاً كما هو الحال فى (مز ١١٩) لكى يتردد مدحها خلال كل حرف من حروف الهجاء.

وكما نتوقع روح أسفار الأبوكريفا تختلف اختلافاً كبيراً عما يوحى به العهد القديم. ومع ذلك فإن كتابة سفر الحكمة (من الأسفار المحذوفة) يبين أنه حتى فى أيام الانحطاط الأخيرة احتلت تربية الأطفال تربية دينية تقوية مكاناً بارزاً فى التفكير الدينى. ولكن بمقدم العهد الجديد بدت المرأة وكأنه أحاطتها حالة جديدة من المجد والبهاء وهنا يتجه إلتفاتنا إلى التأثير الروحى إلى الأمهات أكثر من اتجاهه إلى الآباء، فغنى عن الذكر «أم أولاد زبدى» «وأم يوحنا مرقس» الذى كان بيتها فى أورشليم ملتقى وحمى الرسل الأوائل وذلك فى وقت من أسوأ أيام الإضطهاد وكذلك السيدة المختارة وأولادها التى لا يحبها القديس يوحنا وحده بل كل الذين يحبون الحق (٢ يو ١) وكذلك أختها المختارة وأولادها (ع ١٣).وهناك مثلان جديران بالملاحظة لا يغيبان عن القارئ وأولهما مثل مؤثر لإيمان الأم وصلاتها وعمل محبتها لا مثيل له

فى التاريخ الأم مونيكا أم القديس أغسطينوس. «وافنيكى ابنة السيدة التقية لوئيس وكيف تزوجت من وثنى ولا نعلم الظروف التى أدت بالعائلة أصلاً أن تستقر فى لستره» (أع ١٦ : ١)، وقارن (١٤ : ٦) حيث لم يكن مجمع وعلى أكبر تقدير كان هناك عائلتان أو ثلاث عائلات يهودية تعيشان فى هذه المدينة الوثنية وربما كانت لوئيس وافنيكى هما العابدتان الوحيدتان لله هناك، لأننا لا نقرأ عن مكان إجتماع كالذى كان بجانب النهر حيث لاقى بولس ليديا لأول مرة وحتى فى هذه الظروف غير الموفقة، وكزوجة رجل اغريقى أثبتت أفنيكى أنها إمرأة ينطبق عليها مدح ليموئيل بأكمل معانيه، أولادها يقومون ويمدحونها وأعمالها تمدحها فى الأبواب فى أبواب أورشليم الجديدة. ولقد صور القديس بولس ذلك البيت اليهودى التقى وصفاً لا يمكن أن ينسحب على أى بيت آخر عندما قال «إذ تذكر الإيمان عديم الرياء الذى فيك الذى سكن أولاً فى جدتك لوئيس وأمك أفنيكى» (٢ تى ١ : ٥) وعندما قال «لأنك منذ الطفولة تعرف الكتب المقدسة» (٢ تى : ٥ : ١، ٣ : ١٥) ونكرر هنا أنه لم يكن هناك مجمع فى لستره حيث يمكن أن يسمع تيموثاؤس كل سبت ومرتين فى الأسبوع موسى والأنبياء لينال من ذلك المعرفة الدينية. ولم يكن هناك على قدر ما نعلم رفقاء فى الدين أو وسيلة تعليم من أى نوع أو أى مثل يحتذى أو حتى والد يتعلم منه؛ ولكن كل ما حوله كان على العكس من ذلك ولكن كان هناك مؤثر واحد للخير العام الأسمى ثابت لا يتغير وهو أقوى المؤثرات عامة وهو تأثير أم فى إسرائيل فمنذ أن كان صغيراً (تاف) متعلقاً بها لا يبعد عنها، أو (كامول) فطيماً كاملاً، أو (أوليل) فى بدء فطامه، أو (يونيك). وطبعاً ينبت أمامها كغصن كانت أفنيكى قد ربت تيموثاؤس على أوامر الله ونواهيه ولنكرر ثانية لغة القديس بولس القوية منذ الطفولة (منذ كنت طفلاً) عرفت الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذى فى يسوع المسيح.

من الأبوكريفا ومن يوسيفوس ومن التلمود نعرف وسائل التعليم فى الكتاب التى كانت فى متناول أى أم تقية ورعة فى ذلك الوقت. ففى منزل كمنزل أبى تيموثاؤس لم يكن هناك عصائب بما فيها من أجزاء من الكتاب ومن المحتمل لم يكن هناك ميسوسه ولو أنه طبقاً لتعاليم المشناه كانت الميسوساه واجباً موضوعاً على الرجل بل على المرأة، ويعطى التلمود البابلى تعليلاً غير مقنع للشرط الأخير ولكن قد يكون أن

الشريعة اليهودية أخذت فى الاعتبار الحالات مثل حالة أفنيكى وإبنها دون أن يعبر عن ذلك صراحة خوفاً من أن يكسب الزيجات المختلطة تصديقاً وإعترافاً، ولكن سواء أصح ذلك أم لا نعرف جيداً أنه منذ الاضطهادات السورية قبل ثورة المكابيين شاع فى اسرائيل ظاهرة إقتناء أجزاء من العهد القديم أو كل العهد القديم ذاته لأن جزءاً من هذا الاضطهاد انحصر فى البحث عن الكتب المقدسة والقضاء عليها (١ مكا ١ : ٥٧) ومعاقبة من يمتلكها. ومن الطبيعى أنه فى أثناء فترة الاحياء الدينى التى تمت فى أثر إنتصارات المكابيين لابد أن تكاثرت نسخ الكتاب وربما وليس من المبالغة أن نقول أن الأغنياء وحدهم دون غيرهم كانوا يمتلكون نسخة كاملة من العهد القديم مكتوبة على رقوق الجلد أو الورق المصرى (البردى). فلم يكن هناك بيت تقى مهما كان فقيراً لن يعتز بجزء من كلمة الله إعتزازه بأغلى كنز سواء خمسة أسفار الشريعة أو المزامير أو درج لسفر أحد الأنبياء أو عدد منهم. ونعلم من التلمود وأيضاً أنه فى زمن بعد هذا ويحتمل أنه فى وقت المسيح كان هناك درج صغير من الجلد يحتوى على أجزاء من الكتاب باسم شما shema باليهودية ترجمة كل «اسمع» فى «اسمع يا اسرائيل» (تث ٦ : ٤ - ٩، ١١ : ١٣ - ٢١، عدد ١٥ : ٣٧ - ٤١) (والهليل) Hallel كتاب ثانى من المزامير (١١٣ - ١١٨). والتاريخ من الخليقة إلى الفيضان وهذا هو درج ثالث. أما الرابع فيشمل ثمانية اصحاحات الأولى من اللاويين. ومثل هذه الوسائل التعليمية لابد أن كانت تحت تصرف أفنيكى فى تعليم إبنها.

وهذا يأتى بنا إلى أن نذكر بكل ما يستحقه الاحترام والتبجيل المثل الآخر من العهد الجديد وهو المثل الأعظم فى تأثير الأم فى إسرائيل. وهذا هو المثال هو أم إلهنا وسيدنا نفسه له البركة والعزة. وعندما نعلم أن يسوع صار خاضعاً لوالديه وأنه كان ينمو فى النعمة والقامة عند الله والناس. نعلم أن هذا جزء من السر الذى لا يمكن سبر (قياس) عمقه؛ وهو سر إخلاء ذاته ومنه نأتى إلى التأثير الذى بذلته أمه خاصة والذى يبدو متغلغلا خلال تاريخ الانجيل. ومن الطبيعى أن منزله كان منزلاً يهودياً تقياً ولقد كان فى الناصرة مجمعا الحق به مدرسة كما سنشرح ذلك تدريجياً، وفى ذلك المجمع اعتادوا أن يقرأوا موسى والأنبياء وألقيت خطب ومحادثات ولقد ألقى هو نفسه عظات وقام بأحاديث من وقت لآخر. وسوف نشرح فى فصل تال ما كان يعلم

فى هذه المجامع وكيف كان يجرى هذا التعليم، ولكن سواء أكان يسوع يحضر هذه المدرسة وأمثالها أم لا وسواء أكان عقله يتبع الكتب المقدسة أم لا فإنه كان يألف هذه الكتب فى كل تفصيلاتها بحيث لا يمكن أن نخطىء إذا قلنا أن المنزل فى الناصرة كان فيه نسخة ثمينة لكل الكتاب المقدس خاصة به، والذى كون منذ الطفولة المبكرة مأكل ومشرب الإله الانسان. وهناك برهان واضح أنه كان على معرفة تامة بالكتابة التى كانت فى ذلك الوقت شائعة شيوع القراءة وتثبت كلمات السيد المسيح كما وردت فى انجيل القديس متى (٥ : ١٨) وفى انجيل القديس لوقا (١٦ : ١٧) أن نسخة العهد القديم التى اعتمد عليها لم تكن باللغة العبرية الأصلية ولكنها كانت مكتوبة بالحروف الأشورية لا بالحروف العبرية الفينيقية القديمة ويبدو هذا من التعبير «حرف واحد ونقطة واحدة» ولا ينطبق هذا إلا على الحروف العبرية الحديثة ولقد علم سيدنا باللغة الآرامية، كما أنه استعمل الأسفار المقدسة باللغة العبرية واقتبس منها وفى بعض الأحيان ترجم منها إلى اللغة الآرامية للاستعمال العام وليس هناك إلا قليل شك فى هذا من جهة الدارسين الحريصين غير المتعصبين ولو أن بعض المتعلمين يرون عكس ذلك. وحقيقة يبدو أن المشناه تسمح بكتابة الكتاب المقدس بأى لغة ولكن حتى سمعان بن غمالائيل معلم القديس بولس قصر هذا التنازل على اللغة الاغريقية آخذاً فى الاعتبار الترجمة السبعينية التى ذاع انتشارها فى زمانه. ولكننا نعلم من التلمود أنه كان من الصعب على أى راباى أن يدافع عن دراسة اللغة الاغريقية أو استعمالها وأن الشعور الشعبى ضد هذا الرأى كثيراً ما بلغ حد الحكم عليها حكماً ساحقاً عارماً وإن التأثير الفعال المباشر الذى نتج عن استعمال القديس بولس اللغة الأرامية (العبرية)، (أع ٢١ : ٤٠)، على الشعب الثائر الهائج مما يؤيد الفكرة السابقة ومما يؤيدها أيضاً أن الرجوع إلى الكتاب المقدس باللغة العبرية كان له قوة وسلطان فى المناقشة مع الفريسيين والكتبة ومما يؤيد الفكرة أنها وحدها كانت تكسب أهمية احتجاجات المسيح المتكررة أما قرأتم (متى ١٢ : ٣، ١٩ : ٤، ٢١ : ١٣، ١٦، ٤٢و مت ٢٢ : ٣١).

وكان يسوع يألف الكتب المقدسة باللغة العبرية الأصلية منذ الطفولة، وهذا يفسر وجوده فى الهيكل فى الثانية عشرة جالساً وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم (لو ٢ : ٤٦). وفى شرحنا هذا الظرف الذى يبدو غريباً نستأذن فى إنتهاز الفرصة لنصحح

خطأ يكاد يكون عاماً حيث يظن عموماً فى المناسبة المذكورة أن المخلص عندما صعد إلى الهيكل، كان قد بلغ السن القانونية بالمعنى اليهودى للتعبير أو إذا استعملنا كلماتهم ذاتها (ابن الوصية) وباليهودية Bar mizvah وفى ذلك الوقت كانت على الشاب إلتزامات ومزايا الشاب ويصبح عضواً فى الجماعة، ولم يكن العمر الرسمى لهذه المرحلة السنة الثانية عشرة من العمر، ولكن الثالثة عشرة منه. ومن الوجهة الأخرى كان قانون الراباى (المعلمين) يوصى أنه قبل ذلك بسنتين أو على الأقل بسنة بأن يؤتى بالصبية للهيكل ويشجعوا على متابعة الطقوس فى الأعياد. ومما لا شك فيه أن يسوع ذهب إلى الهيكل طبقاً لهذه العادة ونعرف كذلك أن أعضاء مجالس السنهدريم المختلفة الذين كانوا يجلسون فى الأيام العادية للفصل فى الأمور القضائية من نهاية النهار إلى وقت تقدمة المساء اعتادوا أن يأتوا كل سبت وفى أيام الأعياد على درج الهيكل ليعلموا ويفسروا وكانوا يعطون مطلق الحرية لإلقاء الأسئلة والمناقشة والإعتراض أو فى الإشتراك فى المحاضرة إشتراكاً بفهم وتفهم. وفى مناسبة حضور المسيح كانت المناقشات تدور فى الأيام الصغرى للعيد والتى (Moed Katon) وهى الأيام الداخلة بين اليوم الثانى والأخير من أسبوع البصخة. وعلى العكس من ذلك كان يوسف ومريم كما كان مصرحاً لهما حسب الشريعة قد سارا فى اتجاه الناصرة فى اليوم الثالث من أسبوع العيد بينما ظل يسوع هناك (لو ٢ : ٤٦). وتفسر لنا هذه الظروف أيضاً لماذا لم يسترع وجوده بين المعلمين إلتفات الجميع ولو أنه كان جديراً بالملاحظة بسبب سنه وفى الحقيقة كان المؤهل الوحيد المطلوب فيما يختص بالمعرفة هو معرفة الكتب المكتوبة باللغة العبرية معرفة كاملة وفهمها فهماً مناسباً.

ولابد أن ما أوردناه قد بين للقارئ أن فرع التعليم الذى كان يقصده اليهود ويرغبونه فى أيام المسيح، كان المعرفة الدينية. وفى هذا الصدد يجب أن يكون مفهومه هذا وطريقة التعليم سواء فى المنزل أو فى المدارس العامة موضوع دراسة خاصة.

الفصل الثامن

المدارس والمدرسون

موضوعات الدراسة. التعليم المنزلى فى إسرائيل. تعليم الإناث التعليم الأولى. المدرسون والتنظيمات المدرسية

إن كان علينا أن نقدم صورة صادقة للمجتمع فى بلاد اليونان وفى روما القديمة فليس من السهل أن نعتقد أن الذين يعارضون الآن الكتاب المقدس معارضة قوية، يتمنون تحقيق أهدافهم. فإننا يمكن أن نؤكد دون خوف من المعارضة أو النكران أنه ليس هناك دين غير دين الكتاب المقدس ثبت أنه قادر على التحكم فى حضارة متقدمة ومستمرة فى التقدم فدارس التاريخ وحده يعلم كيف تخطينا حداً إثر حدٍ على التوالى يغمره موجة المد العارمة المتعالية وأمران هنا لا يمكن إنكارهما فيما يختص بالوثنية فكل تقدم فى المدنية والحضارة كان يميزه إنخفاض متتالى فى الأخلاق العامة، والمراحل الأولى فى الحياة القومية كانت أقوى بكثير من المراحل الأخيرة، وعلى العكس من ذلك فإن دين الكتاب المقدس سواء فى نطاقه القديم أو الجديد قد رفع من مستوى الأخلاق والروحانيات العامة رفعاً منتظماً فى الفضيلة قد استمرت فى أن تكشف عن مستوى لم تصل إليه من قبل، وأثبتت قدرتها على ضبط الحياة العامة والاجتماعية وتشكيلها.

يمكننا أن نقول بكل حزم وشدة وإن كان قد يبدو ذلك غريباً أنه فيما وراء حدود إسرائيل، لم يكن ممكناً التكلم بطهارة ولياقة على الحياة العائلية أو العائلة كما نفهمها. ومما له معناه وأهميته أن المؤرخ الرومانى تاسيتوس Tacitus يلاحظ أن هناك شيئاً خاصاً بين اليهود يشتركون فيه مع البرابرة الألمان القدماء، وذلك هو اعتبار قتل الأطفال جريمة. وليس هنا مكان وصف ترك الأطفال معرضين للجو ولا الجرائم المتعددة التى حاولت بها بلاد الاغريق القديمة وكذلك روما حتى فى أسمى أيام

الثقافة والحضارة التخلص مما كان يعتبر زيادة في السكان. وقليلون من الذين تعلموا إحترام العصور القديمة لديهم فكرة كاملة على أى من مظاهر الحياة الإجتماعية. سواء مركز المرأة وعلاقة الجنسين والرق وتعليم الأطفال وعلاقتهم بالوالدين أو حالة الآداب العـامـة. وأقل من هؤلاء بقليل هم الذين ربطوا كل هذه المظاهر فى كل متكامل ليس فقط بين الطبقات الدنيا أو بين الطبقات العليا؛ بل بين أولئك الذين اعترفوا واستحسنوها أى أولئك الذين نالوا إعجاب القرون، كالمفكرين والحكماء والشعراء والمؤرخين والساسة فى العصر القديم. وبكل تأكيد إن وصف القديس بولس للعالم القديم فى الفصلين الأول والثانى (رسالته إلى أهل رومية) لابد أنها ظهرت فى نظر أولئك الذين عاشوا فى وسطها، مقدسة فى رقتها ولطفها ومحبتها لأن هذه الصورة فى وضح النهار غير ممكنة للعرض ولم يكن هناك اختيار أمام عالم مثل هذا لا دينونة سادوم أو رحمة الانجيل وشفاء الصليب (١).

إذا ما تخطينا العالم الوثنى إلى بيوت إسرائيل فحتى تعاليمهم وإفراطهم فى العزلة فستبدوا وكأنها لحظة هدوء وراحة، وما أشبه هذه الحالة بحالتنا إذا تحولنا من الحرارة المدارية التى تحطم الأعصاب وتصيب الجسم بالذبول إلى حجرة قد اظلمت تجعلنا رطوبتها الجديرة بالشكر ننسى ظلمتها وقتامتها وننسى أيضاً أنه لن يكون ممكناً بقاؤها كلما مال النهار. وهذا الانغلاق على كل ما هو من خارج تلك العزلة لم ينصب فقط على كل ما يتعلق بالدين والحياة العائلية والاجتماعية بل أيضاً المعرفة ذاتها وفى أيام المسيح لم يكن لدى اليهودى التقى إلا معرفة شريعة الرب ولم يسع للحصول على غيرها ولا أحب ذلك بل رفضها رفضاً تاماً. ولنتذكر من البداءة أن الوثنية واللاهوت أو بالأحرى عبادة ما وراء الطبيعة لم يكن لها أى تأثير البتة على التفكير والحياة، أى أنها غرقت واختنقت تحت موجاتها. وعلى العكس من ذلك كانت معرفة الرب كانت كل شيء لليهودى التقى، وكان الإعداد لهذه المعرفة وإعطاؤها للغير هو

(١) ولا يجب أن يطلق أحد أننا مجرمون بأقل مبالغة والصعوبة هنا هو أن نقول الحق وأن نجد الألفاظ المعتدلة التى تعبر بها وإن تمكن المسيحيه من السيطرة على مثل هذا المجتمع ووجدت ألمع شهدائها وأصدق أتباعها وأخضعتها لا بل وشكلتها لهو فى الحقيقة المعجزة الحقيقية التى لا يعادلها إعجازاً إلا نقض الحاجز المتوسط بين اليهود أى تحول عقولهم وقلوبهم روحياً من البر الذاتى وإهتمامهم بتنظيف خارج الكأس والصحفة (وفى كلا الحالتين يبدو لدارسى التاريخ أن هذه الأعجوبة أعظم من أعجوبة قيام شخص من الأموات).

جماع هدفه بل وهدفه الأوحد، وكانت حياة روحه بل وحياته الحقيقة وحدها وكل ما عداها وأيضاً حياة الجسد لم تكن سوى أداة كواسطة لغاية. وكان دينه وعقيدته يتركب من أمرين: أولهما معرفته بالله وهذه انتهت فى النهاية إلى لاهوت كما يدركه هو أتى نتيجة سلسلة من الاجتهادات والفتاوى الواحدة من الأخرى. وثانيهما خدمته وتتركب هى الأخرى من أولاً حفظ كل ما أوصى به الله، وثانياً من أعمال محبة للناس ولقد تعدت أعمال المحبة هذه حدود الفرض الواجب أداؤه (الكوفوت chovoth باليهودية) إلى ما هو إستحقاق خاص بر (صدقه Zedakahباليهودية). وبما أن الخدمة تتضمن المعرفة؛ لذا كان اللاهوت أساس الكل وأيضاً تاج الكل مما أضفى عليه وأكسبه أعظم استحقاق. ولقد ورد هذا صراحة وضمناً فى مقطوعات لا يمكن عدها فى كتابات يهودية ولنكتف بواحدة لا لأنها تبدو أكثر تطابقاً مع العقل؛ ولكنها إلى الآن يكررها كل يهودى فى صلاة الصباح وهذا نصها «هناك أشياء يجنى (يأكل) الإنسان ثمارها فى هذا العالم، ولكن إمتلاكها يبقى للعالم الآتى: أكرم أباك وأمك. وأعمال التقوى صنع السلام بين إنسان وإنسان ودراسة الشريعة وهذه الأخيرة تساويها كلها معاً».

وكانت هذه الدراسة تعادل الدراسات كلها بكل ما يتضمنه المعنى الحرفى للكلمة فلقد اضطرتهم ظروف الأزمنة المتعاقبة أن يتعلموا اللغة الإغريقية وفى بعض الأحيان اللغة اللاتينية بقدر ما اقتضته المعاملات، كما اضطروا إلى التسامح مع الترجمة السبعينية الاغريقية للكتب المقدسة. وإلى إستعمال أى لغة (فى الصلاة اليومية الشيما Shema، وفى الثمانية عشرة بركة، وفى الشكر بعد الأكل) ولكن بركات الكهنة، والعصائب، الميسوساه لم يستعمل فيها إلا اللغة العبرية. أما العلم الوثنى والآداب الوثنية فكانت محرمة تحريماً مطلقاً وإلى العلم والأدب الوثنى تشير النواهى كالتى يمكن ارجاعها إلى زمن الامبراطور تيطس، التى تنهى الفرد أن يعلم إبنه اللغة الاغريقية ولم تشر إلى تحريم اللغة الاغريقية التى كانت ضرورية للحياة اليومية. ويزودنا التلمود ذاته بتفسير فى غاية الذكاء إذ عندما سأل أحد المعلمين الصغار (رابى) عمه أيسمح له بدراسة حكمة اليونان بعد أن عرف التوراه (الشريعة)؟ أجابه عمه قائلاً: تذكر كلمات يشوع «لايبرح سفر هذه الشريعةمن فمك. بل تتلوها نهاراً وليلاً». (يش ١ : ٩)؛ ثم قال له اذهب وابحث عن الساعة التى ليست من ساعات النهار أو

من ساعات الليل فإن وجدتها فادرس فيها حكمة اليونان، وهكذا أبعدوا عنهم مصدر خطر. وماذا عن حرف الحياة العادية فلقد كان على كل يهودى حق أن يتعلم حرفه أو مزاولة عمل تجارى، ولكن ما كان هذا ليصرفه عن الدراسة، بل على النقيض من ذلك كان يعتبر نجاسة وتجديفا أن يستعمل الفرد ما تعلمه لأغراض دنيويه علمانية سواء للكسب أو للمجد. ولقد عبر عن ذلك هلليل Hillel العظيم بقوله : «من يخدم نفسه بالتاج (التوراه) سوف يهلك». وأضاف الراباى صادوق Zadoc إلى ذلك التحذير الآتى : «لا تجعل دراستك تاجاً تلمع به أو فأساً تحفر به». وتستنتج المشناه أن مثل هذه المحاولات لا تؤدى إلا إلى تقصير أمد الحياة، فكل شيء لا يجب ألا يكون ثانوياً بالنسبة للهدف العظيم الواحد هدف هذا الزمن، والثانى هدف الأبدية. فالواحد هدف الجسد والآخر هدف الروح. وليس له من هدف ونفع إلا الابقاء على الجسد آفاقاً طليقة للروح فى طريقها إلى العلا. وكل العلوم انتهت إلى اللاهوت وبعضها لم يكن سوى وسائل لكسب القوت، كالطب والجراحة والعلوم الأخرى لم تكن سوى جوارٍ لعلم اللاهوت؛ فعلم وفلسفة القانون البشرى ليس فى الواقع إلا نوعاً من دراسة الشريعة. كما أن الرياضة والفلك ما هى إلا وسائل لعمل التقويم اليهودى، ولا وجود للآداب خارج الممارسات اللاهوتية، أما عن التاريخ والجغرافية والدراسة الطبيعية فجنباً إلى جنب إننا نلاحظ فى دراسة العلوم الطبيعية قوة ملاحظة أدت بالغريزة إلى معرفة الحقيقة فى العلوم الطبيعية نلاقى جهلاً وأخطاء فادحة وخرافات تكفى لأن تزعزع إيماننا فى شهادة المعلمين.

ومما قلنا نستنتج ثلاث حقائق كلها ذات أثر مادى على دراسة العهد الجديد، فسوف نرى أن مجرد دراسة الشريعة أصبح يحتل مكاناً له أهمية فريدة تجعل من مزاولتها مزاوله ناجحة الكل فى الكل. فضلاً عن ذلك من السهل أن نفهم لماذا تمتع دارسو اللاهوت ومدرسوه بإكرام بالغ (مت ٢٣ : ٦و٧، مر ١٢ : ٣٨و٣٩، لو ١١ : ٤٣و٢٠ : ٤٦). وبهذا الصدد فشهادات أنكيلوز Onkelos فى ترجمته الموجزة للأسفار وفى أقدم الترجوميم Targumim (أى التعقيب الموجز على المشناه) والتلمودين ليست إجماعاً فحسب ولكن مبالغة فيها. فكان من المفروض ألا تعمل آية أو معجزة إلا بحضور معلمين محددين وشهادتهم، بل هنا تجاسر بعضهم على رواية ما حدث بمناسبة ما حدث فى السماء عندما أختلف الله القدير وملائكته فى

بعض نقط الشريعة أن أرسل ملاك الموت اشتهر بعلمه فى هذا الموضوع ليقضى المسألة بينهما وهذه القصة كلها تجديف لما فيها من تفصيلات. وفى الواقع الموضوع كله مترامى الأطراف لا نستطيع أن نعالجه فى الموضوع الذى نحن بصدده، وإذا كانت مكانة أحد المعلمين (الراباى) بلغت هذا النحو من الرفعة فالتوجيه الآتى عن المثناه يبدو طبيعياً جداً، وهو أنه فى حالة الضياع أو الصعوبات أو الأسر فيجب أن يكون الاعتداد بالمعلم أكثر منه بالوالد، لأن الواحد منا مدين لأبيه بوجوده فى هذا العالم ولكنه مدين للمعلم (الراباى) بوجوده فى العالم الآتى. ومن الغريب فى هذه الوجهة أن الكاثوليكية والرابانية يصلان إلى النتائج النهائية. والآن لاحظ هذا الرأى لراباى مشهور عظم أمره فى القرن الثالث عشر وكان سلطانه مطلقاً بين اليهود وما يلى تعليق على (تث ١٧ : ١١) «لو أن راباى علمك أن يدك اليسرى هى اليمنى وأن يمناك هى يسراك فعليك أن تطيعه».

والاستنتاج الثالث الذى سوف يستنتجه القارئ هو تأثير هذه الآراء على التعليم فى المنزل وفى المدرسة، ومما لا شك فيه أن ما يلى هو صدى أقدم تهنئة يقدمها الحاضرون فى ختان أو يقدمها كاهن عندما يفتدى البكر. كما أن هذا الطفل قد اشترك فى العهد «أو قد وصل إلى الافتداء» هكذا فليكن له إلى أن يتعلم «التوراه» «والزواج» «والأعمال الصالحة» وتبين هذه الطلبة التأكيد المزدوج على الحياة الآتية والحياة الحاضرة. ويتفق هذا مع ما يقوله يوسيفوس الذى يقارن حفلات ميلاد أطفال الوثنيين بالطقوس اليهودية التى كان بها ينمو أطفال اليهود منذ الطفولة فى شريعة الله.

ولا ريب البتة فى أنه حسب شريعة موسى أن تعليم الطفل ألقى إلى مسئولية الآب ولنتذكر دائماً أن تدريبه هو من مهام الأم (تث ١١ : ١٩). وإذا لم يكن الوالد قادراً على التعليم الأولى كانوا يلجأون فى ذلك إلى شخص. وبمراجعة فترة العهد القديم يمكننا أن ندرك أنه فى أيام المسيح إبتدأ التعليم المنزلى عادة عندما بلغ الطفل الثالثة من عمره. وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد على أنه قبل هذا السن إبتدأ تدريب الذاكرة تدريباً بعناية؛ وهذه لازالت إحدى الخواص الفعلية للشعب اليهودى فكان يطبع فى ذهن الطفل آيات من الكتاب، والبركات، وأمثال، وكان هناك طرق وأساليب تسهل الاحتفاظ بما حصل عليه الطفل. ويمكننا أن ندرك الداعى إلى ذلك من الأهمية

الدينية المتصلة بالمحافظة على نفس كلمات التقليد. ويصف التلمود المثل الأعلى للتلميذ عندما يقارنه بخزان ماء أحكم طلاؤه فلا يسرب إلى الخارج ولا نقطة واحدة. وفي الحقيقة ينص المشناه على أن من ينس شيئاً واحداً بسبب الإهمال يكن في نظر الكتاب كمن ضحى بحياته والإشارة هنا إلى (تث ٤ : ٩) ولذا فإننا يمكننا أن نمدح يوسيفوس بذاكرته العجيبة.

وفي تعليم القراءة فكانت حروف الهجاء تعلم برسم الحروف على لوحة إلى أن يألفها الطفل ثم كان المدرس يشير إلى النسخة بإصبعه أو بقلم ليحتفظ بإنتباه التلميذ. ولم يستعمل إلا مخطوطات صححت تصحيحاً. جيداً لأن الأخطاء التى تنطبع على عقل التلميذ لم يكن يسهل تصحيحها ولكى يحصل على القراءة السلسة وجب على الطفل أن يقرأ بصوت مرتفع، وكانوا يهتمون باختيار اللغة الجيدة وفى هذه تفوّق سكان اليهودية على سكان الجليل الذين لم يفشلوا فى رشاقة الكلمات فحسب ولكن فى النطق أيضاً. وعندما يبلغ الطفل الخامسة من عمره كان عليه أن يبدأ قراءة الكتاب المقدس اليهودى ولا يبدأ بالتكوين بل بسفر اللاويين لا ليعلم الطفل خطاياه والحاجة إلى التبرير؛ بل لأن سفر اللاويين يحتوى على الأوامر والتعليمات التى يلقى على عاتق اليهودى أن يعرفها بأسرع ما يمكن. أما تاريخ اسرائيل فكان من المحتمل أنه قد تعلمه الطفل شفوياً لأنه كان يكرّر له فى مناسبات الأعياد كما فى المجمع.

ولقد سبق أن ذكرنا أن الكتابة لم تكن شائعة كثقافة تكميلية كالقراءة ومما لا شك فيه هو أن الإسرائيليين كانوا يألفونها منذ أول فترة فى تاريخهم سواء كانوا قد حصلوا على فن الكتابة من مصر أم لا، فإننا نقرأ عن حفر كلمات على الأحجار الكريمة على صدرية رئيس الكهنة، وفى سجل أنسالهم وأسباطهم، بينما مقطوعات مثل (تث ٦ : ٩و ١٤ : ١ - ٣) يتضمن أن هذا الفن لم يكن حكراً على الكهنة بل كان معروفاً لدى الشعب عامة. ثم نقرأ عن أنه كان هناك نسخاً من سفر الشريعة (تث ١٧ : ١٨ و٢٨ : ٥٨). بينما فى (نش ١٠ : ١٣) هناك إشارة إلى كتاب يسمى كتاب ياشر. وفى (نش ١٨ : ٩) نجد ذكراً لوصف فلسطين فى كتاب (يش ٢٤ : ٢٦) ما كتبه يشوع فى سفر الشريعة وفى سفر القضاه (٨ : ١٤) يبدو أن فى وقت جدعون كان فن الكتابة يعرف من كثيرين. وبعد ذلك ترد أمثلة متكررة

ومستعملة فى مناسبات كثيرة تسهل على قارئ العهد القديم تتبع تقدم هذا الفن وليس هذا مجال المزيد فى هذا الموضوع ولا أن نصف المواد المستعملة فى ذلك الوقت أو طريقة كتابة الحروف. وفى فترة متأخرة جداً يدل كثرة استعمال الكتبة إلى حاجة الشعب إلى هذه الطبقة. ونستطيع أن نفهم بسهولة أن العقل الشرقى يجد لذة فى الكتابة بطريقة غامضة أى ينقل بواسطة تعبيرات معينة معنى للمتعلم يفوت على القارئ العادى، أو يترك الشرح للتدريب على الذكاء والحذق وإلى حد محدود فى هذه الطبقة وقد نجد عادة الإشارة إلى كلمة بالحرف الأول وهذه كانت معروفة من أوقات مبكرة جداً وللموضوع نقاط عدة، لها أهمية كبيرة وتستحق مسألة أخرى إهتماماً كبيراً. ولا يمكننا أن نؤيد إلى أى حد إنتشر تزوير التوقيعات والمستندات ويذكر يوسيفوس ذلك. ونعرف أن القديس بولس اضطر إلى تحذير أهل تسالونيكى من هذا (٢ تس ١٢ : ٢). كما أُضطر أخيراً أن تستعمل طريقة توقيع كل رساله أتت منه وما من مستند لكاتب (راباى) إلا وأضاف إليه الكتاب الذين أتوا بعده اضافات بقصد تغيير التاريخ والمعنى أو كما تأكد لدينا فيما بعد أعيد كتابتها، وعلى وجه العموم ليس من الصعب إكتشاف هذه الإضافات الدخيله ولو أن دارسى النقد فى حاجة إلى يقظة ودقة من هذه الناحية ليتجنب أى اشارات كلها نزق وجسارة ولا يمكن ضمان صحتها. ولكن دون الدخول فى مثل هذه النقاط يهم القارئ أن يعلم أى مواد الكتابة كانت شائعة فى أوقات العهد الجديد❖، ففى مصر يبدو أن المداد الأحمر كان مستعملاً ولكن بكل تأكيد المداد الذى ورد فى العهد الجديد هو المداد الأسود كما تدل عليه الكلمة (٢ كو ٣ : ٣، ٢ يو ١٢، ٣ يو ١٣). ويتحدث يوسيفوس على الكتابة بحروف ذهبية. وفى المشناه نقرأ عن ألوان مختلطة من حبر أحمر وحبر سرى ومن تركيبات كيميائية أخرى وذكر أيضاً أقلام من البوص (٣يو ١٣) وأحسن ما فى هذا البردى المصرى الذى ورد من مصر. واستعمال المبراة كان أمراً لابد منه ويذكر ورق البردى المصرى فى (٢ يو ١٢) والرقوق فى (٢ تى ٤ : ١٣). وكان هناك ثلاثة أنواع من الرقوق تختلف بإختلاف الجلد المستعمل سواء كاملاً وإما مشقوق إلى جلد داخلى وآخر خارجى وكان الجلد الداخلى يستخدم فى الميسوساه. والمذكرات الأقصر كانت تكتب على ألواح التى تسمى فى المشناه بنفس الاسم كما فى (لو ١ : ٦٣).

❖ للمزيد من المعرفة فى كتاب (المرشد المصور للعهد القديم) للقس مكسيموس وصفى.

وقبل أن ننتقل إلى وصف المدارس الأولية قد يكون من الجيد أن نقول بصفة قاطعة أنه كان هناك إجماع بين الكتاب على أنه لا يجب أن يعطى للبنات نفس الكمية التى تعطى للأولاد. وعلى وجه الخصوص استنكروا اشتغال النساء بالأمور القانونية لإعتبارهم أن رسالة المرأة وواجباتها تنحصر فى اتجاهات أخرى لأن الموضوعات كانت بالضرورة غير مناسبة للجنس الآخر. ولأن التعامل المألوف بين الجنسين التى كانت مثل هذه المهن لابد مؤدية إليه وأخيراً، لأن المعلمين اعتبروا عقل المرأة لم يكن معداً لمثل هذه الأبحاث وربما كان أقسى شيء قالوه بهذا الصدد أن «النساء ضعاف العقول» ولو أن هذا القول فى تكراره يبدو كطريقة تكاد تكون ساخرة ومضحكة لإنهاء موضوع مناقشة غير مقبولة. ومع ذلك وردت أمثلة لنساء متعلمات ونعلم عن علمهن بالتوراة وعن تأثيرهن الدينى لا من المعلمين وحدهم، ولكن من العهد الجديد وكن يحضرن كل الاحتفالات العامة والمنزلية، وكن يحضرن أيضاً فى المجامع، وكان يلقى عليهن واجبات وممارسات المعلمين رغم أنهن لم يتعمقن فى دراسة الشريعة. يثبت كل هذا أنه كان بينهن غير قليلات (كلوئيس وأفنيكى) من استطاع تدريب طفل فى معرفة الكتاب ومثل (بريسكلا) المؤهله لأن تشرح لأبولس طريق الرب بأكثر تدقيق.

وكان من المفروض أن الطفل يتعلم فى المنزل القدر الذى ذكرناه وأن يتعلم الوصايا والعوائد، وكما نص التلمود صراحة أن يشجعوه على تلاوة صلواته بصوت مرتفع لكى يتعود على ذلك، ففى السادسة من عمره كان يرسل إلى المدرسة لا إلى أكاديمية أو بيت هامدراش "beth hammedrash" التى لن يلتحق بها إلا إذا أثبت صلاحية وانعقدت عليه الآمال؛ بل يذهب إلى فصل معلم عظيم أو يحضر مناقشات السنهدريم، وكان هذا الحضور يعتبر مرحلة متقدمة فى الدراسة ونحن هنا نتحدث على مدارس ابتدائية أو أولية مثل المدارس الملحقة بكل مجمع فى البلاد فى أيام سيدنا، ولنترك لافتات المدارس من الكتاب ولنقصر التفاتنا بشده إلى الفترة التى انتهت بخراب الهيكل، فهناك ملحوظة تسند إلى عزرا مرسوماً ينص على أن أى عدد من المدرسين استقر فى أى مكان لا يعترضهم المستوطنون السابقون، ومن المحتمل أن هذه الملحوظة لا يجب أن تؤخذ بمعناها الحرفى بل تؤخذ على أنها دلالة على أن تشجيع المدارس والتعليم لفت انتباه عزرا وخلفائه. ولن نتكلم عن المدارس التى أنشئت على

النمط الأغريقى التى حاول رئيس الكهنة الشرير ياسون أن يدخلها فى أورشليم (٢ مكا ٤ : ١٢، ١٣)؛ لأنها كانت ضد الروح اليهودية وكانت كذلك إلى حد أن المعلمين لكى يقيموا فاصلاً نهوا عن كل التمارين الرياضية. ويمكن تتبع تاريخ وتقدم المدارس اليهودية فى المقطوعة الآتية من التلمود «إذا كان هناك من يستحق المدح ويستحق أن يذكر اسمه وتحفظ ذكراه فهو يشوع بن غمالائيل، لأنه بدونه لأسدل على الناموس ستار النسيان فى اسرائيل؛ لأنهم اعتادوا أن يعتمدوا على قول الشريعة سوف يعلمهم» «وعلموها أولادكم متكلمين بها حين تجلسون فى بيوتكم وحين تمشون فى الطريق وحين تنامون وحين تقفون» (تث ١١ : ١٩) وبعد ذلك صدر مرسوم يحتم بتعيين مدرسين من أورشليم لتعليم الشباب كما هو مكتوب (أش ٢ : ٣) «من صهيون تخرج الشريعة» ومع ذلك لم يكن العلاج ناجحاً لأنه لم يذهب إلى المدارس إلا من له أب وأهمل الباقون؛ ولذلك رتبوا أن يكون راباى (معلم) فى كل حى وأن كل الصبيان من عمر السادسة عشر والسابعة عشر تذهب إلى مدارسهم ولكن هذه المعاهد فشلت لأن كل صبى كان يهرب عندما كان يضربه معلمه. وأخيراً رتب يشوع بن غمالائيل أن يعين فى كل محافظة وفى كل مدنية معلمون يتعهدون كل الأولاد فى سن السادسة والسابعة، أن يشوع الذى كان يتكلم عنه كان هو رئيس الكهنة السابق ذكره الذى عظم أمره قبل خراب أورشليم وأنه بلا شك هذا النظام تضمن وجود المدارس الأولية فى فترة سابقة.

وكل مكان بلغ عدد الأولاد فيه خمساً وعشرين وكما قال ميمونيدس Maimonides بلغ عدد الأسر به مائة وخمس وعشرين عائلة؛ كان ملزماً أن يعين مدرساً ولم يكن يسمح له أن يدرس أكثر من خمسة وعشرين تلميذاً أو ما يزيد قليلاً[٣] وإذا بلغوا أربعين كان له أن يشرك مساعداً وإذا بلغوا خمسين كان على السلطات أن يعينوا مدرسين ويمكننا من هذا أن نفهم قولهم مع ما فيه من مبالغة؛ أنه كان هناك فى العاصمة أربعمائة وثمانين مدرسة. وفى مقطوعة ثانية كانت تنسب سقوط الدولة اليهودية إلى إهمال التعليم، يمكننا أن نستنتج أهمية الرأى العام المتعلق بها ولكن فى نظر اليهودى كانت حياة الطفل شيئاً مقدساً بدرجة خاصة وواجب ملئه بأفكار الله واجب مقدس على أدق تعبير ويبدو أن الناس احتفظوا فيما بينهم صدى قول السيد «أن ملائكتهم يرون بإستمرار وجه أبينا الذى فى السموات» ولهذا ارتبط التعليم

الدينى بالتعليم وكان هدف المعلم الأعظم التدريب الذهنى جنباً إلى جنب مع التدريب الخلقى الروحى، وكان من بين القواعد الموضوعة للدراسة ابعاد الأطفال عن المعاشرات الفاسدة وقتل مشاعر الحقد المر حتى ولو أسىء إلى الوالدين، ومعاقبة الخطأ الحقيقى وعدم تفضيل طفل على آخر وتوضيح كراهية الاثم والنفور منه والتنبؤ بعاقبة الاثم فى هذا العالم والعالم الآتى لئلا يثبط همة الطفل. وما كان على المدرس أن يعد الطفل شيئاً لا ينوى أن يؤديه لئلا يألف عقل الطفل الكذب والباطل وكل ما يستدعى الأفكار البغيضة القاسية الخالية من الرقة واللطف كان من الواجب تجنبها بكل حرص وعناية ولا يجب على المدرس أن يفقد صبره لو أن تلميذه لم يفهم بسرعة والأولى به أن يجعل الدرس أوضح وأبسط، وله بل يجب عليه أن يعاقب عند الضرورة وكما قال أحد المعلمين (راباى) أن يعامل الطفل كَعِجْل يزداد حمله يومياً فيوماً ولكن كان يجب تجنب القسوة ونسمع عن مدرس فصل عن عمله بسبب القسوة، وحيثما كان ممكناً جرب الرحمة وإذا كان من المجتمع توقيع عقوبة فليضرب الطفل بسير من الجلد لا بعصا وفى سن العاشرة كان الطفل يبدأ المشناه وفى الخامسة عشرة كان عليه أن يستعد للتلمود الذى يجب أن يشرح له بطريقة أكثر تقدماً فى مدرسة أخرى إلا إذا كان الطفل لم يحقق تقدماً بعد تعليم دام ثلاثة أو خمسة أعوام ولم يكن هناك أمل كبير فى وصوله إلى التميز أو يحقق تقدماً أو التفوق فى دراسة الكتاب المقدس. وكان التلميذ يبدأ من سفر اللاويين ومنها ينتقل إلى الأنبياء وأخيراً إلى الهاجيوجرافا Hagiographa وهذا التنظيم كان يتفق مع ما كان لهذه الأقسام من الكتاب فى نظر الرابى، وفى حالة الطلاب المتقدمين كان اليوم يُجزّء جزء يخصص للكتاب المقدس والجزأن للمشناه والتلمود. وكانوا ينصحون كل والد أن يعلم ابنه السباحة.

ولقد قيل أن المدارس على وجه العموم كانت تعقد فى المجامع, وعلى وجه العموم كان المدرس (الخزان chazan) باليهودية وترجمتها فى العهد الجديد (الخادم) (لو ٤ : ٢٠)، وهذا التعبير المقصود به أن نفهم أن الوظيفة ليست روحية ولكن نوعاً من ضابط تشريفات أو مساعد للكاهن وكانت الجماعة تدفع مرتب الضابط، وكان ممنوعاً من أن يتقاضى مصاريف من التلاميذ لئلا يحابى الأغنياء، وكانت النفقات تسدد من تبرعات ارادية خيرية وفى حالة عجز الميزانية لم يتردد أبرز المعلمين (الرابى)

من الطواف لجمع التبرعات من الأغنياء. وكان عدد الساعات التى يحتفظ فيها بالفصول الدنيا محدوداً وإذا كان الهواء فى حجرات الدراسة ضاراً أثناء حرارة النهار كانت الدروس موزعة فيما بين العاشرة صباحاً والثالثة بعد الظهر ولنفس الأسباب لم يسمح للدراسة إلا بأربع ساعات فيما بين ١٧ تموز و ٩ آب (فيما بين يوليو وأغسطس). وكان محرماً على المدرسين ضرب التلاميذ فى هذه الشهور وإذا أدى المدرس واجبه بجدارة كان يحصل على أسمى إكرام وامتياز وكان نقص المعرفة وسوء الطريقة سبباً كافياً للإستغناء عن المدرس؛ إلا أن الخبرة كانت تعتبر مؤهلاً أسمى من سائر ما حصل عليه المدرس ولم يكن مدرساً ليزاول العمل إلا إذ كان متزوجاً. وللحد من المنافسة غير الصحية ولرفع المستوى العام للتعليم نهوا الوالدين عن إرسال أطفالهم إلى مدارس غير مدارس مدنهم.

وكان من الملامح المميزة الجميلة العناية بالفقراء والأيتام؛ ففى الهيكل كان هناك وعاء خاص للتبرعات التى تخصص لتعليم أبناء الفقراء، وكان تبنى يتيم أو تربيته يعتبر عملاً صالحاً ،وهذا يذكرنا بتعريف الرسول عن من هى بالحقيقة أرملة بقوله «أنها مشهود لها فى أعمال صالحة التى ربت الأطفال التى أضافت الغرباء وغسلت أرجل القديسين ساعدت المتضايقين اتبعت كل عمل صالح» (١ تى ٧ : ١٠)، وفى الحقيقة كان رعاية الأيتام هو الواجب الخاص لكل الجماعة، ولم يكونوا ليرمى بهم فى الملاجئ؛ لا بل إن السلطات الكنسية المحلية كانت ملزمة بتقديم مهر ثابت للبنات الأرامل.

هكذا كان الوسط وهذا هو الجو الذى تحرك فيه يسوع الناصرى فى مظاله بين الناس.

الفصل التاسع
الأمهات والبنات والزوجات فى إسرائيل

لكن نفهم بدقة مركز المرأة فى إسرائيل علينا أن نقرأ العهد الجديد فصورة الحياة الاجتماعية كما عرضت فى العهد الجديد تعطينا فكرة كاملة للمكانة التى شغلتها المرأة فى الحياة الخاصة والحياة العامة. فإننا لا نجد هنا الانفصال الشائع بين الشرقيين فى كل الأزمنة ولكن المرأة تختلط بالآخرين فى المنزل والخارج، وهى لا تشكو من الشعور بالتدنى الاجتماعى ولكنها تلعب دوراً مؤثراً فى كل الحركات ويكاد يكون دوراً قيادياً وخاصة الدينية منها. وفوق كل هذا نحن لا نجد البتة تفاصيل الانحلال والانحطاط الخلقى العام الذى يثير القيء الذى يكثر فى الآداب القديمة والمعاصرة، ففى اسرائيل كانت المرأة نقية وكان المنزل سعيداً والعائلة قدسها دين لم يتركب من الخدمات العامة فحسب بل تغلغل أيضاً فى الحياة اليومية، وضم فى ممارساته كل أفراد العائلة ولم يكن ذلك كذلك فى العهد الجديد فحسب؛ بل أيضاً فى اسرائيل فإشارة القديس بطرس إلى النساء القديسات فى القديم (١ بط ٣ : ٥) تتفق تماماً مع نظرة التلمود وفى الحقيقة اقتباسه من التكوين (١٨ : ١٢) ودعوته إلى تطبيقه «وكما كانت سارة تطيع ابراهيم وتدعوه سيدى» ترد بنفس الطريقة تماماً فى كتابات المعلمين (الرابّاى) حيث تقدم طاعتها واحترامها أسوة لبناتها [١].

وتشرح التفاصيل القليلة الآتية المسألة خيراً من الحجج والأدلة فإن البعض يعلق على خلق حواء من ضلع آدم بقوله وكأن آدم استبدل إناء من خزف بجوهرة ثمينة، هذا ولو أن السخرية اليهودية اللاذعة الحارقة تقول «الله لعن المرأة ولكن العالم يجرى وراءها والله لعن الأرض وكل الناس تعيش منها». وليس هناك قارئ للكتاب لا يستطيع أن يلاحظ أى احترام يحظى به الأربع أمهات الذى يحددهن المعلمون

(١) ويرد الشرح الآتى أيضاً قالت إمرأة حكيمة لإبنتها قبل الزواج يا ابنتى قفى أمام زوجك واخدميه فإنك ان سلكت كأمته صار لك عبداً ويكرمك كسيدته أما إذا أقمت نفسك ضداً له سوف يكون سيدك وتكونين شريرة فى عينيه كإحدى خادماته.

بأسمائهن ساره، ورفقه، وليئه، وراحيل وأى نفوذ كان لهم فى تاريخ الآباء. وكلما قرأنا القصة المقدسة نأتى إلى مريم التى نجت موسى فى طفولته، وتقود أغنية الخلاص وعلى الجانب الآخر إن نفوذها ولو أنه لم يكن دائماً للخير لكن استمر معها حتى موتها (ميخا ٦ : ٤). وهناك أيضاً النساء اللائى حركهن قلبهن فى حكمة فتبرعوا لصناعة الخيمة، أما دبورة فتصنع الخلاص وتقضى لإسرائيل، ولا تقل تقوى إمرأة منوح عن سابقاتها فهى على الأقل بارزة وهى أكثر ذكاء من زوجها (قض ١٣ : ٢٣)، وهناك أيضاً أم صموئيل وفى أيام الملوك أثار مدح عذارى اسرائيل غيرة شاول أما أبيجايل فتعرف كيف تبعد خطر سفاهة زوجها والمرأة الحكيمة من تكوع تحض الملك أن يرد منفعه، وسلوك إمرأة «فى حكمتها» تقضى على انقلاب شبع وفيما بعد يرينا تكرار ذكر أمهات الملوك وتدخلهن المتكرر فى الحكم بمركزهن الكبير. ويرد على الذاكرة اسم خالده النبيه، وقصة الشونمية الشاعرية، وقصة إخلاص إمرأة هو موضوع كتاب راعوث قصة محبتها النقية الأمينة كما يرد عليها أيضاً فكرة وخيال نشيد الأنشاد. أما شجاعة المرأة ونسكها فموضوع سفر أستير، بينما جدارتها وفضائلها فقد ذكرت بالتفصيل فى ختام سفر الأمثال. زد على ذلك أنه فى لغة الأنبياء يسمى شعب الله الإبنة، والعذراء ابنة صهيون، وابنة أورشليم، وابنة يهوذا وعلاقة شعب الله به تُشبه دائماً برباط الزوجية، والمصطلحات التى تسمى بها المرأة فى العهد القديم ذات معنى ودلاله فإذا كان اسم الرجل فى اليهودية Ish وزوجته Ishah أى بكل بساطة أنها معادلة له وإذا كان الرجل باليهودية يدعى جيفير Gever ومعناه السيد فالمرأة فى دولتها جيفيريه أو جيڤيريت Gevereth ومعناها السيدة كما ترد كثيراً فى تاريخ ساره، وفى مقطوعات أخرى، وفى مواقع أخرى ساكنة المنزل. ولا تختلف عن هذا فى أزمة العهد الجديد فخدمة المرأة لإلهنا الذى له وحده كل البركة، وأيضاً فى الكنيسة تكاد تكون مضرب المثل فمركزها هناك يسجل تقدماً حقيقياً بل كمال فكرة العهد القديم ولكى نضع المسألة فى ضوء آخر نطلب من الذى له دراسة بالقدم أن يقارن ما كتب عن دوركاس وعن أم القديس مرقس وعن ليديا وعن بريسكلا وعن فيبى وعن أفنيكى بما عرفه عن الرومانيات والاغريقيات النبيلات.

ومن الطبيعى ازاء كل هذا يمكننا أن نضع تعدد الزوجات الذى كان مسموحاً به فى أيام سيدنا وسهولة الحصول على الطلاق، وبالاشارة إلى كليهما يجب أن نتذكر

أنها كانت تنازلات مؤقتة لغلاظة قلوب الشعب لأنه لا يجب أن ندخل فى حسابنا فقط الحالة الأدبية لليهود ومن جاورهم فقط بل وأيضاً المراحل المتتالية للتقدم الروحى. فإننا إن لم نأخذ هذا فى الاعتبار لكان دين اليهود غير طبيعى بل ومستحيلاً، ويكفى أن نقول أنه منذ البداية لم يكن ذلك كذلك أو لم يكن ذلك قد قصد به أن يتم ذلك فى النهاية، وتكون الفترة المتوسطة هى فترة التقدم التدريجى من كمال الفكرة إلى كمال التنفيذ، زد على ذلك أنه من المستحيل أن نقرأ العهد القديم وبالأكثر العهد الجديد دون أن ندرك؛ الاعتقاد أن تعدد الزواج لم يكن هو القاعدة العامة ولكن الاستثناء النادر فيما يختص عادة بالشعب، ولو أن عادة الطلاق كانت أكثر إهمالاً وتهاوناً وغموضاً إلا أن كثيرين من المعلمين أحاطوها بضمانات تجعل من الصعب إتمامها. وعلى وجه العموم كان ميل التشريع الموسوى وأكثر صراحة مراسيم المعلمين فى اتجاه الاعتراف بحقوق المرأة وبحساسية وصل إلى حد الإماء اليهود (الخدام)، وبلين يحميها من أدق مشاعرها حساسية. وفى الحقيقة نشعر بإننا مؤيدون فى قولنا أنه فى حالة النزاع كان القانون يميل إلى جانبها. وسوف نضطر أن نتكلم عن الطلاق فى النهاية ولكن يبدو ما كان عليه الرأى الدينى عن الطلاق والزيجة الواحدة فى أيام ملاخى من الوصف المؤثر لمذبح الله وقد غطته دموع زوجة شبابك فإمرأة عهدك وبكائها وصراخها وهذه التى غدرت بها (ملا ٢ : ١٣) ولقد لخصها المعلمون بجمال يحدونا إلى إضافتها فيما يلى :

«لو أن الموت اختطف منك إمرأة شبابك
يكون كأن المدينة المقدسة
والهيكل فى أيام زيارتك
تدنست وهدمت وسويت بالتراب.
الرجل الذى يتخلص
من زواجه الأول، من زوجة شبابه المحبة
من أجل مذبح الرب نفسه
يسكب دموع الألم المرير»

وحيثما كانت الحياة الاجتماعية بين الجنسين غير مقيدة كما كانت بيننا نحن اليهود إلى الحد الذى كان متفقاً مع العوائد الشرقية؛ كان من الطبيعى للشاب أن يختار زوجته شخصياً. ويزودنا الكتاب بقدر كاف من الأدلة. ولكن على أية حال فى



يسوع بين معلمى الشريعة

«وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل جالساً وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم. وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته» (لو ٢ : ٤٦ ، ٤٧).



المعلم (الرابى) مع تلاميذه يعلمهم الشريعة

الخطوبة أو الزواج كان لابد للمرأة أن تبدى رأيها حراً صريحاً وبدون ذلك لا يكون الاتحاد سليماً وفى حالة القاصرات إلى سن الثانية عشرة ويوم يمكن أن يتزوجن أو يزوجهن أبوهن، ومع ذلك ففى هذه الحالة فإن لهن الحق فيما بعد أن يلححن فى الطلاق. وبالطبع لا نعضد أن يفهم أحد أن المرأة لم تبلغ مركزها الكامل إلا تحت العهد الجديد. ولكن ذكرنا ذلك لنكرر كل ما يمكن أن يقال فى كل حالة أو علاقة إجتماعية تقريباً. ومع ذلك فمن الواضح عمق روح العهد القديم وهو بالضرورة روح العهد الجديد وأنها تغلغلت فى حياة اسرائيل. ويحذر القديس بولس من أن تكون تحت نير (٢ كر ٦ : ١٤) وهو استعمال استعارى (لا ١٩ : ١٩، تث ٢٢ : ١٠). ونجد نظيراً لها فى كتابات المعلمين (الراباى) حيث المقطوعة الآنفة الذكر تطبق صراحة فى الزيجات غير المتعادلة روحياً والأمر الوارد فى (١ كو ٧ : ٣٩) «ألا نتزوج إلا فى الرب» يذكرنا بكتابات معلمين كثيرة مشابهة نختار منها أكثرها فاعلية ويقول (الراباى) : الرجال متعودون أن يتزوجوا لأحد أربعة أسباب للشهوة، أو الثروة، أو الكرامة، أو لمجد الله وفيما يختص بزواج الشهوة والعاطفة فمن المنتظر أن يكون نتيجته بنين عنيدين ثائرين كما نفهم من الجزء الذى يشير إلى ذلك الذى يتبع (تث ٢١ : ١١)، وفى زيجات الثروة يراد بنا أن نتعلم درساً من أولاد عالى الذين طلبوا الغنى ولكن قيل عن نسلهم (١ صمو ٢ : ٣٦) «أنهم يحتاجون إلى قطعة من الفضة وكسرة خبز»، وعن زيجات النسب والكرامة والنفوذ يحذرنا الملك يهورام الذى أصبح حما الملك آخاب لأن ذلك الملك كان له سبعون ابنا ومع ذلك قامت أرملته عثاليا وأبادت كل النسل الملوكى (٢ مل ١١ : ١). ولكن ليس هكذا الزواج باسم السماء ونتيجته هذا أولاد يحفظون اسرائيل وفى الواقع إشارات المعلمين (الراباى) إلى الزواج «باسم السمـاء» من أجل «اسم الله، فى الله، من أجل الله» كثيرة ومؤكدة لابد أنها كانت ترد للقديس بولس بسهولة ثم إن كثيراً مما قيل فى (١ كو ٧) عن الزواج نجد نظيراً له فى كتابات التلمود ونستطيع أن نورد هنا واحدا كشرح للتعبير (فى آية ١٤ من ١ كو) «وإلا فأولادكم نجسون أما الآن فقديسون». ولقد قام المعلمون (الراباى) بنفس التفرقة فيما يختص بالمبتدئين الذين إن ولدوا قبل تحولهم إلى اليهودية كان يقال أنهم «دنسون» وإن ولدوا بعد ذلك يقال عنهم أنهم «ولدوا فى القداسة» والفرق الوحيد هو أنه بين اليهود كان يطلب من الوالدين أن يعترفوا باليهودية أما القديس بولس فيحاول فى الاتجاه الآخر وبصدد قداسة تختلف عن تلك التى تنالها من خلال احتفالات ظاهرية.

وسوف تعطينا بعض التفصيلات التى جمعتها عفواً بعض اللمحات عن الحياة المنزلية اليهودية وعن الآراء السائدة، ولكى نفهم ذلك لنعلم أن هناك إشتقاقاً لفعل واحد يكاد يكون نطقهما واحد وهما باليهودية «مازا Maza»، «وموز Moze» ومعناها (يجد ووجد) ولقد ورد الاشتقاق الأول فى (أم ١٨ : ٢٢) إذ يقول «من يجد زوجة يجد خيراً وينل رضا الرب»، ووردت الثانية فى (جا ٧ : ٢٦) إذ يقول «فوجدت أمرّ من الموت المرأة التى هى شباك قلبها اشراك ويداها قيود». وبطريقة عادية وإن تكن خالية من الوقار أن استخدمت اللفظتان maza أو moze فى كلمة ملتوية عادة ما كانوا يسألون المتزوج الحديث بهما عن زوجته إشارة إلى الآيتين. أما الاقتباس التالى من التلمود والتشابه مع (أف ٥ : ٢٨) سوف يعرف مباشرة ويقول: «من يحب زوجته يحب جسده ويكرمها أكثر من جسده ويربى أولادها فى طريق الحق ويقودهم فى هذا إلى كمال السن ويتكلم عنه الكتاب قائلاً فتعلم أن خيمتك آمنة» (أى ٥ : ٢٤). ومن كل الصفات المرغوبة فى المرأة الوداعة، التواضع، الخجل وفى الواقع الشجار والتحدث فى الشوارع والسلوك غير اللائق فى الخارج كانت أسباب كافية للطلاق، وبالطبع ما كان النساء اليهوديات فيما دون التعليم فى المجامع حيث كن يشغلن مكاناً منفصلاً عن مكان الرجال؛ لأن دروس المعلمين رغم قيمتها العظيمة للذكور لم يوافقوا عليها فى حالة النساء. ولكن اتجاه القديس بولس أنه غير مسموح أن تغتصب سلطان الرجل «ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون فى سكوت» (١ تيمو ٢ : ١٢)، يجد نظيراً له فى أقوال المعلمين «أن الذى يسمح لزوجته أن تحكمه سوف يصرخ ولا يجيبه أحد».

وعلى نفس الأسس يحاج المعلمون قائلين إن الرجل هو الذى يطلب المرأة لا المرأة الرجل، فالرجل تكّون من الأرض والمرأة من ضلع الرجل وفى محاولة الرجل طلب المرأة إنما يطلب ما قد فقد وتكون الرجل من الطين اللين وتكون المرأة من عظم صلب؛ بين لنا أن الرجل أسهل مصالحة من المرأة. وبالمثل لاحظ أن الله لم يخلق المرأة من رأس الرجل لئلا تتكبر، ولم يخلقها من عينه لئلا تشتهيه، ولم يخلقها من أذنه لئلا تشتد اشتياقها لمعرفته، ولا من فمه لئلا تكون ثرثارة، ولا من قلبه لئلا تكون غيورة، ولا من يده لئلا تكون جشعة، ولا من قدمه لئلا تكون فضولية، ولكن خلقها الله من ضلعه لتكون دائماً مغطاة فالوداعة كانت إذن صفة هامة.

ولم تمنع المرأة من الاشتغال بدراسة الدراسات الخاصة بالرباى (المعلمين) ويقصّون قصة ليبينوا كيف أن أحكم النساء كاد يدفع بها إلى حافة أكبر الأخطار لهذا السبب. وليس من السهل أن نشرح لماذا أعفيت المرأة من كل الالتزامات الايجابية (الأوامر ولكن لم تعف من النواهى) التى لها علاقة بها ولكن مقيدة لعدة فترات من الزمن (كلبس العصائب). وكانت تعفى من بعض الصلوات؛ إلا إذا كانت المرأة لا تعتبر سيدة نفسها ولكن خاضعة لآخرين، أو إذا كانت الزوج و الزوجة تعتبران كفرد واحد بحيث كانت استحقاقاته وصلواته تنطبق عليها وهذه النظرة على الأقل فيما يختص بجدارة طبيعة الرجل للعمل بالشريعة قيلت بصراحة، وعلى ذلك أوصيت المرأة بتشجيع زوجها فى مثل هذه الدراسات كلها.

ويمكننا أن نفهم أن الزواج قبل مجىء المسيح كان يعتبر التزاماً دينياً ويقتبسون مقطوعات كثيرة من الكتاب دعماً لهذه الفكرة، وعادة كان المنتظر أن يدخل الرجل فى عداد المتزوجين كما قال مايمونيديس فى السادسة عشر أو السابعة عشر من عمره، فى حين أن سن العشرين كان يعتبر الحد الأقصى المسموح به إن لم تشغل الدراسة والثقافة كل وقته بحيث لا تترك فراغاً لواجبات الحياة الزوجية ومع ذلك كان البعض يعتقد أن من الأصوب إغفال الدراسة عن البقاء فى العزوبية إلا أن الهموم المالية بسبب الزوجة والأولاد كان يخشاها الكثيرون ويقارنونهم؛ بما يقارن به السيد من يعثر هؤلاء الصغار (لو ١٧ : ٢) فيدعو جماعة المعلمين (الرباى) الزوجة والأولاد بحجر الرحى حول العنق وفى الواقع يبدو أن المثل أصبح شائعاً كأمثلة كثيرة أخرى وردت فى العهد الجديد.

نقرأ فى الانجيل أن الأم العذراء «عندما كانت مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس وعند ذلك يوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها (يجعل منها مثلاً عاماً) فكر أن يخليها سراً» (مت ١ : ١٨ ، ١٩) وتحمل القصة ضمنياً تفرقة بين الخطوبة والزواج ـ إذ كان يوسف حينئذاك خطيب مريم ولكن لم يكن قد تزوج فعلاً الأم العذراء. وحتى فى العهد القديم كانت هناك تفرقة بين الخطوبة والزواج وكانت الخطوبة يميزها هدية للعروس (أو مهر) (تك ٣٤ : ١٢، خر ٢٢ : ١٧، ١ صم ١٨ : ٢٥) وكان الوالد فى بعض الظروف يتصرف فيها، وكانت الفتاة تعتبر من أول الخطوبة متزوجة فعلاً ولا يمكن حل هذا الاتحاد

إلا بطلاق رسمى وعدم الأمانة كان يعتبر زنى، وكان كل ما للمرأة يصبح فى الواقع ملكاً للخطيب إن لم يكن قد تنازل عنها صراحة. ومن المستحيل هنا أن ندخل فى تفاصيل القانون مثلاً فيما يختص بالمال الذى يصل إلى المرأة فى الخطوبة وفى الزواج وكانت الشريعة تقضى بأن يكون هذا للزوج ويكون بقيود وبرفق للمرأة وكأن القانون كان يكره أن ينفذ حقوق الطرف الأقوى. ومن المشناه نعلم أنه كان هناك الشطر اروسين "shitre Erusin" أو كتاب من الخاطب تكتبه السلطات (وكان الخطيب يدفع المصاريف). وكان هذا الكتاب يذكر ويصر على أن يكون ضمن الاتفاق الالتزامات المتبادلة والمهر وكل ما كان الطرفان قد اتفقا عليه وكان الشطر اروسين مختلفاً عن «الكيتوباه Chethubah» تعنى (الكتابه) أو عقد الزواج التى بدونها لا يعتبر عقد الزواج (إلا عند ما تسرى) شرعى ويشترط الكيتوباه مائتى دينار للعذراء ومائة دينار للأرمل فى حين أن مجلس الكهنة فى أورشليم اشترط أربعمائة دينار لإبنة الكاهن، وطبعاً تدل هذه المبالغ على الحد الأدنى وهذه تزاد إلى ما لا حد له حسب الرغبة ولو أن الآراء تختلف فيما إذا كان من الممكن الحصول على مبالغ كبيرة قانونياً إذا لم تكن المسألة تتعدى الخطوبة. والشكل المقرر الآن بين اليهود يقرر أن العريس يتزوج عروسه «وفقاً لشريعة موسى واسرائيل» وهو أن يعد أن يرضيها ويكرمها ويطعمها ويعتنى بها على طريقة بنى اسرائيل ويضاف إلى ذلك موافقة المرأة ويوقع على المستند شاهدان ومن المحتمل هذا كان الطريقة السارية فى الأزمنة القديمة. وفى أورشليم وفى الجليل يقال أن الرجال يعتبرون فقط إختيارهم فى حين أن بقية اليهودية كانوا ينظرون بدرجة كبيرة إلى المال - وكان للنساء الأرامل يردن أن يضمن حقهن فى الاقامة فى منازل أزواجهن.

ومن الناحية الأخرى كان على والد العروس أن يساعد إبنته ما يسمى باليهودية «نيدان أو نيدان ياه Nedan, nedanjah" لإبنته وهو يسمى بالافرنجية dowry يريحها فى مركزها فى الحياة. وللإبنه الثانية أن تطالب بنصيب يعادل نصيب أختها الكبرى، أو تطالب بمقدار عشر الممتلكات الثابتة. وفى حالة موت الوالد فالأولاد الذين هم الورثة الوحيدون كانوا ملزمين بالقيام بوأد البنات حتى لو أدى هذا إلى الاعتماد إلى الاحسان العام. كما أنه كان ملزماً بأن يعطى حلاً مقدار عشر ما تركه الوالد من (dowry) سواء نقوداً أو عقاراً أو كانت تدخل فى عقد الزواج وكان تخص الزوجة،

وكان الزوج ملزماً بأن يضيف إليها نصفها إذا كانت نقداً أو ما يقوم نقداً وإذا كانت جواهر يخصص لها أربعة أخماس قيمتها. وفى حالة الانفصال (ليس الطلاق) كان مضطراً أن يقدم لها نفقة طعام مناسب وأن يعيدها إلى مائدته مساء السبت، وكان للزوجة ما قيمته عشر الـــ Dowry كنفقة ملابس. وإذا زوج والد ابنته دون إقرار واضح عن النيدانياه كان ملزماً أن يعطيها نفقة على الأقل خمسون Sus. وإذا كان منصوص صراحة أنها لن يكون لها (Dowry) بتاتاً يجب أن يوصى الخطيب برقة ولطف أن يعطيها قبل الزواج ما يكفى للجهاز الضرورى، واما اليتيمة فكان لها أن تحصل من السلطة المحلية على (Dowry) قدرها خمسين Sus. ولم يكن للزوج أن يجبر زوجته أن تغادر أرض الموعد أو مدينة أورشليم، أو تغير سكناها من المدينة إلى القرية أو بالعكس، أو من مسكن جديد إلى مسكن ردئ. وكان هناك شروط أخرى قليلة تبين أن القانون كان يحمى مصالح المرأة بعناية تامة والدخول فى تفاصيل أكثر من هذه خارج الغرض الحالى كل ذلك كان يتفق عليه مادياً فى الخطوبة التى يبدو أنها كانت تتم فى اليهودية فى حفل وعدم استيفاء هذه الترتيبات سواء بحسن نية أو تزوير متعمد كان يعتبر سبباً صحيحاً لحل هذا الرباط الذى عقد وإلا كما سبق ملاحظته كان من الضرورى طلاق رسمى.

طبقاً لقانون جماعة المعلمين (الرابای) كان بعض الرسميات ضرورية لتكون الخطوبة صحيحة قانوناً، منها أن يقدم للمرأة مباشرة أو من خلال رسول قطعة نقود مهما كانت صغيرة، أو رسالة على شريطة فى كل حال أن يعترف أمام شهود أن الرجل بهذا قصد أن يتزوج المرأة، ويتبع ذلك فترة يحدد القانون طولها وتتكون الحفل فى أن أن يصحب العريس عروسه إلى منزله برسميات ترجع إلى أزمنة قديمة، وكان يحتفل بزواج العذراء فى عصر يوم أربعاء وكان ذلك يسمح للأيام الأولى فى الأسبوع بالاستعداد. ويمكن للخطيب إذا كان لديه اتهام ضد طهارة خطيبته أن يقدم شكوى مباشرة أمام السنهدرين المحلى الذى كان ينعقد كل خميس. أما زواج الأرملة فكان يشهر عصر يوم الخميس وهذا كان يترك ثلاثة أيام فى الأسبوع للفرح بها. ويمكننا معرفة هذا بشيء كبير من الدقة أن نرتب تاريخ الحوادث التى سبقت عرس قانا الجليل، ونستطيع أن نستنتج من الحفلات التى صاحبت العرس أنه كان عرس عذراء وعلى ذلك كان فى يوم أربعاء ويكون عندنا تتابع الحوادث كالآتى ففى

الخميس (الذى يبدأ ككل يوم يهودى بمساء اليوم السابق) شهادة المعمدان لرسل السنهدريم من أورشليم. وفى الجمعة (يو ١ : ٢٩) «يوحنا يرى يسوع آتياً إليه» ويعظ عظته عن حمل الله الذى يحمل خطية العالم وفى السبت (يو ١ : ٣٥) عظة يوحنا الثانية عن نفس الموضوع وما تلاها من تحول القديس يوحنا والقديس اندراوس ودعوة بطرس. وفى الأحد (يو ١ : ٤٣) يعظ سيدنا نفسه أول عظاته فى عصر المسيا ويدعو فيلبس ونثنائيل «وفى اليوم الثالث» بعدها أى فى الأربعاء كان العرس فى قانا الجليل ومعنى هذه التواريخ عندما تقارن بتواريخ أسبوع آلام سيدنا ستكون واضحة وضوحاً تاماً.

وليس هذا هو كل ما يمكن فهمه من وصف الزواج، وفى قانا وطبعاً كان هناك حفل زواج كما كان يحدث فى كل هذه المناسبات. ولهذا السبب لم يكن أى زواج يشهر سواء فى السبت أو فى اليوم السابق أو فى اليوم بعد السبت تجنباً للمخاطرة براحة السبت. ولم يكن يصرح بالزواج فى أحد الأعياد السنوية حتى لا تختلط كما قال جماعة الكتبة الراباى بين «أفراح الزواج» مع «الفرح الآخر للعيد» وإذ كان يعتبر واجباً دينياً أن ندخل السرور على الزوجين حديثى الزواج فإن الفرح كان فى بعض الأحيان أكثر من الذى صرح به المعلمون (الراباى) المتزمتون المتشددون، وعلى ذلك يقال أن أحدهم لكى يستعيد الجدية والرزانة كسر إناء ثمنه ما يقرب من خمسة وعشرين جنيهاً، وروى عن آخر أنه فى حفل زواج ابنه كسر كأساً غالياً لنفس الغرض أما ثالث عندما سئل أن يغنى فصرخ قائلاً: «ويل لنا لأننا يجب أن نموت لأنهم ينهون الانسان أن يمتلىء فمه ضحكاً ولسانه ترنماً فى هذا العالم، كما هو مكتوب «حينئذ امتلأت أفواهنا ضحكاً وألسنتنا ترنماً» فمتى يكون هذا؟ عندما يغنون بين الوثنيين «لقد عظم الرب العمل معهم».

ومما هو جدير بالذكر أنه فى عرس قانا لم يرد ذكر «لأصدقاء العريس» أو كما يمكن أن نسميهم رجال العريس وهذا يتفق تماماً مع العوائد اليهودية لأن رجال العريس كانوا معتادين فى اليهودية ولم يكن ذلك كذلك فى الجليل وهذا يلقى ضوء على الموقع الذى قيلت فيه (يو ٣ : ٢٩) التي ذكرت فيها صديق العريس ١١٩ وهذا مختلف عن الاصطلاح «أطفال حجرة العروس» التى وردت (بنو العرس) فى (مت ٩ : ١٥) حيث نعود ثانية إلى الجليل والاصطلاح أطفال حجرة العروس

هو ترجمة اصطلاح الرابونى بنى تشوباه bene chuppah ومعناها المدعوون للعرس وفى اليهودية كان فى كل عرس رجلان للعريس أى صديقان للعريس واحد للعريس وآخر للعروس. وقبل الزواج كانا يعملان كوسطاء بين الاثنين، وفى العرس كانا يقدمان الهدايا ويرافقانهما إلى حجرة الزواج، وكانا أيضاً ضامنى طهارة وعذراوية العروس ومن هذا يخبر القديس بولس الكورنثيين (٢ كو ١١ : ٢) «فإن أغار عليكم غيرة الله لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة» وهو يتحدث كأنه رجل العريس أو صديق العريس الذى قام بدوره فى الاتحاد الروحى للمسيح مع كنيسة أهل كورنثوس، ونحن نعرف أن من أخص واجبات صديق العريس أن يقدم له عروسه وبالمثل كان واجبه أيضاً بعد الزواج أن يبقى على روح الوفاق بين الزوجين، وعلى وجه الخصوص أن يدافع عن اسم العروس ضد كل ما ينسب إليها، وقد يكون من الممتع والمفيد أن تعرف أن هذه العادة ممكن تتبعها إلى أعلى السلطات. وفى المفهوم الروحى من ذلك أنه فى الاتحاد الروحى بين اسرائيل والله يتحدثون عن موسى كصديق العريس الذى يأتى بالعروس (خر ١٩ : ١٧) بينما يهوه كالعريس يقابل كنيسته (الجماعة) فى سيناء (مز ٦٨ : ٧). لا بل فى بعض الكتابات السرية يقولون أن الله كان هو صديق العريس عندما تقابل والدانا لأول مرة فى عدن وهناك لمسة شعرية فى تمثل حزقيال (٢٨ : ١٣) بهذا المنظر عندما قاد الملائكة جماعة المغنين والمرتلين وزينوا سرير العروس وقاموا على حراسته، وكما ورد فى التعقيب لأحد الرابای القدماء أن الله القدير نفسه تناول كأس البركة وبارك بينما رئيس الملائكة ميخائيل ورئيس الملائكة غبريال كانا صديقى العريس لوالدينا الأولين عندما تزوجا فى السماء.

وكانت حفلات الزواج تبتدئ ببركة تسبقها كانت تسلم به العروس لزوجها (طوبيت ٧ : ١٣) وهكذا كان الإثنان يصطحبان إلى حجرة العروسين (الخدر باليهودية Cheder) وسرير الزواج (القبة باليهودية Cliuppah) وكانت العروس تذهب وشعرها غير مسدول، وكانوا عادة يفرضون على المرأة فرضاً حاسماً أن تغطى رأسها بعناية فائقة. ولعل هذا يلقى ضوء على القطعة الصعبة (١ كو ١١ : ١ - ١٠) ويجب أن نتذكر أن الرسول هنا يجادل اليهود وكان يجادلهم بحججهم مقنعاً إياهم بالإشارة إلى وجهات نظرهم بذاتها وبالشائع عن العادة الحسنة التى يوصى بها ومن

هذه الوجهة لا يمكن أن نجادل فى صلاحية تغطية المرأة لرأسها. وكان عكس ذلك يدل على عدم اللياقة فى نظر اليهودى وفى الحقيقة كانت العادة فى أمر المرأة التى تتهم بالزنى أن يقصوا شعرها أو يحلقوه وفى نفس الوقت يستعملون هذا النص «لأنك قد تخليت عن طريق بنات اسرائيل الذين يسيرون وبرؤوسهم مغطاه فلقد حل بك ما أردت». ويفسر لنا هذا (١ كو ١١ : ٥،٦). والاصطلاح «سلطان» المستعملة فى (١ كو ١١ : ١٠) مع رأس المرأة يبدو أنها تشير لهذه التغطية وتشير أنها تحت سلطان زوجها فى حين أن الاضافة الصعبة ومن أجل الملائكة قد تشير إما إلى وجود الملائكة وإلى وجهة النظر اليهودية (القائمة دون شك على الحق) أن هذا السلوك قد يحزن الملائكة ويسيء إليهم وينقلون الخبر المحزن إلى عرش الله، وربما تشير أيضاً إلى إعتقاد اليهود القديم بأن الأرواح الشريرة تتسلط على المرأة التى لا تغطى رأسها. وكانت عادة حجاب العرس سواء أكان للعروس أم يسدل على الاثنين فكانت تعود إلى تاريخ قديم ولقد اعترض عليها بعض المعلمين (الراباى) بعد خراب أورشليم وكانت هناك عادة لبس التيجان قبل ذلك بكثير (نش ٣ : ١١، أش ٦١ : ١٠، حز ١٦ : ١٢) وهذه العادة أيضاً نهوا عنها بعد الحرب اليهودية. وكانوا يحملون سعف النخل وفروع أشجار ذات أزهار بيضاء وكانوا ينشرون القمح والنقود ويسبق الموكب الموسيقى وكان من المنتظر أن يشترك فيها كل ما التقى بالموكب كواجب دينى. ومثل العشر عذارى ومعهن مصابيحهن ينتظرن العريس (مت ٢٥ : ١) له أساس من عوائد اليهود، لأنه كما ورد فى مصادر المعلمين (الراباى) كان يستعمل مثل هذه المصابيح على قمة عصى، ويذكر الرقم عشرة مع كل الاحتفالات العامة وكانت الحفلات تستمر عادة لمدة أسبوع ولكن أيام العرس كانت تمتد إلى شهر بأكمله.

أما وقد دخلنا فى موضوع الزواج هذا الدخول المستفيض قد تكون الإشارة إلى بعض التفاصيل هامة وممتعة. ونحن نعرف معرفة كافية موانع الزواج ولقد أضاف معلمو إسرائيل (الراباى) موانع أخرى، ولقد جمعت فى بابين إمتداداً لشريعة الأقارب (إلى الدرجة الثانية بقصد وقاية الأخلاق)، والقائمة الأولى امتدت حتى شملت كل الأقارب المحَّرمين حيث يكون التحريم مباشراً وإلى حلقة أخرى حيث يكون غير مباشر كتحريم زوجة الخال مثلاً أو زوجة أب الزوجة وفى قائمة المحافظة على الأخلاق والآداب يحرم زواج المرأة بمن أغواها، وزواج الرجل بالمرأة التى حضر كتاب طلاقها

أو التى شهد فى قضيتها، أو زواج من لا يكون فى كامل قواه العقلية، أو فى حالة سكر، أو زواج القصر، أو عن تزوير وخداع. وكان على الأرمل أن ينتظرن ثلاثة أعياد وعلى الأرملة أن تنتظر ثلاثة شهور قبل أن تتزوج ثانية أو إذا كانت حبلى. أما المرضع فلمدة سنتين وليس للمرأة أن تتزوج لثلاث مرات ولا يصح أن ينعقد زواج فى مدى ثلاثين يوماً من موت أقرب الأقرباء، أو فى سبت، أو فى يوم عيد، وبخصوص زواج أخ المتوفى بدون نسل فلا لزوم للتعرض له هنا ولو أن المشناه خصص له فصلاً بكامله. ومن الواضح أنها كانت شائعة مألوفة فى أيام المسيح (مر ١٢ : ١٩)، وكانوا يعتبرونها متعلقة بامتلاك أرض فلسطين وتوقف العمل بها بزوال المملكة اليهودية. فكان على كاهن ما أن يستعلم على الأنسال الشرعيين لزوجته (إلى رابع درجة إذا كانت ابنة كاهن وفى غير ذلك فللدرجة الخامسة)، إلا إذا كان أبو العروس كاهناً فى الخدمة الفعلية أو عضواً فى السنهدريم ويجب أن تكون عروس رئيس الكهنة عذراء لا تتجاوز ستة أشهر بعد سن البلوغ.

وكان الطلاق يتم بسهولة مميتة وكان كثير الحدوث، ويظهر هذا واضحاً من السؤال الذى وجهه الفريسيون للمسيح أيجوز للرجل أن يطلق إمرأته لكل علة؟ (متى ١٩ : ٣) أو لكل ذنب، أو إساءة، وهذا أكثر إتفاقاً مع روح الفريسيين، وبأكثر وضوح من الدهشة التى انصت التلاميذ بها إلى جواب المخلص (متى ١٩ : ١٠) وكان الجواب أوسع مدى من تعاليم سيدنا الأولية فى عظته على الجبل (مت ٥ : ٣٢) ولم يكن هناك يهودى يعترض على ما ورد فى عظة الجبل فى هذا الصدد ولو أن المبادئ التى نادت بها بدت أسمى من أعلى مستوى مثلته مدرسة المعلم شماى (الرابای) shammai بينما مدرسة الرابای هلليل Hillel وكذلك مدرسة الرابای أكيبا Rabbi Akiba كانت تمثل الطرف المضاد الأدنى ولكن سيدنا فى رده على الفريسيين بنى المسألة كلها على أساس كان لابد للطرف المتزمت من مدرسة الرابای شماى أن يرفضه، لأن أقصى حد كان يمكنه أن يحدد به سبب الطلاق هو عدم الطهارة (تث ٢٤ : ١)، الذى كان من المحتمل أن يفهمه ليس فقط الاخلال بوعد الزواج بل بشرائع وقوانين الأرض، وفى الحقيقة نعلم يقيناً أنها شملت كل ما لا يليق كالخروج بالشعر مسدولاً أو الغزل فى الشارع أو حديث الألفة مع الرجال، أو سوء معاملة والدى الزوج فى حضرته، أو الكلام بصوت مرتفع مع الزوج بحيث يسمعونها

فى البيت المجاور وهذا ما يسىء إلى سمعتها، أو إكتشاف خدعة قبل الزواج. ومن الجانب الآخر كان يمكن للزوجة أن تصر على الطلاق من زوج أبرص، أو زوج مصاب بأورام، أو يعمل بصاحب مهنة قذرة كريهة كدباغ أو صانع نحاس. وكان الطلاق حتمياً إذا أصبح أحد الطرفين وثنياً أو كف عن الإعتراف باليهودية. ولكن كان هناك ما يكبح خطر عدم الشرعية وهو الإلتزام بدفع نصيب الزوجة ومراسيم كتاب الطلاق وبائنة لا يصير الطلاق قانونياً شرعياً وكان يعبر بألفاظ صريحة فى حضور شاهدين.

وطبقاً للقانون اليهودى كان هناك أربعة إلتزامات ملقاة على عاتق المرأة تجاه زوجها، وعشرة كان هو ملزماً بها ومن إلتزامات الزوج ما يشار إليه فى (خر ٢١ : ٩ - ١٠) ويتضمن السبعة الباقية سكناها، ومعالجتها طبياً فى المرض، وفداءها من الأسر، وتهيئة سكنى لها فى منزله طالما كانت أرملة ولم يرد لها هبة أبيها، وإعالة بناتها حتى زواجهن والاشتراط على ضمان حصول أولاده على نصيبهم من ميراث أبيهم والمشاركة فيما كان قد تقرر لها. وكانت الالتزامات على الزوجة أن كل ما تكتسب يخص زواجها وكل ما يصير إليها من ميراث بعد زواجها، وأن زوجها يحصل على استثمار هبة والدها لها عند الزواج Dowry أو على أى مكاسب بها على شريطة أن يديرها ومع ذلك فى هذه الحالة يكون مسئولاً عن أى خسارة وعلى أن يعتبر وريثها الشرعى.

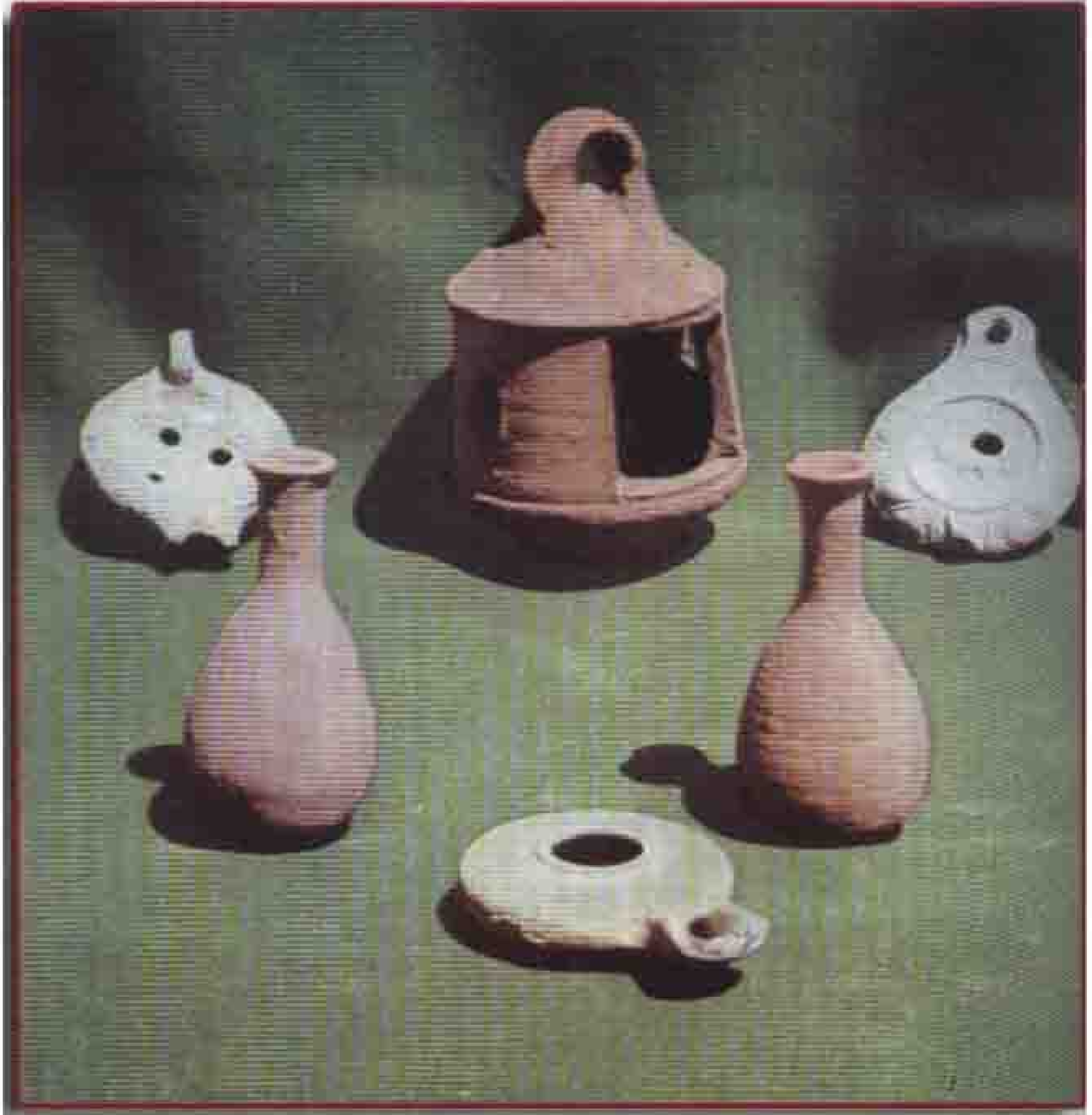
ويمكن أن يظهر لنا من قصة الانجيل ومن سفر الأعمال ومن ملحوظات من رسائل الرسل، ماذا كانت الحياة العائلية بين أتقياء إسرائيل، وكم كان مستواها مرتفعاً، وكم كان محبوباً حديثهم ومعاشراتهم. وكم كانت محبة وغيرة أمهاتهم وبناتهم، ومن هؤلاء الأم العذراء، وأليصابات، وحنة، وأولئك اللائى تمتعن بخدمة الرب، واللائى بعد موته قمن على خدمة جسده وحراسته ولم يكن ممكناً أن يكن وحدهن فى إسرائيل، فإننا نجد اخواتهن فى دوركاس وليديا وفيبى وفى النسوة اللائى يتحدث عنهن القديس بولس فى (فل ٤ : ٣)، واللائى يلخص حياتهن فى رسائله إلى تيموثاؤس وتيطس فلابد أن زوجات مثل بريسكلا وأمهات مثل أم أبناء زبدى وأم مرقس أو السيدة المختارة التى ذكرها القديس يوحنا ولوئيس وأفنيكى لابد أن هؤلاء حافظن على الجو العائلى طاهراً نقياً حلواً وألقين ضوء على منازلهن، ومجتمعهن،

ذلك المجتمع الفاسد حتى نواته الداخلية بقدر كا كان تحت سلطان الوثنية. كما نتعلم من تاريخ تيموثاؤس ماذا علّموا عائلاتهم وكيف علّموهم بالرغم من ظروف غير مناسبة، ومع أنهم كانوا بلا شك محرومين من الفرص التى نتمتع بها. كان هناك عادة حلوة فى عقيدة عائلتهم تتخطى الصلاة المقررة مكنتهم من أن يعلموا أولادهم منذ الطفولة أن ينسجوا كلمة الله فى حياتهم التقوية اليومية، لأنهم كانوا يعلمون الطفل آية من الكتاب المقدس تبتدئ أو تنتهى بنفس حروف اسمه العبرانى وكان على الطفل أن يدخل اياه عيد الميلاد أو الوعد الحارس فى صلواته يوماً فيوماً. وهذه الكلمات الحارسة المألوفة للعقل منذ السنوات الأولى والتى أصبحت عزيزة على القلب، وبفضل أرق الذكريات سوف تبقى مع الشاب فى تجارب الحياة ويرن صداها عالياً وسط ضوضاء معركة الرجولة. وبكل تأكيد يمكن أن يقال بحق عن الأطفال اليهود الذين هكذا تربوا وهكذا تدربوا وهكذا تعلموا احترزوا أن تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأنى أقول لكم ملائكتهم فى السماء يرون وجه أبى الذى فى السماء.

الفصل العاشر
فى المــوت وبعد الموت

لا يستطيع أحد أن يرسم صورة أشد حزناً من صورة الراباى يوحنان بن سكّاى Rabbi Jochanan ben Saccai (نور إسرائيل) عند موته قبل وبعد خراب الهيكل وكان رئيساً للسنهدريم لمدة سنتين. ونقرأ فى التلمود أنه لما أتى تلاميذه ليروه على فراش الموت انفجر باكياً بكاء مراً فدهشوا وسألوه : لماذ وأنت نور إسرائيل والعمود اليمين للهيكل ومطرقته القوية تظهر خوفاً هذا مقداره؟ فأجابهم : «لو أننى أحضرت أمام ملك أرضى يعيش اليوم ويموت غداً غضبه وقيوده ليسا دائمين، وحتى حكمه بالموت ليس إلى الأبد، ويمكن إسترضاؤه بأن نتحاجج معه ويمكن شراؤه بالمال لارتعبت وبكيت؛ فكم أكون أكثر عقلاً وحكمة وأنا على وشك المثول بين يدى ملك الملوك الواحد القدوس الكائن والدائم إلى الأبد الذى أصفاده إلى دور فدور وحكمه بالموت إلى دهر الدهور، لا يمكن أن أسترحمه بالكلمات أو أرشوه وليس هذا هو كل شيء، ولكن أمامى طريقين واحد للجنة والآخر للهاوية ولست أدرى إلى أى الطريقين أنا ذاهب إلى الجنة أم إلى الهاوية. فيكف إذن لا أسكب الدمع حاراً.» وجنباً إلى جنب مع هذه الصورة نضع قول راباى يهوذ Jehudah المسمى (القديس) الذى عند موته رفع كلتا يديه إلى السماء محتجاً قائلاً ما من واحد من أصابعى هذه العشرة قد خالف شريعة الله» . وأنه لمن الصعب أن نقرر أى هذين القولين على النقيض من نور وحرية الانجيل قنوط ويأس الواحد أو الجسارة البادية فى الآخر.

ومع ذلك فكلا القولين يذكرنا بقولين فى الإنجيل فإننا فى الإنجيل نقرأ عن طريقين طريق الفردوس وطريق الهلاك. كما نقرأ عن الذين يقتلون الجسد وعن ذاك الذى بعد أن يكون قد قتل الجسد له السلطان أن يلقى فى جهنم. وعلى العكس من ذلك لم يكن ما أكده القديس اسطفانوس والقديس يعقوب والقديس بولس أقل ثقة من قول يهوذا الملقب القديس. ولو أنها عبرت عن ذاتها بطريقة تختلف إختلافاً كبيراً وقَرت على قواعد أخرى ولم تكن أصوات الراباى (المعلمين) أشد تنافراً وعدم انسجام وكلماتهم أكثر تناقضاً وأقل اقناعاً منها أمام مشاكل الانسانية العظمى، الإثم



سرج ومصابيح تضاء بالزيت من زمن السيد المسيح

وقد ذكرت المصابيح في مثل العذاري الحكيمات اللواتي دخلن العرس (مت ٢٥ : ٣) وذكر السراج في مثل المرأة التي أضاعت الدرهم (لو ١٥ : ٨).



قبر من زمن السيد المسيح

مدخل قبر عائلة هيرودس في أورشليم ويشاهد حجراً عظيماً لقفل باب القبر (مر١٥ : ٤٦).

والمرض، والموت، والعالم الآخر، وكم كان القديس بولس الذى تعلم تحت قدمى غمالائيل فى كل تقاليد وحكمة الآباء صادقاً عندما عبّر عن أعمق إيمان كل معلم مسيحى فإن مخلصنا يسوع المسيح وحده هو الذى «أنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل» (٢ تى ١ : ١٠).

عندما سأل التلاميذ سيدنا بخصوص الرجل المولود أعمى «يا سيد من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى» (يو ٩ : ١ - ٢) ندرك بإشتياق وبوضوح أننا نسأل سؤالاً يهودياً محضاً، وكان هو تمام السؤال الذى كان محتملاً أن يلقى وعبر بالضبط عن المعتقد اليهودى. إذ كان من المبادئ الشائعة بين اليهود أن الأولاد انتفعوا أو تألموا طبقاً للحالة الروحية لآبائهم، وكانوا يؤمنون أيضاً أن الجنين قد يجتذب (يرث) الإثم لأن «اليزرهارا yezer ha-ra باليهودية» وهو الميل إلى الشر والذى كان موجوداً منذ تكوينه الأسبق ينشط بالعوامل الخارجية. وكان المرض يعتبر عقوبة الاثم ويعتبر أيضاً غفراناً وتكفيراً له. ولكن أيضاً يقابلنا حقائق تذكرنا بتعليم رسالة العبرانيين (١٢ : ٥ و٩) وفى الحقيقة إن إقتباس الرسول من (أمثال ٣) هو لنفس الغرض فى التلمود وهو كيف تظهر الروح مختلفة من الملخص الآتى ويظهر أن معلمين اثنين اختلفا فى تعريف «تأديبات المحبة» ونسرد واحداً منها معتمداً أنها هى التى لا تمنع الانسان من الدراسة وذلك بالروجوع إلى (مز ٩٤ : ١٢)، والثانى فسرها على أنها هى التى لا تمنع الانسان من الصلاة وذلك إستناداً إلى (مز ٦٦ : ٢٠). وقررت السلطة الأعلى أن كليهما كانا تأديب المحبة وفى نفس الوقت أجابت على الاقتباس من (مز ٩٤) بتعديل كلمة تعلمه بكلمة تعلمنا من شريعتك وكلنا يمكن أن نستنتج أن التأديبات ذات فائدة كبيرة كما يلى إذا كان كما ورد فى (سفر الخروج ٢١ : ٢٦، ٢٧) كان العبد يحصل على حريته بتأديب سيده بالتأديب الذى يؤثر فى عضو واحد من أعضائه، فكم بالأولى كثيراً تؤثر التأديبات التى تطهر كل جسم الإنسان. زد على ذلك يذكرنا راباى (معلم) آخر أن العهد يذكر مقترناً بالملح (لا ٢ : ١٣)، وأنه مقترناً بالتأديبات (تث ٢٨ : ٥٨) كما أن العهد يذكر مقترناً بالملح الذى يعطى طعماً للطعام يذكر أيضاً مقترناً بالتأديبات التى تطهر خطايا أى إنسان. وفى الواقع كما يقول راباى (معلم) آخر إن الواحد القدوس - تبارك اسمه - قد أعطى إسرائيل ثلاث عطايا صالحة وكل واحدة منها من خلال الآلام وحدها : الشريعة وأرض اسرائيل والعالم الآتى؛ الشريعة طبقاً (لمزمور ٩٤

: ١٢) والأرض طبقاً لـ (تث ٨ : ٥، ٧) مباشرة، والعالم الآتى طبقاً لـ (أم ٦ : ٢٣).

كان الكتبة يحفظون القوانين الصحيحة بدقة وغيرة كما كانوا فى سائر الموضوعات، وكانت تعليماتهم فى ذلك متقدمة تقدماً كبيراً عن الممارسات الحديثة. فمن الإشارات الكثيرة فى العهد القديم نستنتج أن علم الطب الذى بلغ درجة كبيرة من الكمال فى مصر حيث كان لكل مرض طبيبه الخاص به؛ اهتموا به فى إسرائيل ولذا وبخوا الملك أسّا توبيخاً شديداً على اثمه فى وضع ثقته فى الأطباء العالميين (٢ أخ ١٦ : ١٢). ونقرأ فى العهد الجديد عن المرأة التى أنفقت كل معيشتها وتألمت كثيراً على يد الأطباء (مر ٥ : ٢٦)، فى حين أن الخمر والزيت شاع استعمالهما فى معالجة الجروح (لو ١٠ : ٣٤)، وكان القديس لوقا طبيباً (كو ٤ : ١٤). ومن بين العاملين بالهيكل كان هناك متخصص فى الطب كان من واجبه أن يتعهد الكهنة الذين كانوا معرضين لأمراض خاصة بسبب خدمتهم حفاة، وأمر المعلمون (الراباى) أن يكون فى كل مدينة طبيب على الأقل على أن يكون مؤهلاً لمزاولة الجراحة وإلا كان فيها طبيب وجراح، لا بل إن بعض المعلمين اشتغلوا بالمهن الطبية. ونظرياً على الأقل كان يجب على كل ممارسى الطب أن يحصلوا على ترخيص وكان توظيف الملحد أو العبرانى المسيحى محرماً تحريماً باتاً مع أن الوثنى كان يستدعى عند الضرورة. ورغم حمايتهم ورعايتهم للطب والعلم يتردد أقوال شائعة فالمثل «أيها الطبيب اشف نفسك» هو حقيقى مثل يهودى وهناك المثل القائل «لا تعش فى بلد رئيسها رجل طب لأنه سيعنى بالعمل العام ويهمل مرضاه» وهناك أيضاً المثل القائل بأن «أحسن الأطباء الذى يستحق حبهم Gehenna مع ذلك تسوء علاج البعض وإهمال الآخرين». وقد يكون من التحايل أن نناقش العلاج الذى كان يوصف فى ذلك الوقت مع أننا لو حكمنا بما كان ينصح به فى مثل هذه الأحوال لما تعجبنا أن المرأة الفقيرة لم تستفد البته بل ساءت حالاً (مر ٥ : ٢٦) والوسائل التى أوصوا بها كانت فى الغالب صحية وكان اليهود من هذه الناحية أفضل منا، أو علاجات دوائية بحتة، أو عاطفية، أو سحرية، وكانت الأدوية إما بسيطة أم مركبة، وكانت تستخدم ضمادات الماء البارد، وكان استعمال الخمر والزيت من الخارج والداخل. وكانت الحمامات سواء الطبية منها أو غيرها وبعض الأنظمة الغذائية توصف فى بعض

الأمراض وكانوا يصفون لبن الماعز وعصيدة الشعير يوصى بها فى كل الأمراض المصحوبة بالهزال، ويبدو أن الجراحين اليهود عرفوا كيف يقومون بعمليات على العين التى فقدت الإبصار.

وعادة كان من المنتظر أن تطول الحياة وكان الموت يعتبر عقوبة للخطية وفى نفس الوقت وفاء وتعويضاً عنها وطلب الرضا، وكان الموت فى الجنسين قطعاً من أرض الأحياء. وفى الثانية والخمسين موت صموئيل النبى، وفى الستين موتا بيد السماء، وفى السبعين موت الرجل المسن وفى الثمانين موت القوة والموت قبل الأوان كسقوط الفاكهة قبل نضجها، أو انطفاء الشمعة، وكان الموت دون ابن «هو الموت»، وفى غير هذه الأحوال كان الموت يعتبر «نوماً»؛ولذا يقال عن داود لم يمت ولكنه «نام» (١ مل ٢ : ١٠) أما يواب فيقال عنه أنه «مات» وإن كان الفرد قد أتم عمله فيعتبر موته موت الأبرار الذى ضم إلى ابائه ولقد استنتج التقليد بطريقة تحليل خاصة (أى باجتهاد خاص) من كلمة فى (مز ٥٦ : ١٢) أن هناك تسعمائة وثلاث ميتات، أسوأها السكتة من الانهاك عند ضعف القلب وهى أشبه ما تكون بإنتزاع خيط من قطعة قماش من الصوف، فى حين أن أحلاها وأرقها وألطفها مثل سل شعرة من اللبن ويطلق عليها اسم «ميتة قبلة» ونشأت التسمية من (عدد ٣٣ : ٣٨، تث ٣٤ : ٥) ويقال أن موسى وهرون ماتا هذه الميتة أى بالكلمة وحرفياً «بفم يهوه». ويقال أن ملاك الموت لم يكن له سلطان على ستة هم : إبراهيم، واسحق، ويعقوب لأنهم أكملوا عملهم؛ ومريم، وهارون وموسى الذين ماتوا «بقبلة الله» وإذا كان الموت قبل الأوان يعتبر عقوبة الاثم فالأبرار ماتوا لأن آخرين دخلوا على تعبهم، كما دخل يشوع على تعب موسى وسليمان على تعب داود. ولكن إن حان وقت الموت فأى شيء يسبب الاصابة به أو كما عبّرت تعاليم المعلمين «يآ الله كل هؤلاء يخدمونك لأنه حيثما يذهب الإنسان فهناك تحمله قدماه».

وكانوا يلاحظون علامات كوقت الموت، وطريقته، فموت الفجأة يقال عنه بأنه أُبتلع، والموت بعد يوم مرض موت الرفض، وبعد يومين موت اليأس، وبعد أربعة أيام موت التوبيخ، وبعد خمسة أيام الموت الطبيعى. وكانوا يلاحظون الوضع أثناء الموت ملاحظة دقيقة وكان من حسن الفأل أن يموت الإنسان وعلى وجهه إبتسامة سعيدة أو على الأقل بوجه لامع ناظراً إلى أعلى، وكان من سوء الفأل النظر إلى أسفل

والبكاء والإلتفات للحائط، وكانوا يوصون عند الشفاء من المرض بتقديم الشكر. ومن أغرب الخرافات أنه إذا أعلن الانسان مرضه فى أول يوم من حدوثه قد يؤدى ذلك إلى أن تسوء حالته وأنه لا يجب أن تقدم صلوات عنه إلا فى اليوم التالى. وأخيراً يجب أن نذكر فى هذا الصدد إذ قد يلقى ذاك ضوء على العادة التى أشار إليها القديس يعقوب (يع ٥ : ١٤) ذلك أن يدهن المريض بمزيج من زيت وخمر وماء وكان ذلك مسموحاً به فى السبت.

عند ذكر سيدنا زيارة المريض ضمن شهادات ذلك الدين التى ستساعدنا على الوقوف فى يوم الدينونة - (متى ٢٥ : ٣٦)، استند إلى مبدأ معترف به بين اليهود جميعهم، فالمعلم العظيم ميمونيدس يعتبر هذا الواجب على رأس قائمة الأعمال الصالحة، والتلمود يؤكد أن كل من يزور المرضى سوف يخلص نفسه من جهنم النار، وطبقاً لهذا أحد المعلمين فى مناقشة معنى الآية «تسيرون وراء الرب إلهكم» (تث ١٣ : ٤) إستنتج أنها تشير إلى تقليد ما نقرأ عنه فى الكتاب عن أعمال الله فكما كسى الله العريان (تك ٣ : ٢١) كذلك يجب علينا ذلك، وكما عزى الحزانى (تك ٢٥ : ١١) ودفن الموتى (تث ٣٥ : ٦)، تاركاً لنا مثالاً لكى نتبع خطواته هكذا يجب علينا أن نفعل وإذا قيل أن كل زائر لمريض يزيل جزء من ستين جزء من المرض ربما كان ذلك تشجيعاً على أداء واجب زيارة المريض، أو قد يكون ذلك للإشارة إلى تأثير التعاطف الحسن على المريض. ولم تكن خدمة المحبة لتقف عند هذا الحد لأننا كما رأينا كان دفن الموتى واجباً أدعى إلى التبكير فى الأداء من زيارة المريض، ففى مرور موكب الدفن من المنتظر أن كل شخص إن أمكن ينضم إلى الجماعة ولقد استعمل المعلمون فى حفظ هذه العادة على (أم ١٤ : ٣٢، ١٩ : ١٧) وفى إهمالها (أم ١٧ : ٥)، وكانوا يبدون كل الاحترام إلى بقايا الميت وكانوا يحافظون على المدافن خالية من كل ما يدنسها أو من الاستخفاف فى المحافظة عليها.

وكان الدفن يتم بأسرع ما يمكن عقب الموت (مت ٩ : ٢٣، أع ٥ : ٦و١٠، ٨ : ٢)، ومما لا شك فيه كان ذلك لأسباب صحية. ولأسباب خاصة (أع ٩ : ٣٧، ٣٩)، مع ذلك أو فى حالة موت الوالدين قد يؤجل الدفن لعدة أيام. والاستعدادات لدفن السيد كما ذكرت فى الأناجيل وإن الطيب لدفنه (متى ٢٦ : ١٢) والحنوط والأطياب (لو ٢٣ : ٥٦) وخليط المر والميعه؛ يجد ما يؤيدها تأييداً حرفياً فيما يخبرنا

به المعلمون من عوائد هذه الفترة. وفى بعض الأوقات كان التبذير فى نفقات الدفن عظيماً يورط الفقراء فى مصاعب كبيرة؛ لأنهم لم يكونوا يريدون أن جيرانهم يتفوقون عليهم. وامتد السفه والجهل لا إلى طقوس الدفن فى وضع النقود وأشياء قيمة فى المقبرة بل إلى الترف فى الكفن. وأخيراً أدخل الراباى (المعلم) غمالائيل الاصلاحات التى طال انتظارها بأن أوصى أن يدفن فى ملابس كتانية بسيطة وإعترافاً بفضله يقدم كأس لذكراه فى ولائم الجنائز أما حفيده فحدد ملابس الدفن بقطعة واحدة ويصنع رداء الدفن من أرخص أنواع الكتان، ويسمى (تكريكين باليهودية Tachrichin) أو «اللفائف» أو «لباس السفر» وهى الآن بيضاء ولكنها كانت سابقاً بأى لون يقع الاختيار عليه، ولذا فإن معلما (راباى) رفض أن يدفن فى كفن أبيض لئلا يبدو فرحاً أو فى أسود لئلا يبدو حزيناً ولكن أوصى أن يكون أحمر، وأمر آخر أن يكون كفنه أبيض ليظهر أنه غير خجل من أعماله، وثالث أصدر توجيهات أن يدفن بحذائه وجوربه وعصاه ليكون مستعداً للقيامة. وكما نعلم من الإنجيل كان الجسم يلف فى ملابس كتانية وكان الوجه يلف بمنديل (يو ١١ : ٤٤ و ٥٠ : ٥ و ٧).

بعد أن يكون الجسد قد أعد إعداداً مناسباً تتقدم مراسيم الدفن كما توصف فى الأناجيل فمن وصف موكب دفن نايين الذى أوقفه رب الحياة (لو ٧ : ١١ - ١٥)، نتعلم تفاصيل كثيرة مفيدة فنتعلم.

أولاً : أن المدافن كانت دائماً خارج المدن (مت ٨ : ٢٨ و ٢٧ : ٧ و ٥٢ و ٥٣)، ولم يكن يسمح بأن تمر فيها المجارى المائية أو الطرق العامة أو ترعى بها الأغنام، ونقرأ عن مقابر عامة ومقابر خاصة، والخاصة منها فى حدائق أو فى مغارات وكان من المعتاد زيارة المقابر (يو ١١ : ٣١) للحزن والصلاة. ولم يكن من الشريعة الأكل أو الشرب أو السير بينها بدون الاحترام اللائق وكانت عادة حرق الموتى منبوذة كعادة وثنية محضة مضادة لروح تعاليم العهد القديم.

ثانياً: نعرف كما حدث فى نايين أن الجسد كان يحمل على نعش أو لحد مشكوف وكان الحاملون يتغيرون ليعطوا الفرصة لكثيرين للاشتراك فى عمل يثاب عليه، وكانوا يقيمون على القبور فى الحقول والعراء أعمدة للذكرى. وكانت الأمهات يحملن الأطفال أقل من شهر أما الأطفال الأقل من اثنى عشر شهراً فكانت

تحمل على نقالة أو سرير.

أخيراً : كان النظام الذى خرج فيه الموكب من أزقة مدينة نايين المتعرجة متفقاً مع عوائد الزمان والمكان؛ فلقد صادف السيد وتلاميذه المشهد الحزين خارج أبواب المدينة، ولو كان ذلك فى اليهودية لتصدر المشهد الندابات المأجورات والموسيقى، وفى الجليل كانوا يتبعون الميت : فأولاً يأتى النساء لأن إمرأة جلبت الموت على العالم فيجب أن تقود إمراة موكب الجنازة، وذلك طبقاً لتعليق توضيحى يهودى قديم ولقد استطاع سيدنا أن يميز من بينهن الأرملة الذى سوف يخبأ كنزها منها إلى الأبد وخلف النعش طبقاً للعادة اليهودية والشريعة «جمع كبير من المدينة»، ومنظر حزنها مس شغاف قلب ابن الانسان، ووجود الموت قد استدعى قوة ابن الله فلم يتكلم إلا لها فقال لها : « لا تبك» ما قاله للمرأة التى كانت تحزن على قبره غير عالمة أن الموت قد ابتلع إلى غلبة وما يزال يقوله لنا من السماء: «لا تبك» . ولم يأمر الموكب بالوقوف ولكن إذ لمس النعش وقف الذين كانوا يحملون الميت عليه، وكان منظر غريب خارج أبواب نايين فلابد أن الراباى (المعلم) وتلاميذ المسيح انضموا إلى الموكب بكل احترام فأوقفوا الموكب، وكلمة لها سلطانها دفعت أبواب العالم السفلى إلى الخلف فانساب مد الحياة فجلس الميت فى النعش وبدأ يتكلم ويا لها من كلمات عجيبة لم نخبر بها،ولابد أنها كانت كاليقظة الفجائية التى لا تترك على العقل الواعى أى أثر للحلم فلم يكن حديثه عن العالم الآخر بل عن هذا العالم، ولو أنه كان يعرف أنه كان هناك وأن الضوء الباهر فى ذلك العالم جعل ضوء الشمس فى الأرض معتماً بحيث بدت الحياة له مثل الجلوس فى النعش ووجوهها وأصواتها كوجوه وأصوات الجمهور الذى تبعوه إلى الدفن.

وكانوا يتوقفون مراراً وتكراراً على الطريق عندما كان يلقى خطباً قصيرة ثم عند القبر كان يلقى خطبة جنائزية، فإذا كان القبر فى مقبرة عامة كان من الضرورى أن يفصل بين كل نائم مسافة قدم ونصف، وكانت الكهوف أو المقابر المنحوتة فى الصخر تتكون من حجرة خارجية يوضع فيها النعش وكهف داخلى منخفض توضع فيه الأجساد فى وضع أفقى فى مقصورات. وطبقاً للتلمود مساكن الموتى هذه كانت عادة ستة أقدام طولاً وتسعة أقدام عرضاً وعشرة أقدام ارتفاعاً، وفيها كانت مقصورات لثمانية أجساد ثلاثة على كل من جانبى المدخل واثنان مقابلها، والقبور الواسعة

كانت تسع ثلاثة عشر جسداً وكان يوضع على مدخل القبر صخرة كبيرة أو باب (مت ٢٧ : ٦٦، مرقس ١٥ : ٤٦، يو ١١ : ٣٨ - ٣٩) وسوف يشرح لنا تركيب المقابر بعض التفاصيل المتعلقة بدفن سيدنا وكيف أن النساء اللاتى أتين إلى القبر دهشن عندما وجدن الحجر قد دحرج عن باب القبر وعندما دخلن الكهف الخارجى خفن لما رأين شاباً جالساً على الجانب الأيمن لابساً لباساً أبيضاً (مر ١٦ : ٤ - ٥)، وأيضاً يشرح لنا الحوادث كما سجلت تباعاً فى (يو ٢٠ : ١ - ١٢) وكيف أن مريم المجدلية أتت والظلام باق إلى القبر تنتظر النور بكل معانيه ولكنها لما تحسست طريقها شعرت أن الحجر قد دحرج وهربت لتخبر التلاميذ أنهم أخذوا السيد من القبر كما ظنت، ولو كانت علمت أنهم ضبطوا القبر وأن هناك كان الحرس الرومان لأحست وكأن كراهية الانسان كان سيجرد محبتهم حتى من جسد سيدنا المقدس، ومع ذلك خلال كل هذا كانت قلوب التلاميذ تكتنز آمالاً لا يجسرون على أن يصرحوا بها لأنفسهم؛ لأن التلميذين اللذين شاهدا كل أعماله على الأرض رفيقاً عاره وخزيه فى قصر قيافا كانا ينتظران انبلاج الفجر فى المنزل لا عند القبر كما فعلت، «وعند ذلك جريا معاً» ولكن فى ذلك الصباح الذى كان قريباً جداً من ليلة الخيانة والتسليم «سبق التلميذ الآخر بطرس» وكان قد شهد على ضوء الربيع المكبر حجاب السحاب والضباب وظهر ضوء الشمس الأحمر الذهبى على حافة الأفق - وكان البستان ساكناً وحرك هواء الصباح والأشجار التى بدت فى الليل البهيم كمن يحرس الموتى بينما مر يوحنا خلال المدخل الذى فر منه حراسه وكان الحجر الذى دحرج لازال بجواره فلما انحنى ليصل المغارة الداخلة رأى «الأكفان موضوعة» ثم يأتى سمعان بطرس لا لينتظر فى الكهف الخارجى بل ليدخل إلى العمق إلى القبر ليتبعه يوحنا إلى هناك، لأن القبر الفارغ لم يكن مكاناً لينظر إليه بل ليدخله ويؤمن. وكان النهار قد شاهد عجائب كثيرة عجائب جعلت المجدلية تشتاق إلى المزيد - تشتاق لأعجوبة الأعاجيب (السيد نفسه) ولم يخب أملها فإن ذاك الذى يستطيع وحده أن يجيب أسئلتها بالكمال والتمام ويكفكف دموعها تكلم أولاً لتلك التى أحبت كثيراً.

وهكذا أكمل سيدنا له كل البركة وحده بنفسه ما أوصت به الشريعة وما أوصى به التقليد بكل تشديد واهتمام تعزية الحزانى فى ضيقتهم (يع ١ : ٢٧). وفى

الحقيقة يقال فى التقليد أنه كان فى الهيكل باب خاص يدخله الحزانى لكى يؤدى لهم كل من يقابلهم واجب المحبة. وكان هناك عادة تستحق أن يقلدها الجميع وهى أن الحزانى لم يكونوا ليعزيهم الناس بالحديث بل يجب على الجميع التزام الصمت إلى أن يخاطبوهم هم، وبعد ذلك لكى يستبعدوا الملاحظات التى لا معنى لها حدد طقس ذو شكل مخصوص كان قائد الخدمات فى المجمع وأى شخص فى المنزل يبدأ بأن يسأل «أستعلم عن سبب الحزن» وعند ذلك يقول أحد الحاضرين إن أمكن معلم (رابای) : «الله قاض عادل» ومعنى هذا أن الله قد اختار أقرب الأقربين ثم فى المجمع كان يقال صيغة ثابته للتعزية وفى المنزل يلى ذلك تعبيرات رقيقة رخيمة للعزاء.

ويفرق المعلمون (الراباى) بين الأونين Onen (بالهيودية) وبين الأفيل Avel باليهودية، أى بين الحزن أو الألم (وبين المحنى، والذابل) والتعبير الأول ينطبق على اليوم الأول من الجنازة، والثانى على الفترة التى تليه. وكان من المعتقد أن شريعة الله وصفت الحزن لليوم الأول وهو يوم الوفاه والدفن (لا ٢٢ : ٤ - ٦)، أما الفترة الأخرى وهى الأطول فأمر بها الشيوخ فطالما الجسد الميت كان فعلاً فى المنزل كان محرماً أكل اللحم وشرب الخمر ولبس العصائب أو الانشغال بالدراسة، وكان لابد أن يعد الأكل الضرورى فى خارج المنزل وان أمكن لا يؤكل فى حضرة الميت، وفى اليوم الأول تشق الملابس فيشق واحد أو اثنان من الملابس الداخليه، ولكن لا تشق الملابس الخارجية، ويجب أن يكون شق الملابس والانسان واقف ويكون من الأمام ويكون طوله عرض الكف ولا يحاك ثانية فى حالة موت الوالدين، أما فى حالة الآخرين تعاد حياكته بعد ثلاثين يوماً. وعقب خروج الجسد مباشرة تقلب الكراسى والوسائد ويجلس الحزانى (باستثناء السبت والجمعة) لمدة ساعة فقط على الأرض أو على كراسى واطئة وكان هنا فروق مثلثة فالحزن العميق ما كان ليدوم إلا سبعة أيام ثلاثة منها للبكاء وفى مدى هذه الأيام السبعة كان محرماً الاستحمام والتطيب ولبس الحذاء والدراسة والعمل، وبعد ذلك الحزن الخفيف لمدة ثلاثين يوماً. وكان على الأولاد أن يحزنوا على والديهم سنة كاملة وطيلة احدى عشر شهراً (لئلا يفهم أنهم يحتاجون إلى سنة كاملة فى المطهر) أن تتلى صلاة الموتى ولا تتضمن هذه أية وساطة أى شفاعة للمنتقلين ويجب حفظ العيد السنوى للوفاه. ولا يحزنون على المرتد عن

الدين اليهودى وعلى العكس تلبس الملابس البيضاء بمناسبة وفاته وأن يظهروا كل مظاهر الفرح ومن المعروف جيداً إلى أى حد كان يسمح للكاهن ولرؤساء الكهنة أن يحزنوا للميت (لا ٢١ : ١٠ - ١١ و ١ - ٤). وكان من المعتاد أن يقال لرئيس الكهنة يا ليتنا كنا فداءك أو لنتحمل ما كان سيحيق بك وكان يجيب : «لتبارككم السماء» ويلاحظ أن هذه الطريقة فى مخاطبة رئيس الكهنة كان يقصد بها الدلالة على عظم المحبة ويفسر أوتو Otho أنه ربما كان هذا فى فكر الرسول عندما ودَّ أن يكون محروماً من أجل اخوته (رو ٩ : ٣). وعند العودة من الدفن كان الأصدقاء والجيران يعدون وجبة للمشتركين فى الجنازة تحتوى على خبز وبيض مسلوق وعدس وطعام مستدير خشن مستدير كالحياة التى تتدحرج إلى الموت وكان يؤتى بها وتقدم فى أوانى فخارية، ومن الوجهة الأخرى كان أصدقاء المشتركين يشتركون فى وجبة جنائزية كانوا يشربون منها ما لا يزيد عن عشرة كؤوس اثنان منها قبل الوجبه، وخمسة أثناءها، وثلاثة بعدها. وفى الأوقات الحديثة واجب خدمة الإنسان أثناء موته والميت والحزانى يقوم به «أخوة مقدسة» holy brotherhood كما يطلقون عليها ينضم إليها كثيرون من أعظم اليهود تقوى وتديناً إبتغاء عمل تقوى يساعدهم على أدائه.

ونضيف ما يأتى لعله يكون ذا فائدة أنه مسموح صراحة فى السبوت والأعياد أن يتعدى الانسان حدود السبت وأن يؤدى الأعمال الضرورية للميت. وهذا يلقى ضوء شديداً على وصف الانجيليين على الواجبات التى أديت لجسد يسوع فى عشية الفصح، وكانت طقوس الحزن الكبرى توقف فى أيام السبوت وأيام الأعياد وأحد أهم وأقدم السجلات اليهودية سجل الأعياد يذكر عددا من الأيام الأخرى التى يحرم فيها الحزن منها الأعياد السنوية للمناسبات السعيدة. وتحتوى المشناه على عدد من الأنظمة وحدود عوائد الحزن فى الأعياد الكبرى والصغرى لن نقتبسها هنا لأنها ليست ذات أهمية إلا فى مجادلات المعلمين وموت العبيد من الحوادث التى لا يجوز فيها الحزن.

وماذا بعد الموت وفى الدينونة وماذا عما جلب الموت وأكسبه ذلك المعنى المخيف أعنى الخطية والاثم. وقد يكون من العبث ومن المؤلم أيضاً أن نورد بالتفصيل الأقوال المتنافرة للمعلمين (جماعة الراباى) التى لا يتعدى بعض منها على الأقل كونه تفسيرات مجازية. ولن نلخص هنا إلا ما ينفع دارسى العهد الجديد فيعلمنا التلمود Talmud والترجوم Targum أن الجنة والنار خلقتا قبل العالم واقتباس من ترجوم

أورشليم فى تفسير (تك ٣ : ٢٤) لن يثبت ذلك إثباتاً كافياً فحسب بل يرينا التعليم اليهودى العام السائد فى يومنا فنقرأ هناك أنه قبل خلق العالم بمدة ألفى سنة خلق الله الشريعة وجهنم وجنة عدن وصنع جنة عدن للأبرار ليأكلوا من فاكهتها وليسروا أنفسهم فيها لأنهم وهم فى هذا العالم حفظوا أوامر الشريعة. ولكن أعد جهنم للأشرار وهى تشبه سيفاً حاداً ذى حدين، ووضع فيها شرر ونار وفحم متقد ليعاقب الأشرار فى العالم الآتى لأنهم لم يحفظوا وصايا الشريعة وهم فى العالم، لأن الشريعة هى شجرة الحياة وكل من يعمل بها سوف يحيى ويدوم كشجرة الحياة، وكان مفروضاً أن الجنة والنار متقاربين - قيل أن ذلك تعبير مجازى - يفصلهما عرض الكف ولكن مع أننا لا نجد تشابهاً ضئيلاً بين تحديد موقع قصة الغنى ولعازر (لو ١٦ : ٢٥و ٢٦) لا يمكن أن يحكم بالفرق الشاسع بين قصة الانجيل وصور الأدب المعاصر إلا الذين على علم تام بالتفكير اللاهوتى فى ذلك الوقت. وعليك هنا أن تلاحظ الاصحاح الثانى والعشرين من سفر أخنوخ، وكذلك قطع أخرى من كتابات مزيفة ومزورة ومشوهة، وكتابات المعلمين من اليهود (رابای) وزورها وشوهها كُتّاب حديثون لأغراض عدائية ضد المسيحية. ويبدو أن معلمى اليهود كانوا يعتقدون أن هناك سماوات عدة وكان بعضهم يعتقدون فى وجود سبع سموات وسبعة أجزاء للجنة، ومثلها للنار ويبدو أيضاً أنهم أعتقدوا بوجود الأرواح قبل ظهورها على الأرض، وكذلك مبدأ هجرة الأرواح وربما كان ذلك مجازفة وراء دخيلة من مصادر غير يهودية. إلا أن كل هذا مسائل إعدادية خارجية ولا تمس معضلة الروح الانسانية فيما يخص الخطيئة والخلاص إلا بطريق غير مباشر. ولا يمكننا هنا فى هذا المكان إلا أن نقرر أنه كلما ازداد اعتقادنا عمقاً وقوة فى أن لغة العهد الجديد وبيئته وكل جوه كان لغة وبيئة وجو فلسطين فى الأيام التى وطأت أقدام السيد أرضها؛ كلما بدت المقارنة بين مبادئ تعليم المسيح ورسله وبين تعاليم معلمى اليهود غريبة مدهشة.

وعلى وجه العموم يمكننا أن نقول أن تعليم العهد الجديد عن الخطية الأصلية ونتائجها لا تشبه من أى وجه، أو تتقابل مع تعاليم معلمى اليهود فى ذلك الوقت، وفيما يختص بطريقة الخلاص يمكن تلخيص مبدأهم تحت عنوان عمل البر.

وفى هذا الصدد هناك خروج على قواعد المنطق فى التحمس الذى به يصر المعلمون على التوبة العامة المباشرة وضرورة الإعتراف بالخطيئة والاستعداد لعالم آخر. لأن جنة يدخلها الكل باستحقاقاتهم، ويطلبها الكل بالتوبة، وبوسائل مشابهة، أو جنة يمكن الحصول عليها بالمرور فى نوع من المطهر، تتضمن اتهاماً أدبياً كبيراً للدين الذى ينادى به المعلمون. ومع هذا فهذا التنافر والتعارض يمكن قبوله كوسيلة لتقريب المجمع Synagogue من الحق كما ورد فى الكتاب المقدس. وذلك فى اتجاه آخر وفى الواقع أننا نصادف من آن لآخر ما يظهر فى الإنجيل وإن يكن فى شكل آخر. وهكذا كان تعليم سيدنا عن خلود الأبرار متفقاً إتفاقاً معتدلاً مع تعليم الفريسيين، وفى الحقيقة كان الخلاف بينهم أن القديسين المنتقلين أطلق عليهم فى الكتاب الأحباء ولذلك كانت تعاليمهم ـ مع أنهم لم يكونوا ملتزمين به ـ هى تعاليم سيدنا (مت ٢٢ : ٣٠)، فكانوا يعلمون أنه فى العالم الآتى لا يكون أكل أو شرب أو تكاثر (زواج) أو تجارة أو أعمال أو حسد أو بغض أو منازعات، ولكن الأبرار يجلسون وتيجانهم على رؤوسهم يتمتعون ببهاء نور مجد الله (الشاكيناه)shechinah كما هو مكتوب «رأوا الله وأكلوا وشربوا» (خر ٢٤ : ١١). وما يأتى يشبه فى الشكل وإن اختلف فى الروح مع مثل الضيوف المدعوين والذى حضر بدون لباس العرس (مت ٢٢ : ١ - ١٤)، وذاك الذى ستورده بالكامل. فإن الرابای (المعلم) يوحنان بن ساكاى ضرب المثل الآتى : أعد ملك حفل عرس دعا إليه خدامه دون أن يحدد له ميعاداً أما الحكماء فزينوا أنفسهم وجلسوا على باب قصر الملك قائلين هل يكون هناك عرس بدون عمل وفجأة دعا الملك خدامه إلى العرس أما الحكماء فظهروا فى كامل زينتهم وأما الجهلاء فظهروا بمظهر الفقراء والقذرين الحقراء ففرح الملك بالحكماء وغضب على الفقراء وقال : الذين زينوا أنفسهم سوف يجلسون ويأكلون ويشربون ويفرحون أما الآخرون الذين لم يلبسوا لباس العرس فسوف يقفون قريباً ويرون الحفل (أش ٦٥ : ١٣). وفيما يلى مثل شبيه بالسابق بعض الشبه بل أنه أكثر إتفاقاً مع الروح اليهودى فى قالبه التعليمى وإليك المثل يشبه ملكوت السماوات ملكاً أرضياً عهد إلى خدامه بملابسه الملكية، أما الحكماء فطووا الملابس ووضعوها فى الصوان أما المتهاونون المهملون فلبسوها وقاموا بأعمالهم وبعد أيام قليلة طلب الملك رد الملابس، فالحكماء ردوها كما هى نظيفة كيوم إستلموها، والجهلاء أعادوها

كما هى متسخة مهملة. ففرح الملك بالحكماء وغضب على المتهاونين المهملين وقال للحكماء : ردوا الملابس إلى الخزانة واذهبوا إلى بيوتكم فى سلام وأمر المهملين أن يأخذوا الملابس وينظفوها أما هم فأمر أن يطرحوا فى السجن كما كتب عن أجساد الأبرار فى (أش ٥٧ : ٢ ، ١ صم ٢٥ : ٢٩) . وأجساد الأردياء كما فى (أش ٤٨ : ٢٢ ، ٥٧ : ٢١ ، ١ صم ٢٥ : ٢٩) . ومن نفس البحث والرسالة نستطيع أن نقتبس الآتى : قال الرباى أليعازر «تب قبل اليوم الذى تموت فيه» وسأله تلاميذه وهل يستطيع الانسان أن يعرف ساعة موته فأجاب «فليتب اليوم لئلا يحدث أن يموت باكراً» .

وقد يؤدى بنا إقتباسات على هذا الموضوع ومناقشات فى موضوعات لها اتصال بها إلى ما هو أبعد من نطاق هذا الكتاب، ولكن المثل الثانى من المثلين اللذين اقتبستهما يشير إلى اتجاه الاستنتاجات النهائية التى وصلت إليها روح التعاليم اليهودية، فليست كما فى الانجيل الغفران والسلام؛ بل هى العمل مع احتمال المكافأة أما عن ما بعد الموت الجنة والنار، القيام والدينونة، فالآراء تختلف أكثر مما سبق والأفكار أبعد ما يكون عن نصوص الكتاب والوصف خرافى كريه وليس هنا مجال تتبع وجهات نظر تعاليم المعلمين اليهود وترتيبها بسهولة تتبعها فأعمال البر ودراسة الشريعة هى أقوى مفاتيح السماء، وهناك نوع من التطهير الروحى إن لم يكن مطهرى بعد الموت. ويبدو أن البعض كان يعتقد بإفناء الأشرار وإذا درسنا أوسع وجهات نظر المعلمين وأكرمها وأسخاها يمكن تلخيصها كما يأتى: كل اسرائيل له نصيب فى العالم الآتى والأتقياء فى الأمم لهم أيضاً نصيب وإنما الكاملون فى البر وحدهم هم الذين يدخلون الجنة مباشرة، أما الآخرون فيدخلون فترة تطهير وكمال لمدة أقصاها سنة أما الأشرار ومخالفو الشريعة وخاصة المرتدين من الايمان اليهودى والكفرة فلا أمل لهم البتة لا هنا ولا فى العالم الآتى وهذه هى آخر كلمة يقولها المجمع للبشرية .

أما نحن فلا يعلمنا المسيا ملك اليهود هكذا فإذا كنا نعلم هلاكنا فإننا نعلم أيضاً أن ابن الانسان قد أتى ليطلب ويخلص ما قد هلك وأنه يهبنا التبرير مجاناً وأنه «جرح من أجل معاصينا، وسحق من أجل خطايانا وبجلداته شفينا» ، والشريعة التى نطيعها هى ما أودعه قلوبنا الذى صرنا بها هياكل الروح القدس «وقد أشرق علينا

الفجر من الأعالى من خلال رحمة الله ولطفه». ولقد أنار الانجيل الحياة والخلود لأننا نعرف بمن آمنا. «والمحبة الكاملة تطرد الخوف». ولاتظن أن تجربة المرض، أوالحزن، أو الألم، أو المعاناة، أو الموت ليست مرعية من الله؛ «فإنه فى العشاء يحل البكاء، وفى الصباح السرور». وإن دموع ليل الأرض تعلق كنقط ندى على الأزهار والأشجار، ثم تلمع سريعاً كالماسات مع شمس الصباح. وهكذا فى تلك الليلة الفريدة الوحيدة بين الليالى خلط المسيح عرق كد البشرية وأحزانها بدم آلامه الثمين وأسقطها على الأرض بلسماً يشفى جراحاتها ويهدئ أحزانها ويزيل موتها.



تطييب ودفن الميت عند اليهود
وقد إهتم بتكفين المسيح بالأطياب القديسان
نيقوديموس ويوسف الرامي، قبل دفنه في القبر (يوحنا ١٩ : ٣٨ - ٤٠).

الفصل الحادى عشر

آراء يهودية في التجارة. التجار. النقابات التجارية نظرة اليهود إلى الحرف والحرفيين وإتحادات الحرفيين

نقرأ في المشناه ما يأتي قال الراباى مائير : «ليعلم الرجل ابنه حرفة شريفة خفيفة وليصلِّ إلى من له كل الثروة والغنى، لأنه ما من حرفة إلا وفيها الفقر والغنى ولا يأتى الفقر من الحرفة ولا يأتى منها الغنى بل إنما يأتى كل شيء من استحقاقاته». وقال راباى شمعون بن اليعازر: «هل رأيت طيلة حياتك دابة أو طائراً يتخذ مهنة ومع ذلك تجد طعامها وذلك بدون هم أو قلق، فإن كانت هذه التى لم تخلق إلا لتخدمنى تجد ما تأكل، أفلا أنتظر أن أقتات أنا الذى أخدم صانعى بدون هم أو قلق ولا أفقد ما يدعم حياتى إلا إذا كنت شريراً فى أعمالى». وأما جورجان بن زادجان قال : لا يربى أحدكم ابنه ليكون سائق حمير، أو سائق جمال، أو حلاقاً، أو بحاراً، أو راعياً، أو بائع متجول، لأن حرفهم حرف لصوص. وقال راباى يهوذا: «سائقو الحمير أغلبهم أشرار، وسائقو الجمال معظمهم أمناء، والبحارة أغلبهم أمناء، وأحسن الأطباء فلجهنم، وأكثر الجزارين أمانة إنما هم رفقاء عماليق وقال راباى نهوراى: «أنا أترك كل مهنة فى العالم ولا أعلم ابنى الا التوراه لأن الانسان يأكل من ثمارها فى هذا العالم (أى يعيش من أرباحها فى هذا العالم)، أما رأس المال فيبقى للعالم الآتى ولكن ما يتبقى من كل حرفة أو عمل دنيوى ليس كذلك، لأنه إن ساءت صحة الانسان أو وصل إلى الشيخوخة أو وقع فى شدة (عقوبة) فلا يصير قادراً أن يباشر عمله مات جوعاً، ولكن التوراة ليس كذلك لأنها تحفظ الانسان من الشر فى شبابه وفى شيخوخته لا تعطيه الآخرة فحسب والانتظار لها برجاء وماذا تقول التوراة عن الشباب؟ تقول الذين يخدمون الرب يتجددون قوة وماذا عن الشيخوخة وحتى فى الشيخوخة سيخرجون ثماراً. وقيل الآتى عن أبينا إبراهيم وابراهيم كان عجوزاً وبارك يهوه ابراهيم في كل شيء، ولكننا نجد أن أبانا ابراهيم حفظ التوراة كلها الكل حتى ما لم يكن قد أعطى لأنه قيل «لأن ابراهيم قد سمع صوتى وحفظ كل أوامرى ووصاياى وقوانينى وشرائعى».

إذا كان هذا الاقتباس طويلاً فسيثبت أنه من جميع الوجهات جيد للتعليم لأنه لا يقوم لنا مثلاً مناسباً لتعليم المشناة فحسب، فإنها أيضاً تعطينا نظرة فاحصة إلى مبادئ المعلمين وطريقه تفكيرهم ووجهة نظرهم. ومن البداية يذكرنا قول الراباى شمعون الذى قاله بعد قرن تقريباً من الزمن الذى كان فيه سيدنا على الأرض يذكرنا بكلمات السيد ذاتها (متى ٤ : ٢٦) «أنظروا إلى طيور السماء لأنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن لكن أباكم السماوى يقوتها ألستم أفضل منها». وإنها لفكرة سارة مبهجة أن استعار فكرة جيدة ومشاعر سامية فى اسرائيل، وكما يمكن أن يقال تناول الماسه وصقلها وأضفى عليها لمعاناً وبريقاً وهو يعرضها فى ضوء ملكوت الله لأنه فى هذا أيضاً يصح أن السيد لم يأت لينقض بل ليكمل فكل ما حول ميدان خدمته الأرضية كان جواً يهودياً وكل ما هو نقى، وكل ما هو حق، وكل ما هو حسن، فى حياة آلامه وتعاليمها وأقوالها، أعتبره ملكه الخاص فعلى كل صفحة من صفحات الانجيل يصادفنا ما يبدو وكأنه يوقظ أصداء الأصوات اليهودية، أى أقوال تذكرنا بما سمعناه بين حكماء إسرائيل، وكان هذا على وجه الدقة ما كنا ننتظر ومما يؤكد صدق هذه الأقوال كسجل لما حدث ففى الانجيل لا نأتى إلى أماكن غريبة علينا أو نرى شخصيات غريبة عنا أو بيئة غريبة، بل خلاله كله نرى صورة حية للفترة التى فيها نتعرف على شخصيات من الصور التخطيطية التى رسمت لهم فى أماكن أخرى والذى نعرف طريق حديثهم من الأدب المعاصر. فما كان الانجيل بقادر أن يلقى جانباً أو أن يتخلص مما هو يهودى، وإلا لكان غير صادق للفترة أو للناس أو للكتاب أو لقانون النمو والتطور الذى يميز تقدم ملكوت الله، ومن وجهة واحدة كان كل هذا مختلفاً، فالأناجيل كانت يهودية أكثر ما يكون شيئاً ولكنها كانت أبعد ما يكون عن اليهودية روحاً ـ وهو سجل استعلان إبن الله مخلص العالم ملكاً لليهود وذلك بين إسرائيل.

وتأثير البيئة اليهودية على ظروف تاريخ الانجيل له أهمية كبيرة فإنه يساعد على ادراك الحياة اليهودية كما كانت فى وقت المسيح وعلى فهم ما قد يبدو غريباً فى قصة الانجيل والآن لنعود إلى موضوع الفصل فنحن نفهم أن كثيرين من تلاميذ وأتباع إلهنا كان يكسب قوته بحرفة أو صنعة ما، وكيف أنه بهذه الروح ذاتها تنازل السيد إلى مزاولة مهنة أبيه بالتبنى وكيف أن أعظم رسالة كسب قوته بعمل يديه ربما

كالسيد متتبعاً خطوات أبيه. لأنه كان مبدأ شائعاً ينص على أنه بقدر الإستطاعة على الانسان الا يترك صنعة أبيه لا لمجرد اعتبارات دنيوية فحسب؛ بل لأنها من السهل تعلمها في المنزل، وأيضاً من باب احترام الوالدين. وما علمه بولس من هذه الناحية وعظ به، ولم تستعرض كرامة العمل وأيضاً استقلاله ورجولة العمل الشريف بوضوح أكثر مما استعرضها بولس في رسائله ففي كورنثوس يبدو أن أول ما بحث عنه العمل (أع ١٨ : ٣)، وفي كل حياته أبت عليه نفسه أن يستفيد بحقه في أن تعوله الكنيسة معتبراً أن أعظم مكافأة هو أن يجعل انجيل المسيح بلا نفقة (كو ٩ : ١٨). وكما عبّر بلغة قوية خير لي أن أموت من أن يعطل أحد فخرى وهكذا في أفسس قال أن هاتين اليدين لم يخدما حاجياته فقط بل حاجيات الذين معه بسبب إعالة الضعفاء والتشبه بالمسيح إلى مدى بعيد، والدخول في فرحه في «أنه مغبوط العطاء أكثر من الأخذ» (أع ٢٠ : ٣٤ و٣٥) وزد على ذلك أنه مما يفيد قلب الانسان عندما يتصل بتلك الكنيسة التي بدت أنها كانت في أعظم خطر من انصياعها إلى الأحلام ومجرد التأمل والفروض والتصورات الخيالية عن المستقبل. مع ما في ذلك من خطر حقيقي مما يفيد قلب الانسان في مثل هذه الحالة أن يسمع نغمة جادة كلها غيرة وشجاعة ونبل تسود فيها. فها هو الواعظ نفسه يسعى لا كمن يرضى أو يطلب سلطاناً ككل معلم يهودي (راباى)، فأى رجل كان إذن؟.. إليك صورة تخطيطية من حياته في تسالونيكي بحيث أن كل من سبق له معرفته يمكنه التعرف عليها مترفق، كما تربى المرضع أولادها وتغذيهم، ويريد أن يقدم لا انجيل الله فحسب بل نفسه أيضاً لا في فتور أو ضعف ولا في انفعال ورياء بل في حقيقة صارمة. أما الواعظ نفسه فيعمل ليل نهار حتى لا يثقل على أى أحد وهو يكرز لهم بانجيل الله (أفس ٢ : ٩) يعمل ليلاً ونهاراً عملاً شاقاً متواصلاً عملاً لا راحة فيه ولا كلل منه، ولا لذة فيه، عمل يرفضه البعض ويحتقره البعض كعمل علماني. ولكن في هذه التفرقة التعسة التي هي من اختراع السطحية الحديثة الخالية من العمق والحقيقة؛ فلم تكن شيئاً في نفس بولس لأن للروحاني ليس هناك ما هو علماني كما أن للعلماني ليس هنا ما للروحاني كان يعمل ليل نهار ثم بعده الراحة والفرح والمكافأة. كل هذا في أن يكرز للخاص والعام بغنى المسيح البعيد عن الفحص والاستقصاء، المسيح الذى افتداه بدمه الثمين. وهكذا تبدو كرازته، مع أن فكرتها الأساسية ونواتها وموضوعها الأساسى

وقوتها وخلاصتها، وأنقى وأكمل ما فيها المجيئ الثانى للرب، لم يقصد بها أن تجعل من سامعيها حالمين يرتؤون رؤىً، يناقشون النقط المعقدة ورؤى المستقبل تاركين الواجبات الحاضرة دون اهتمام وكأنها دونهم لا تستحق الأداء أو على مستوى أدنى، وفى (١ تس ٤ : ١١و١٢) التى فيها يحذرنا ويجنبنا الإعتماد على البر الذاتى، بل نمارس أمور حياتنا كلها بنبل وتكريس للمسيح، كله نكران للنفس إذ يقول : (احرصوا على أن تكونوا هادئين وتمارسوا أموركم الخاصة بأيديكم أنتم (أى كل لنفسه غير متداخلين فى شئون الآخرين) وتشتغلوا بأيديكم أنتم. كما أوصيناكم لكى تسلكوا بلياقة عند الذين هم من خارج. ولا تكون لكم حاجة إلى أحد» (أى لتكونوا مستقلين عن كل الناس) ومما له معناه وأهميته أن هذه الديانة البسيطة العملية تسير جنباً إلى جنب مع الرجاء فى القيامة من الأموات وفى المجيء الثانى لربنا (١ تس ٤ : ١٣ – ١٨) ويرد ثانية نفس التحذير والنصيحة أن يعملوا ويأكلوا خبزهم فى الرسالة الثانية لأهل تسالونيكى، مذكراً إياهم أن يتبعوا خطواته وبوصيته عندما كان معهم «ان كان أحد لا يعمل فلا يجب أن يأكل». وفى نفس الوقت يعنف تعنيفاً شديداً الذين لا يسيرون بلياقة الذين لا يعملون ولكن متداخلين فى شئون غيرهم ويعملون شراً.

والآن إننا لا نّدعى أننا نجد شبيهاً للقديس بولس حتى بين خير وأفضل وأنبل المعلمين اليهود، ومع ذلك كان شاول الطرسوسى يهودياً وتعلم تحت أقدام غمالائيل العظيم (شمس اسرائيل). ولكنه متشبع بالروح اليهودية وبالتاريخ اليهودى تشبعاً يجعلنا ونحن نقرأ ما كتبه عن أعمق أسرار المسيحية نجد هنا وهناك ما يذكرنا بأسبق سجل للمبادئ اليهودية السرية التى لم يؤتمن عليها إلا النخبة النادرة من الحكماء المختارين. ونفس ما اتصف به القديس بولس معه محبة العمل الشريف وروح الاستقلال والاعتماد وعلى النفس. وكراهية الاتجار بالشريعة والعمل بها للحصول على المجد العالمى وكحرفة ومهنة. كل هذا كان ما امتاز به أيضاً أحسن المعلمين. وان مشاعر اسرائيل كانت تختلف عن مشاعر الأمم بقدر اختلاف أهدافهم فى الحياة. أن فلاسفة الاغريق وروما نظروا إلى العمل اليدوى نظرتهم إلى أى شيء حقير يحط من قدر صاحبه، لا بل عمل لا يتفق مع ممارسة الفرد لحقوقه كمواطن حتى أن أولئك الذين قبلوا الرشوة مقابل أصواتهم فى الانتخابات والذين كانوا يتوقعون أن تعولهم الدولة فى الحقيقة والواقع على نفقتها الخاصة ما كانوا يقبلون أو يرتضون أن يتدنسوا

بالعمل اليدوى، أما اليهود فكان لهم هدف آخر فى الحياة. ومن الصعب أن نعطى فكرة واضحة عن المتناقضات التى جمعوا بينها فكان فيهم مثلاً الارستقراطيون الانعزاليون الذين يحتقرون الصرخات الشعبية، وكان فيهم أعظم الناس ديمقراطية وتحرراً، وكان فيهم من يجمع بين التمسك بالشريعة وأعمق الاحترام للسلطة وأصحاب الطبقات العليا. ومع كل هذا يسود فيهم الاعتقاد الداخلى الوطيد أن كل اسرائيل أخوه؛ وهم لذلك يقفون كلهم على نفس المستوى بالدقة وما نشأت الفروق النهائية إلا من فشل الجماهير فى تحقيق دعوة اسرائيل الحقيقية، وكيف يصلون إليها أى التمسك العملى والنظرى والتعهد بدعمه والدفاع عنه والارتباط به وكل ما عدا هذا ثانوى وليس له أهمية.

ولكن الجمع بين العمل اليدوى الشريف وبين الدراسة لم يكن له نفس المنزلة دائماً فى إسرائيل. وفى هذا الصدد نميز ثلاث فترات أولاً اعترفت شريعة موسى بإحترام العمل وظهرت روح العهد القديم هذه فى أحسن أوقات الأمة، وسفر الأمثال الذى يحتوى على كثير من صور المنازل المغبوطة المقدسة ملىء، يمدح العمل المنزلى بكل جد وإجتهاد. ولكن الأسفار المحذوفة وخاصة سفر الحكمة لابن سيراخ (بن سيراخ ٣٨ : ٢٤ - ٣١) يضرب على وتر مختلف تماماً فبعد أن يحلل العمل فى كل حرفة يعقب بسؤال له تحقير واحتقار وهو كيف يمكن لمثل هذا أن يحصل على الحكمة؟ (ومن أين تأتى له الحكمة) وسفر يشوع بين سيراخ هذا يرجع إلى قرنين قبل العصر الحالى (العصر المسيحى) وما كان من الممكن فى وقت المسيح أو بعده أن يكتب عن النجار أو عن رئيس عمال، عن صانعى الأختام، وعن الحداد، وعن الخزاف الفخورى، أو أن يقال عنهم من يطلبوا للمشورة العامة ولا يدخلون الجماعة ولا يجلسون على كراسى القضاء ولا يشرحونَ الحكم ولا يضربون الأمثال (حكمة يشوع بين سيراخ ٣٨ : ٢٤ - ٣٣). لأنه فى الواقع باستثناء عدد قليل كل السلطات القيادية بين المعلمين (الراباى) مارسوا حرفة أو أخرى إلى أن أصبح أخيراً الاشتغال فى أى عمل جسمانى صعب مجرد تظاهر، كأن يحمل راباى (معلم) مقعده الخاص كل يوم إلى مدرسة، أو يجر عوارض خشبية، أو أن يقوم بعمل كهذا بدون أن نثقل هذه الصفحات بأسماء كثيرة يجب أن نذكر مثلاً يدل على التطرف والمغالاة: أنه حدث مرة أن واحداً استدعى من قطع الأخشاب ليشغل مركز رئيس الكهنة، وبكل تأكيد كان هذا فى أزمنة ثورية فرؤساء الكهنة أثناء حكم أسرة هيردوس كانوا من طبقة مختلفة وتاريخهم دون تأثير

على حالة الأمة ومصيرها. ومع ذلك هلليل العظيم كان محتطباً ومنافسه شماى نجاراً. وكان من بين المعلمين المشهورين بعدهم، صانعو أحذية، وصانعو ملابس، ونجارون، وصناع أحذية ذات سيور، وحدادون، وصانعو أوانى وبناؤن، وبالاختصار مختلف الحرف ولم يخجلوا من العمل اليدوى. ولذلك يحكى عن أحدهم أنه اعتاد أن يتحدث إلى تلاميذه من قمة برميل من صنعه هو كان يحمله إلى المدرسة.

ولا ندهش لهذا لأنه كان مبدأ متعارفاً بين المعلمين Rabbinical أن من لم يعلم ابنه حرفة إنما يجعل منه قاطع طريق. وتأمل ما يعطينا المدراش Midrash فى تفسير الجامعة (٩ : ٩) التى تقول «لتعيش مع المرأة التى أحببتها» قالوا ابحث عن مهنة تسير مع الدراسات الإلهية التى تحبها. وقول آخر ما أعظم ما يقدّر صانع العالم المهن والصناعات. وهناك بعض أقوال أخرى ما من مهنة إلا ويزينها الله بالجمال. وأيضاً وإن يكن هناك سبع سنين مجاعة فلن تمر هذه بباب محترف. وأيضاً ما من حرفة إلا وتجمع بين الفقر والغنى لأنه ليس أفقر وليس أغنى من الحرفة. وأيضاً لن تختفى الحرف من العالم. وأيضاً طوبى لمن أتى به معلم إلى حرفة جيدة صالحة، واسفاه على من وضع فى حرفة رديئة شريرة. وربما كانت هذه أقوال متأخرة ولكن لنرجع إلى المشناه ذاتها وخاصة للجزء الذى يجسد بصراحة حكمة وأقوال الاباء (ويسمى باليهودية آبوت Aboth) قال شماياه معلم هلليل هذا القول بما فيه من نقد لاذع ربما كانت نتيجة خبرته «أحب العمل وأكره الانتساب إلى تعليم الراباى». «ولا تسرع فى جذب انتباه أصحاب السلطان» ولقد ذكرنا نظرة هلليل نفسه فى فصل سابق، والراباى غمالائيل (ابن يهوذا الناصى) قال : «جميلة دراسة الشريعة لو صحبتها حرفة دنيوية، لأن فى العمل بهما معاً ابتعاداً عن الاثم والخطيئة أما الدراسة التى لا تجمع معها العمل سوف تتوقف ولا تجلب معها إلا الاثم». ويقول راباى اليعازر بن عزريا من بين أقواله حيث لا دعامة دنيوية (العجين والدقيق) فلا وجود لدراسة الشريعة وحيث لا دراسة شريعة فأى دعامة دنيوية لا فائدة منها». ومما له قيمته أن نورد هنا ما يلى ذلك القول فى المشناه مباشرة لأن تشابهه بمثل الصخر والبيت المبنى عليها كما استعمله سيدنا (متى ٧ : ٢٤، لو ٦ : ٤٧) تشابه غريب يدعونا إلى اقتباسه لشرح الملاحظات السابقة على الموضوع، ماذا يشبه من تزيد معرفته عن أعماله وبماذا أشبهه، يشبه شجرة كثرت فروعها وقلت أصولها وجذورها فقامت

الرياح واقتلعت الشجرة على حد تعبير البعض (أر ١٧ : ٦). أما الذى تزيد أعماله على معرفته فماذا يشبه أشبهه بشجرة فروعها قليلة وأصولها كثيرة وحتى إذا هبت الرياح التى فى العالم فلا يمكنها أن تحرك هذه الشجرة من مكانها كما هو مكتوب (أر ١٧ : ٨). لقد أوردنا المثل فى شكله الأول ومع ذلك يجب أن نتذكر أن تاريخه يرجع إلى ما بعد خراب أورشليم. وورد فى شكل آخر فى التلمود البابلى ولكن مما هو جدير بالملاحظة هو أنه ظهر فى كتاب آخر وفى شكل يتطابق تمام التطابق مع الشكل الذى ورد فى العهد الجديد. لا بل إن التشبيه بالبناء ورد أيضاً وفى هذا الشكل ينسب إلى راباى (معلم) دفع بالارتداد وكمثل للمرتدين، ولذلك مات محروماً. ويبدو أن الاجتهاد كان فى هذه القضية أنه إذا لم يكن قد اعترف بالمسيحية فى أى شكل من أشكالها فلقد استمد هذا القول من معاشرته مع المسيحيين. ولكن لنتجاوز عن هذا ولنلاحظ أن هناك شيئين واضحين عند مقارنة القول كما ورد فى أقوال المعلمين (الرابى) وكما ورد فى الانجيل أولاً إن المثل كما ضربه سيدنا يشير فيه كل شيء إليه هو والفرق الروحى يعتمد نهائياً عن علاقتنا به. والمقارنة ليست بين سعة الدراسة وقلة العمل أو قلة المعارف التلمودية وكثرة العمل، ولكن بين المجيء إليه وسماع أقواله ثم بعد ذلك العمل وغير العمل بما فى تعاليمه. ثانياً لا تقدم المسيحية بدائل كما فى الحالة الأولى معرفة كثيرة وعمل قليل وكما فى الحالة الثانية معرفة قليلة وعمل كثير، ولكن فى المسيحية الفرق الحيوى هو بين العمل وعدم العمل، بين الحياة إطلاقاً، والموت إطلاقاً وكلاهما يعتمد على أما أن يكون الانسان حفر حتى وصل إلى الأساس الحقيقى وبنى على الصخر الذى هو المسيح أو حاول أن يقيم جدران حياته بدون أساس. وعلى ذلك نفس تشابه القول فى شكله الذى صاغه فيه الرابى يبين فى غاية الوضوح الاختلاف الروحى والتضاد فى الروح بين روح التعاليم اليهودية حتى فى أنقى صورها وتعاليم سيدنا.

السؤال عن العلاقة بين أحسن تعاليم الحكماء اليهود وبين بعض أقوال سيدنا لها من الأهمية العملية ما يجعل الاستطراد الآتى فى مكانه، فقد يكون ذكر عدد قليل آخر من الاقتباسات عن احترام وإكرامه مناسباً. ففى التلمود هناك هجاداه Haggadah جميل (ميمر أو فصل من السنكسار يقرأ فى ليلة البصخة) وهو من التقليد اليهودى يخبر كيف أن آدم لما سمع الجملة الآتية من صانعه «شوكاً وحسكاً تنبت لك»

إنخرط فى بكاء عميق مُرٌّ فصرخ قائلاً: «يا إله العالم كله هل حكم على أن آكل من مزود مع الجحش؟. ولكنه لما سمع بقية الكلمات «بعرق جبينك تأكل خبزك» تعزّى قلبه، وهنا كما فسر جماعة المعلمين (رابای) كرامة العمل، فالانسان لا يجبر على العمل كما أنه يعى عمله، ولكنه فى خدمته للأرض يكسب منها ثمار الحصاد الذهبى الثمين. وهكذا حتى لو كان العمل شاقاً ونتيجته غير مؤكدة مضمونة كما حدث لما وقفت اسرائيل على شواطىء البحر الأحمر فإن معجزة تشق المياه أيضاً. ومع ذلك فكرامة العمل عظيمة فى ذاتها فالعمل يعكس الشرف ويطعم من يقوم به وينميه ويربيه ولذلك فإن الشريعة تعاقب سارق الثور بتغريمه خمسة أضعاف أما سارق الخروف فأربعة أضعاف لأن بالثور يعمل الانسان.

وبكل تأكيد كان القديس بولس يتكلم كيهودى عندما أهاب بأهل أفسس (أف ٤ : ٢٨) قائلاً «لا يسرق السارق فيما بعد بل بالحرى يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطى من له احتياج». ومن أقوال المعلمين اليهود: «أعمل فى السبت ولا تكن عالة على غيرك، ومنها اسلخ حيوانات ميتة بجانب الطريق وخذ أجراً عن ذلك ولا تقل أنا كاهن أنا أنتمى إلى طبقة متميزة والعمل مكرهة عندى» ولازال المثل الآتى شائعاً بين اليهود «العمل ليس عاراً (شيرباه cherpah باليهودية). العمل بركة (ميلاكه ببراكة melachah, berachah باليهودية).

أما وقد عرفنا كل وجهات النظر يمكننا أن نفهم كيف كان فى أيام سيدنا صناعات عامة تحتاج إلى جهد. ولو أنه مما لا شك فيه كما يقول سائر المعلمين (الرابای) أن كل فرد يقدر قيمة حرفته؛ إلا أن الرأى العام يضع قيماً مختلفة للحرف المختلفة فكافة الناس يتجنبون الاشتغال ببعض الحرف لأنها مرتبطة بأشياء كريهة غير سارة كصنعة دابغى الجلود والصباغين وعمال المناجم. فالمشناه يقرر المبدأ الآتى لا يعلمن أحداً ابنه مهنة تحتاج إلى الاختلاط الدائم بالجنس الآخر (النساء)وتشمل هذه فيما تشمل صناعة الجواهر، والرحى، والعطور، والنسيج، ويبدو أن حرفة النسيج هذه تعرضت لمتاعب كثيرة بقدر ما يتعرض له فى أيامنا هذه العاملون مع السيدات اللاتى يبتعن الأزياء الحديثة وقال قائل: «إن النساج يجب أن يكون وضيعاً ذليلاً وإلا قصر حياته بالطرد من الجماعة». «أى أنه يجب عليه أن يقبل كل شىء للحصول على قوته أو كما قال المثل العام: «إن لم يكن وضيعاً تنقص حياته عاماً». وهذا

القول الأخير وهو كالمثل الأول يذكرنا بتقدير الاسكتلانديين للنساجين أو بالأحرى باحتقارهم فيقولون حتى النساج سيد فى بيته، وهذا ليس صحيحاً فقط فى نظر نفسه بل أيضاً فى نظر زوجته لأن المثل السائد بين المعلمين يقول: «حتى ولو كان رجلاً ممشطاً للصوف سوف تستقبله زوجته عند الباب وتجلس معه فهى تعتز به وتفخر به، وربما كان جمهرة المعلمين (الرابى) يرون فى اعتداد المرأة برجلها هو مما طبعت عليه من اعتدادها بنفسها لأنهم يقولون أيضاً: «ولو أن رجلاً كان فى حجم نملة لحاولت امرأته أن تجلس مع الكبار».

وعلى وجه العموم يضم التلمود بين صفحاته الآراء السليمة الآتية :

الراباى فى يابن قال : ما أنا إلا كائن كجارى هو يعمل فى الحقل وأنا أعمل فى المدينة، وكلانا يبكر إلى عمله وليس هناك ما يدعو إلى أن أحداً يعتبر نفسه أعلى من الآخر ،ولا نظن أن الواحد يعمل أكثر من الآخر لأننا تعلمنا أن هناك فضلاً فى عمل ما هو صغير كما فى عمل ما هو عظيم مادامت قلوبنا صالحة. ويروى أن عاملاً ممن كانوا يحفرون خزانات المياه ويقيمون الحمامات (للتطهير) ابتدر الراباى يوحنان بقوله: أننى رجل عظيم مثلك. لأنه فى نطاق عمله خدم حاجيات المجتمع قدر ما خدمه أعلم معلم فى اسرائيل. وبنفس الروح أوصى راباى آخر أن يراعى الانسان صوت ضميره بمنتهى الشدة والأمانة، لأن كل عمل مهما كان حقيراً هو فى الحقيقة عمل الله ذاته ولا يمكن أن يكون هناك شك فى أن اليهودى الذى أدى عمله بهذه الروح كان سعيداً وماهراً.

ولابد أنه كان امتيازاً عظيماً أن يقوم الانسان بأى عمل له علاقة بالهيكل وكانوا يحتفظون بعدد كبير من العمال يُعِدُّون كل ما هو ضرورى للخدمة وربما كان من غيرة أورشليم من الاسكندريين ما أوحى بما ذكره جماعة المعلمين (الراباى) فى تقاليدهم. ومن ذلك ان الاسكندريين حاولوا أن يخلطوا البخور للهيكل فلم يصعد دخان البخور فى خط مستقيم وذلك عندما أصلحوا الهاون الذى كان يسحق فيه البخور. وهكذا ما حدث فى حالة الصنج الكبير الذى كان يستعمل عند بدء موسيقى الهيكل. وفى كلا الحالين اضطر عمال أورشليم أن يستغنوا عن عملهم لينتجوا الخليط الصحيح، وليخرجوا الأصوات الرقيقة السابقة .ولا يمكن أن يكون هناك شك

مع ذلك أنه رغماً من تحيز الفلسطينيين وتعصبهم أنه كان هناك عمال يهود مهرة في الاسكندرية. بل ومثل هؤلاء عدد كبير كما نعلم من تنظيم اتحادات عمال في المجامع الكبيرة وما كان على أى عامل فقير إلا أن يقدم طلباً إلى اتحاد الحرفة التى ينتمى إليها لكى يعال حتى يجد عملاً. وكان لعمال النحاس هناك كما نعلم رداء من الجلد خاصاً بهم وعندما كانوا يذهبون إلى الخارج كانوا يحملون سريراً يمكن تفكيكه.وفى أورشليم لما تم تنظيم مثل هذا الاتحاد برئاسة رابان (باليهودية) أى رئيس كان لهم مجمع synagogue، ومدفن خاص بهم. ولكن العمال الفلسطينيين مع أنهم كانوا يحتفظون بعضهم ببعض لم يكن لهم اتحادات خاصة بهم فكان سائداً بينهم ما يمكن أن يسمى مبدأ «المهنة الحرة». وكانت الشوارع والأسواق تسمى بأسمائهم واشتهر صناع أورشليم خاصة بمهارتهم الفنية ولقد شغل واد بأكمله بمصانع الألبان ولذا سمى بوادى صانعى الجبن. وحتى فى سفر أشعياء (٧ : ٣) نقرأ عن حقل القصار الذى كان يقع فى طرف قناة البركة العليا فى السكة إلى يافا. ولقد حددوا فى التلمود صراحة مجموعة كاملة لمجموعة من الأقوال باسم أمثال القصار.

ولقد دعا حب أمراء أسرة هيرودس للبناء والعظمة أن يبقوا كثيراً من الحرفيين فى عمل دائم فكان يعمل فى إعادة بناء الهيكل أكثر من ثمان عشر ألفا فى صناعات يدوية مختلفة تتطلب مهارة فنية عالية ،ويقال أن هيرودس الكبير قبل ذلك استخدم عدداً كبيراً من رؤساء العمال ذوى الخبرة الممتازة ليعلموا الألف كاهن الذى كان عليهم أن يبنوا المكان المقدس ذاته لأنه لم يعمل فى بناء هذا الجزء من الهيكل أى علمانى، وكما نعلم لم يستعمل مطرقة أو فأس أو ازميل أو أية أداه حديدية داخل الأماكن المقدسة. ويشرح المشناه كيف أن كل الأحجار قطعت من الأرض العذراء دون أن يستعمل فى اعدادها أى أداة حديدية، ويذكر السبب فيما يلى «خلق الحديد ليقصر حياة الانسان أما المذبح فليطيلها ولذا ليس من المناسب أن يستعمل ما يقصر فيما يطول». وسوف يكون الذين يعرفون فخامة وعظمة البيت المقدس أقدر من يحكموا بمقدار المهارة الفنية التى تطلبتها اقامة أجزائه المختلفة. وقد يكون المثل الواحد الذى سنذكره هاماً بسبب علاقته بأقدس حقيقة فى تاريخ العهد الجديد فلقد قال الراباى شمعون بن غمالائيل: باسم شمعون ابن ساجان (مساعد

رئيس الكهنة) أن حجاب قدس الأقداس كان سمكه عرض اليد منسوج من اثنتين وسبعين جديلة تحتوى كل واحدة منها من أربعة وعشرين خيطاً (حيث كما ورد فى التلمود ستة خيوط من كل لون من ألوان الهيكل الأبيض، والقرمز، والأزرق، والاسمانجونى، وكان طوله أربعين ذراعاً وعرضه عشرين ذراعاً أى ستين قدماً طولاً، وعشرين قدماً عرضاً، ومصنوع من أربع وثمانين ربوة (المعنى هنا غير واضح فى المشناه). وكان يصنع حجابان كل عام واحتاج إلى ثلثمائة كاهن لكى يغمروها قبل استعماله. وتنحصر أهمية هذه الحقائق فى أنها تساعدنا فى ادراك كيف انشق حجاب الهيكل لما مات إله هذا الهيكل على الصليب وأيضاً كيف أمكن اخفاء هذا الحدث فعلاً من عامة الشعب.

ولنتحول إلى موضوع آخر مختلف تماماً فمن الغريب أن نلاحظ أن الأزمنة والظروف لم تتغير فى كثير من الوجوه ،لأنه يبدو أن أصحاب العمل اليهود واجهوا مع عمالهم نفس ما يشكو كثيرون منه فى أيامنا. فكثيراً ما يوجه إلينا تحذيرات من الأمور الآتية من أن نأكل خبزاً نظيفاً ونقدم خبزاً أسود للعمال أو للخدم أو من أن ننام على الريش ونقدم لهم حشيات من القش، وخاصةعندما يشتركون معنا فى الدين، لأنه يضاف إلى التحذيرات إن الذى يحصل على عبد يهودى يحصل على سيده. ومن المحتمل أنه كان فى عقل القديس بولس شىء من هذا المعنى عندما كتب هذا التعليم والمبدأ (١ تى ٦ : ١و٢) «جميع الذين هم تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل اكرام لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه والذين هم سادة مؤمنون لا يستيهنون بهم لأنهم أخوة بل ليخدموهم أكثر لأن الذين يتشاركون فى الفائدة هم مؤمنون ومحبوبون». ولكن حقاً ليس جديد تحت الشمس فهناك جانب من شروط الضمان المشترك فى اتحادات أصحاب البغال والبحارة الذين تعهدوا بالتعويض عن دابة أو مركب هلكت ليس بإهمال صاحبها. ويمكننا أن نتبع روح اتحادات المهن فى التصريح السريع لرجال المهن فى أن يشتركوا فى العمل يوم أو يومين فقط فى الأسبوع ليهيئوا عملاً لكل عامل فى المكان. ونختتم هذا الفصل بإقتباس آخر فى نفس الاتجاه لكى يفيدنا فى فهم طريقة جماعة المعلمين فى التعليق على كلمات الكتاب هو «لا يفعل شراً بقريبه» تشير هذه الآية إلى مهنى لا يتدخل فى مهنة آخر.

الفصل الثانى عشر
التجـــارة

لقد لاحظنا أن وجهة نظر من لهم السلطان من اليهود تغيرت تغيراً كبيراً، فلم يعودوا يحتقرون العمل اليدوى بل تظاهروا بممارسته طلباً للمجد والكرامة. فهل يمكن أن يكون هذا التغيير نزوة وهمية لأحد الأهواء غير المحسوبة وغير المضبوطة. وإذ لا نكتشف أى باعث دينى يدفع إليه لا نستطيع إلا أن ننسبه إلى الظروف السياسية والاجتماعية المتغيرة. فطالما كان الشعب مستقلاً على الأقل اسمياً ويمتلك أرضه كان الارتباط الدائم بحرفة ومزاولتها دلالة على مرحلة اجتماعية دنيا. ويتضمن الاهتمام الارادى أو الحتمى للأشياء التى فى العالم التى تزول بالاستعمال وكان الأمر على خلاف ذلك عندما كانت اليهودية فى أيدى الغرباء، وحينئذ كان العمل الشريف هو الوسيلة والوسيلة الوحيدة للاستقلال والشهامة والرجولة. وكان الارتباط ارتباطاً يكفل للانسان أن «لا يكون له حاجة إلى أحد» وأن يكون قادراً على أن يرفع رأسه أمام الصديق والعدو، وأن يقدم لله الذبائح بتعاقبها الطبيعى، وقوته، ووقته، لكى يستطيع أن يكرس نفسه بمحض ارادته لدراسة الشريعة الإلهية كل هذا كان قراراً وعزماً كله نبل وشهامة وكان له جزاؤه فمن ناحية شعروا بأن تغيير العمل الجسمانى والعقلى كان تغييراً صحيحاً ومن ناحية أخرى ـ وكان هذا هو الغرض الأساسى المقصود ـ لم يكن فى أى وقت مضى رجالاً أجرأ قولاً وأقل اعتداداً بالشخصية أو بالنتائج وأكثر إستقلالاً فى التفكير والكلام من هؤلاء المعلمين (الرابى). والآن يمكننا أن نفهم الازدراء القاتل الذى يشعر به القديس يهوذا (يه ١٦) من ناحية أولئك الذين يعجبون بأشخاص الرجال وحرفياً «يحابون بالوجوه» وهو اصطلاح ترجم فى الترجمة السبعينية (LXX) الأخذ بالوجوه واحترام وجه الكبير ومحاباة الوجوه ورفع وجه الشرير كما ذكر فى (لا ١٩ : ١٥، تث ١٠ : ١٧، ١ يو ١٣ : ١٠، أم ١٨ : ٥) ومقطوعات أخرى كثيرة ومن هذا الاعتبار تكلم القديس بولس كيهودى حقيقى عندما كتب فى (غلا ٢ : ٦) «وأما المعتبرون أنهم شيئاً مهماً كانوا لا فرق عندى.

الله لا يأخذ بوجه إنسان».

ولا تتحدث المشناه كثيراً عن كيفية حدوث التغيير فى الرأى العام الذى أشرنا إليه ولكن هناك كثيراً من التلميحات فى جمل قصيرة لاذعة لا يمكن تفسيرها إلا إذا قرأت فى ضوء تاريخ ذلك الزمن وهكذا كما ذكرنا فى فصل سابق نصح الراباى شيمايا shemaajah : «حب العمل وأكره عمل الراباى ولا تسع إلى جذب التفات من هم فى السلطة». كما حذر افتاليون Avtalion الحكماء أن يكونوا حريصين فى أقوالهم خوفاً من أن يسببوا النفى لأنفسهم ولأتباعهم. وعبر الراباى غمالائيل (الثانى) عن ذلك بقوله :«كن حريصاً حذراً مع القوات الكائنة فإنهم يتعاملون مع شخص لصالحهم، فهم يكونون كأنهم يحبونك عندما يكون ذلك لصالحهم ولكن فى وقت الشدة لا يقفون بجانبك». وفى قائمة هذه الأقوال نورد هنا قول الراباى ماتتيا Matithja : «استقبل كل واحد بتحية السلام وخير لك أن تكون ذيل الأسود من أن تكون الرأس للثعالب». ولا حاجة بنا إلى الاكثار من هذه الاقتباسات التى تعبر عن شهوة شريرة للاستقلال الشريف الكريم من خلال الجهد الذاتى.

وكانت نظرة المعلمين إلى التجارة مختلفة عن نظرتهم إلى الحرف والصناعات كما سنرى فيما يلى مباشرة. وفى الحقيقة إن التبنى العام للتجارة والأعمال الذى كان موضوع سخرية اسرائيل يساير حالة اجتماعية أخرى وضرورة اجتماعية قاسية إذ لما تشتت اسرائيل جماعات، ومئات، وآلاف، وأقلية مغلوبة ضعيفة لا وطن لها بائسة بين شعوب الأرض منبوذين منسحقين تحت رحمة الأهواء الشعبية لم يكن طريقاً مفتوحاً أمامهم إلا أن يطرقوا أبواب التجارة، وحتى إذا كانت مواهب اليهود كانت تهيؤهم لمزاولة حرف الأممين فهل كانت الحياة العامة تفتح أمامهم ولن نقول على قدم المساواة ولكن على أى مستوى. وهل كان الصناع اليهود يستطيعون أن ينافسوا من حولهم حتى لو نزلوا عنهم خطوة إلا فى الصناعات التى كانت تعتبر صناعاتهم الخاصة. أو هل كان يسمح لهم بالتطوع وفضلاً عن هذا كان يلزمهم للدفاع عن نفسهم أو عن وجودهم أن يحصلوا على مراكز سامية تتمتع بالنفوذ ولا يمكن أن يحصلوا على ذلك إلا بالثروة والطريق الوحيد لذلك كان التجارة.

ولا شك فى أن المقاصد الإلهية لم تقصد بأن يكون اسرائيل شعباً تجارياً. فكان من المقرر أن القيود على الاختلاط بين اليهود والأمم التى تفرضها الشريعة الموسوية كانت كافية لمنع هذا. ثم كان القانون ضد أخذ الربا عن القروض (لا ٢٥ : ٣٦، ٣٧) التى جعلت التبادلات التجارية مستحيلة بالرغم من تخفيف وطأتها على الذين عاشوا خارج حدود فلسطين (تث ٢٣ : ٢٠). ثم إن شريعة السنة السابعة وسنة اليوبيل لابد أنهما كانا يفرضان البوار على التجارة. وحقيقة أن كان لها شواطئ كافية مهما كانت الامكانيات الطبيعية لمرافئها إلا أن كل الشاطئ بمرافئه فى يافا، ويامنا، وغزه، وعكا أى بتولومايس، بقيت فى يد الفلسطينيين والفينيقيين ماعدا فترات قصيرة. وحتى عندما بنى هيرودس الكبير ميناء قيصرية العظيم لم يستعملها إلا الأجانب وكل تاريخ اسرائيل فى فلسطين يشهد بذلك ولا نجد ما يمكن أن يقال عنه (اسرائيل) أنه انشغال فى مشاريع تجارية إلا فى أيام سليمان وبالاشارة إلى «تجار الملك» (١ مل ١٠ :٢٨ و ٢٩) الذين استوردوا خيولاً وخيوط كتان أعتبر كؤشر إلى وجود شركة تجارية ملكية أو احتكار ملكى ويمكننا أن نستنتج أن سليمان كان المناصر الوحيد للحماية التجارية فطبقاً لما ورد فى (١ مل ١٠ : ١٥) فرضت ضرائب حركة على تجار الجملة وتجار التجزئة مما يدل على أنها مورد دخل من «التجار» ومن «تجارة التجار» ويشير اشتقاق كل من الكلمتين إلى التمييز بين تجارة الجملة وتجارة التجزئة. ويمكننا أن نلاحظ أنه فضلاً عن المكوس والجزية على الملوك تحت حمايته (١ مل ٩ :١٥) يقال أن دخل سليمان بلغ على أية حالة فى سنة واحدة ما بين مليونين وثلاثة ملايين استرلينى وقد يكون جزء من ذلك من تجارة الملك الخارجية لأننا فوق (١ مل ٩ :٢٦، ٢ أى ٨ :١٧) أن الملك بنى اسطولاً تجارياً فى عصيون جابر على البحر الأحمر الميناء التى كان داود قد استولى عليها واتجر هذا الأسطول مع أوفير بصحبة الفينيقيين. ولكن لما كانت ميول الملك سليمان كانت متعارضة مع المقاصد الإلهية لم تدم طويلاً ومحاولة الملك يهوشافاط بعد ذلك لاستحياء التجارة الداخلية فشلت فشلاً عظيماً لأن السفن تحطمت عند عصيون جابر (١ مل ٢٢ : ٤٨، ٢ أى ٢٠ : ٣٦ و ٣٧) وبعدها عادت ميناء عصيون جابر إلى أيدى أدوم (٢ مل ٨ : ٢٠).

وبهذه ينتهى تاريخ التجارة اليهودية فى فلسطين كما ورد فى التوراة. ولكن اشارتنا إلى ما يمكن أن يسمى الدلائل لمزاولة التجارة تأتى بنا إلى موضوع وإن يكن صراحة خروجاً عن الموضوع يتطلب منا أن نسمعه لأهميته فإن أكثر الناس سطحية فى الحوار اللاهوتى الحديث يعلمون جيداً أن طائفة خاصة من أعداء الكتاب المقدس قد وجهوا هجماتهم ضد أقدمية الأسفار الخمسة. ولو أنهم لم يتفقوا يما بينهم على أى أجزاء هذه الأسفار كتبها مؤلفون مختلفون، أو كم كان هؤلاء، أو من كان هؤلاء، أو فى أى الأوقات كتبوا، أو على الأوقات التى جمعت فيها، أو على الأشخاص الذين جمعوها. والذى نناضل من أجله بهذه المناسبة هو أن التشريع فى الأسفار الخمسة يزودنا بدليل على أنها وضعت قبل أن يستقر الشعب فى فلسطين ونصل إلى هذه النتيجة بالطريقة الآتية: لنفرض أن مشرعاً عملياً وضع مجموعة شرائع وأنظمة ـ لأنه مما لا جدال فيه أنها كانت مطبقة فى اسرائيل ـ لأننا واثقون من أنه ما من مشرع انسانى كان فى استطاعته أن ينظم أموراً لأمة فى حالة مستقرة كما نجد ذلك فى الأسفار الخمسة. ونعلم أن الفلاسفة والنظريين منذ أيام أرسطو وروسو وأوين قد وضعوا للعالم دساتير نظرية وما كانت هذه لتلائم مجتمعاً فى حالة مستقرة، ولكن ما من فيلسوف كان فى استطاعته أن يتصور أو يفكر فى شرائع كبعض الشرائع فى الأسفار الخمسة، ولنختر القليل منها اختياراً عشوائياً وليفكر القارئ مثلاً فى تطبيق الشريعة التى تأمر كل ذكر بالظهور ثلاث مرات فى السنة فى المكان الذى يختاره الرب أو الشريعة الخاصة بالسنة السابعة أو بسنة اليوبيل أو بالشرائع التى تنظم التبرعات الدينية والصدقات أو تلك الخاصة بزوايا الحقل أو التى تحرم الربا أو الخاصة بمدن اللاويين. ثم ليسأل نفسه جدياً عما إذا كانت هذه الأنظمة من الممكن أن يشرعها أو يستقدمها مشرع ما فى أيام داود أو حزقيا أو عزرا وكلما فكرنا فى روح وتفاصيل التشريع الموسوى يرسخ فينا الاعتقاد أن هذه الشرائع والأنظمة ما كانت لتوضع إلا لشعب قد استقر فعلاً فى الأرض. وبقدر ما نعلم لم يعرض لأحد من قبل أن ينهج هذا النهج فى معالجة هذا الموضوع ومع ذلك فمن الضرورى لأعدائنا أن يواجهوا هذه الصعوبة الأولية والتى نرى أنها لا يستطيع التغلب عليها قبل أن يطلب منا أن نناقش اعتراضاتهم وانتقاداتهم.

والآن لنعد إلى موضوع الفصل فإذا تجاوزنا أزمنة الكتاب المقدس أو على الأقل من أوقات العهد القديم نجد أن الشعور العام فى موضوع التجارة لازال موجوداً. ولأول مرة أو لمرة واحدة عبر يوسيفوس عن وجهة نظر مواطنيه تعبيراً صحيحاً: «أما نحن فلا نسكن مملكة بحرية أو نسر بالتجارة أو بالاختلاط بالآخرين الذى ينشأ منها. فالمدن التى نسكنها بعيدة عن البحر وإذ نحصل على قطر مثمر لنسكنه لا نعمل إلا على استثماره». ولم تختلف آراء المعلمين (الرابى) عن هذا فنحن نعلم أن السلطات اليهودية كانت تضع الباعة المتجولين فى مرتبة دنية، وما كانت التجارة تقدر بأكبر ما قدر الباعة. ولقد قيل بحق أن: « فى الفصول الثلاثة والستين التى يتركب منها التلمود لا ترد كلمة فى تمجيد التجارة وورد الكثير فى بيان الأخطار الناشئة عن كسب المال». ومن ذلك ما قاله الراباى يوحنان : فى تفسير (تث ٣٠ : ١٢) «الحكمة ليست فى السماء أى أنها لا توجد لدى المتكبرين ولا هى بموجودة فيما وراء البحار أى بين التجار» ومما يؤيد هذا ما ورد فى الشريعة اليهودية خاصاً بأولئك الذين يقرضون المال بالربا أو أخذوا المرابحة فنقرأ فى الروش هاش Rosh Hash الآتى: ذكرهم لا يصلحون للشهادة أمام المحاكم الذين يلعبون النرد (المقامرون)، ومن يقرض بالربا، والذين يربون الحمام لأغراض المراهنة أو للقنص، والذين يتاجرون فى محاصيل السنة السابعة، والعبيد». ومن الأقوال اللاذعة التى تذكرنا بهوامش المعلمين (الراباى) وتفسيراتهم وتعليقاتهم «ويقول الله لناشر المذمة والفضائح شاهد الزور ليس هناك فى الأرض متسع لى ولك» ـ «المرابى يقضم قطعة من انسان لأنه يأخذ منه ما لم يكن قد أعطاه». وقد يتسع المكان لقليل من أقوال مشابهة فيقول راباى مائير : Rabbi Meir «قلل من الاتجار وانشغل واعمل بجد فى التوراة وانشغل به». ومن بين المؤهلات الثمانى والأربعين للحصول على التوراة يذكرون تجارة (عمل) قليل وأخيراً نقتبس من هلليل Hille مختتمين هذا الموضوع بقول قمة فى النبل جدير بأن يحفظ لكل زمن وبكل لغة ولسان: « الذى يكثر من التجارة لن يكون حكيماً وفى المكان الذى ليس فيه حكيم كن حكيماً».

لابد أن القارئ قد لاحظ أنه مع التغير الشاسع فى أحوال الشعب وظروفه تطورت وتحسنت وجهة نظرهم عن التجارة. وكان الهدف الأساسى وضع حدود لهذه المهن وعلى وجه الخصوص تنظيمها لتسير حسب الدين ولقد أتى التفتيش على الموازين والمقاييس متأخراً فى هذا القطر. ولقد سبقنا المعلمون (الرابى) فى هذا كما سبقونا

إلى كثير من المسائل فعينوا مفتشين يسيرون من سوق إلى سوق يحددون الأسعار الجارية فى السوق. وكانت كل جماعة تحدد الاثمان نهائياً فيها. ولم يخضع لما يسمى قانون العرض والطلب إلا القليل. ولكن شرائع التلمود ضد شراء الحبوب وسحبها من البيع وخاصة فى الأيام التى تندر فيها صارمة بدرجة فائقة. وبالمثل كان محرماً رفع الأسعار على المنتجات. وفى الواقع رفع السعر أزيد من ست عشر بالمائة كان يعتبر سرقة وعلى وجه العموم يعترف البعض أنه لم يكن فى فلسطين من يعتبر أنه من حقه أن يتكسب من ضروريات الحياة. واعترفوا بأن الغش كان يستوجب عقوبة أقسى من كسر أى وصية أدبية أو أخلاقية أخرى لأن أى خطية أو اثم كان يكفر بالندم. أما ذاك الذى يغش لم يخدع شخصاً بمفرده أو عدة أشخاص بل خدع الناس جميعاً. فكيف إذن يمكن أن يكفر أو يصوب وأوصى الكل وحذروا أن يتذكروا أن الله يعاقب حيث لا تستطيع عين قاض أرضى أن تنفذ.

لقد تحدثنا عن تغير وتطور وتحسين وجهات نظر المعلمين (الرابى) بتغيير ظروف الشعب وقد اتضح هذا من نصيحة التلمود قسم المال ثلاثة أجزاء جزء فى شراء أرض، ويستثمر جزء فى التجارة، ويحتفظ بجزء تحت يده، ولكن هناك دائماً العزاء الآتى الذى عده (رابى) من بين بركات العالم الآتى هو أنه لم يكن هناك تجارة بينما فى هذا العالم ينصحون بالعمل فى التجارة والأعمال حتى تساعد الحكماء بالربح الذى تجنيه كما ساعد سيبوا Sebua أحد الثلاثة الأغنياء فى أورشليم هلليل العظيم.

ومما قيل يمكن أن نستنتج أن وجهات النظر التى تصدق على اليهود الفلسطينيين وحتى على اليهود البابليين لا تصح على الذين تشتتوا خارجاً بين الشعوب الأممية فى الخارج. فلهؤلاء كما بيننا كانت التجارة ضرورة ودعامة وجودهم وإذا صح ذلك على كل يهود الشتات فإنه يصح خاصة على أغنى الجماعات وأعظمها نفوذ أعنى بها يهود الاسكندرية.

لا يوجد فى تاريخ الشعب اليهودى أغرب أو أكثر تنوعاً أو أدعى إلى التعاطف والاعجاب مما يمكن أن يقال عن يهود الاسكندرية ولقد بدأت هجرة اليهود إلى مصر قبل الأسر البابلى، ومن الطبيعى أنها أضافت زيادة كبيرة من هذا الحادث وبعد ذلك من قتل جاداليا. ولكن الخروج الحقيقى بدأ فى أيام الاسكندر الأكبر الذى أسبغ على يهود الاسكندرية نفس الامتيازات التى تمتع بها السكان الاغريق، وهكذا رفعهم إلى درجة الطبقات الممتازة ومن ثم ازدادوا عدداً ونفوذاً فى عهد الملوك الذين تولوا

الحكم بعده. ولذلك نجدهم يقودون جيوش مصر ويؤثرون فى التفكير المصرى والبحث المصرى وخبرته بترجمة الأسفار المقدسة إلى اللغة الاغريقية. ولا نستطيع هنا أن نتحدث عن معبد أونياس فى ليونتبوليس الذى نافس هيكل أورشليم ولا عن عظمة مجمع الاسكندرية. ولا شك فى أن العناية الإلهية بعلمها السابق كانت بتوطينها كل هؤلاء اليهود فى الاسكندرية وبتهيئة التأثير العقلى الذى لليهود كانت تدبر عاملاً كبيراً فى نشر انجيل المسيح بين العالم المتكلم باللغة الاغريقية. ذى التعليم والثقافة الاغريقية ومما ساعد على ذلك كل المساعدة ترجمة العهد القديم إلى اللغة الاغريقية وفى الحقيقة ما كان هذا ليكون ممكناً من الوجهة البشرية بدونها (الترجمة) ففى أيام فيلو Phila بلغ عدد السكان اليهود فى مصر أقل قليلاً من المليون واحتلوا فى الاسكندرية قسمين من أقسامها الخمسة التى سميت بالحروف الخمسة الأولى من حروف الهجاء، وكان يحكمهم حكاماً منهم وكانوا مستقلين استقلالاً تاماً. وكان لهم ربع الدلتا على الشاطئ وعهد إليهم بالاشراف على الملاحة فى البحر والنهر. وفى الواقع كانت تجارة الصادر وخاصة فى الحبوب فى أيديهم. ومصر كانت مقمحة (مخزن القمح) العالم وتموين ايطاليا والعالم بالقمح كان هو العمل الخاص باليهود. ومن أغرب ما حدث مما يثبت أن التاريخ لا يتغير إلا قليلاً أنه أثناء الاضطرابات فى روما أن الصيارفة اليهود فى الاسكندرية كانوا يستطيعون الحصول على أوثق الأخبار السياسية أسبق من غيرهم وهكذا استطاعوا أن يعلموا أنهم فى صف قيصر ثم أنهم فى صف أوكتافيوس وأن يحققوا النتائج السياسية والمالية الناجمة عن هذه المسألة. كما استطاعت البيوت المالية اليهودية العظمى الحصول على أصدق الأخبار عن الحوادث فى مبدأ هذا القرن أسبق من الرأى العام.

ولكن ما من ملخص تخطيطى عن التجارة بين اليهود الأوائل يكمل دون ملحوظة قصيرة عن طبيعة التجارة وعن التنظيمات القانونية التى تضمن بقاءها. وكانت مهمة البائع المتجول مقصورة على التفاوض لتبادل منتوجات اقليم بمنتوجات آخر، أو شراء وبيع سلع من انتاج محلى، أو أن يجلبوا آخر المستحدثات من الخارج لبيعها لمحبى الترف ولمحبى المودة من سكان الأقاليم الريفية. وكانت الواردات الأجنبية باستثناء الخشب والمعادن أدوات ترف، وكان من بين السلع المستوردة سمك من أسبانيا، وتفاح من كريت، وجبن من بيثينيا، وعدس وفول ويقطين من مصر واليونان، وأطباق من بابل ونبيذ من إيطاليا،وبيرة من ميديا، وأدوات منزلية من صيدا ، وسلال من

مصر، وملابس من الهند، وأحذية من لاودكية، وأقمصة من كيليكية، وأحجبة أو أقنعة من بلاد العرب، ومن جهة أخرى كان من بين الصادرات القمح، والزيت، والبلسم، وعسل النحل، والتين وكانت تساوى قيمة الواردات وكان الميزان التجارى إن وجد فى صالح فلسطين.

وفيما يختص بالقوانين التى تنظم التجارة الداخلية والتجارة الخارجية فكانت دقيقة جداً تذكرنا بلوم وتعنيف الفريسيين على اهتمامهم بالأمور التافهة. ورسائل عديده فى المشناه مليئة بقرارات خاصة بهذه الأمور، ومن الأفكار والتعبيرات «اليهودية تراب الميزان» ولقد تدخل القانون إلى حد أن أمر بأن ينظف تاجر الجملة مقاييسه كل شهر، كما أمر تاجر التجزئة بتنظيفها كل أسبوع، وكل الموازين مرة كل أسبوع تمسك كل مرة تستعمل فيها. ولكى يتأكد البياع تأكداً تاماً فعليه أن يزيد أوقيه عن كل عشرة أرطال إذا كانت السلعة تتركب من سوائل، ونصف هذا المقدار إذا كانت تتكون من مواد صلبه وإليك بعض القرارات الخاصة بالتجارة : لا يعتبر الصفقة منتهية إلا إذا حصل كلا الطرفين على ممتلكاته الخاصة. ولكن بعد أن يتسلم واحد منهم النقود كان يعتبر إخلالاً بالشرف ومن الإثم أن الآخر ينسحب ولكن فى حالة المغالاة فى الأسعار فكان من حق المشترى إعادة السلعة أو المطالبة بفرق الثمن على شريطة أن يطالب بعد فترة لا تزيد عن الوقت اللازم لعرض البضاعة على تاجر آخر أو على قريب له، وكان البائع أيضاً له ما يحميه. أما الصيارفة فكان لهم خصم ثابت على النقود الخفيفة أو إعادتها بعد فترة معينة أو إذا كان وزنها أقل من الوزن الذى أخذت به ولا يجب أن يضغط على تاجر ليحدد أقل ثمن إلا إذا كان السائل ينوى جدياً أن يشترى ولا أن نذكره بأنه باع سابقاً بثمن أعلى لكى نحرضه على البيع بثمن أقل ولا تخلط سلع مختلفة فى المواصفات ولو كانت السلع المضافة بقيمة أعلى. ولحماية الجمهور كان محرماً على الزراع أن يبيعوا فى فلسطين خمراً مخففاً بماء إلا فى أماكن يستعمل فيها هذا النوع. وفى الحقيقة أن بعض المعلمين لام التجار الذين يقدمون هدايا للأطفال بقصد اجتذاب الوالدين للشراء منهم. وكان هناك إجماع على اعتبار أى محاولة إلى تحسين مظهر السلعة المعروضة للبيع غشاً وخداعاً. ولا تعقد مشتروات القمح حتى يتحدد السعر العام فى الأسواق.

وفوق كل هذا كانت المضاربات والمراهنات تعتبر نوعاً من الربا وبالدقة التى كانت تميز الشريعة، كما فسرها أولئك المعلمون (الراباى) كان الدائنون محرماً عليهم

صراحة من استخدام كل ما يملكه المدينون دون أن يدفع مقابل وعن إرساله فى مهمة أو من قبوله هدية من شخص طلب الدفع مقدماً. وكان المعلمون (الرابای) يرتقون فيما يمكن أن يعتبر ربا فكانوا يخبرون إمرأة تقترض رغيفاً من جارتها أن تحدد ثمنه فى ذلك الوقت لئلا بسبب ارتفاع مفاجئ فى ثمن الدقيق ثمن الرغيف المسترد أكبر منه عند اقتراضه. وإذا أجر بيتاً أو حقلاً يرفع الايجار قليلاً إذا لم يدفع مقدماً ولا يصح هذا فى حالة الشراء. وكانوا يعتبرون مراهنات غير نظيفة أن تعد تاجراً نصف المكسب على المبيعات التى ينفذها، أو أن تدفع له نقوداً مقدماً وتسمح له بنصف أرباح المعاملات وفى كلا الحالتين كان التاجر يتعرض لإغراء أكبر وطبقاً للقانون لم يكن يخول له إلا عمولة أو لتعويض عن وقته وتعبه.

وكانت التنظيمات الخاصة بالمدين والدائن أيضاً شديدة صارمة وكانت المعاملات الابتدائية يضمنها مستندات رسمية تعد على نفقة المدين ويضمنها شهود يعطى تعليمات دقيقة عن توقيعاتهم، ولتجنب الأخطاء كان المبلغ المقترض يكتب فى أعلى كما فى سياق المستند. ولا يؤخذ شخص ضماناً لآخر بعد أن يعقد القرض وفيما يختص بالربح (الذى كان يحسب شهرياً عند الرومان) وفيما يختص أيضاً بالرهن وبمعاملة المدينين العاجزين عن السداد لم يكن هناك قانون يعادل الشريعة اليهودية فى لينها ورفقها. فكانت الشريعة تبيح بشروط خاصة للدائن أن يأخذ رهناً وفى حالة عدم السداد أن يباع الرهن، ولكن كان يستثنى من هذا الملابس والفراش والمحراث وكل الأدوات اللازمة لإعداد الطعام، وبالمثل كان مخالفاً للقانون تحت أى ظهر أن تأخذ رهنا من أرملة أو أن تبيع ما تملكه. وما هذا إلا بعض القوانين التى قصدوا بها المحافظة على مصالح الطرفين وحاولوا أن يكسبوا الحياة العامة روحاً دينية عالية وأولئك الذين يلمون إلماماً تاماً بحالة الشعوب الذين أحاطوا باليهود وبقسوة ما فرضه القانون الرومانى سيمكنهم أن يقدروا الفرق بين اسرائيل والأمم من هذه الناحية وكلما درسنا مجموعة قوانين هؤلاء المعلمين (الرابای) ازداد إعجابنا بشروطها بشروطنا التى تمتاز بالحكمة والشفقة والرقة بل لنا أن نتجاسر بالقول أنها تزيد فى هذا بكثير عن التشريع الحديث. ولا يربط اليهودى بشعبه تاريخ الماضى وامتيازات الحاضر ورجاء المواعيد فحسب بل وأيضاً الحياة العائلية والاجتماعية والعامة التى وجدها أخوته، ولكن لم ينقصهم إلا شئ واحد وا أسفاه لهذا الشئ لأنه بلغة القديس بولس (رو ١٠ : ٢) «فإنى أشهد لهم أن لهم غيرة الله ولكن ليس حسب المعرفة».

الفصل الثالث عشر
بين الشعب ومع الفريسيين

لقد كان من الصعب علينا أن نتقدم كثيراً فى الجليل وفى اليهودية دون أن نلتقى بشخصية غريبة ومؤثرة تختلف عن كل من حولها وسرعان ما تستولى على كل التفاتنا. هذه الشخصية هى الفريسى Pharisee وسواء أتوددنا إليه أم خفناه، سواء نفرنا منه أو داهناه، سواء إحترمناه أم سخرنا منه، كان قوياً أينما كان كنسياً أم سياسياً، لأنه كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بإخوة (جماعة دينية) لها نفوذها شديدة الغيرة لم تبخل بزمن أو جهد، ولم تخف مخاطر ولم تتهيب نتائجاً فى تحقيق أهدافها. ومع أن هذا الاسم يبدو مألوفاً لقارئي العهد الجديد ودارسى التاريخ اليهودى، ما من موضوع يغلب عليه المعلومات الخاطئة والمعلومات غير المؤكدة مثل التعاليم والروح الفريسية ومع ذلك لو فُهمت فهماً صحيحاً لأعطتنا نظرة كاملة عن دخائل اليهودية فى زمن سيدنا، وتشرح لنا شرحاً تاماً كلماته وأعماله، ولتنظر إلى الفريسى وهو يجول خلال الجمهور الذى إما أن يفسح له الطريق باحترام أو يتتبعه بنظراته بروح الاستطلاع، أما هو فيبدو غير متأثر بتاتاً بإحترامهم أو حب استطلاعهم.

ما من مدينة أو قرية يسكنها يهود إلا وكان بها فريسوها ولو أنهم كانوا يفضلون أن يجتمعوا حول أورشليم وهيكلها وما كان أعز إلى قلب الفريسى الحقيقى أكثر من الاربعمائة والثمانين مجمعاً ومجالس السنهدريم صغيرها وكبيرها ومدارسها. فإذا سرت وراءه لرأيته يقف من حين لآخر ليتلو صلواته الرسمية، فإذا حل ميعاد الصلاة وقف فجأة فى وسط الطريق ليتلو جزء منها ثم يستأنف سيره ويتلو جزء آخر وهكذا، لا يكون هناك شك فى أن غرضه إظهار عبادته فى الأسواق وزوايا الشوارع حتى لو كان هناك شك فى أى شيء آخر. ثم كان يقف كما علّمته الشريعة التقليدية لكى يضع رجليه متلاصقتين ويضع جسده وملابسه فى وضع متعمد مدروس ثم ينحنى إلى أقصى نقطة بحيث تبرز كل فقرة من فقرات عموده الفقرى بارزة وحدها أو حتى يتدلى جلده فوق قلبه فى ثنايا وطيات وعند ذلك كان العامل يترك أدوات عمله وإن كان

حامل الأحمال يضع أحماله. وإن كان أحد قد وضع احدى قدميه فى الركاب فكان عليه أن يسحبها فلقد أتت الساعة. ولا يجب أن يكون هناك ما يقاطعه أو يقلقه. وقيل أن تحية ملك لا ترد بتاتاً لا بل أن التفاف ثعبان حول كعب أحد ما كان ليثير اهتمامه. ولم تكن أوقات الصلاة الوضعية وحدها هى التى تستدعى كل اهتماماته وتقواه بل كان يكرر ذلك عند دخوله أى قرية أو عند خروجه منها عندما كان عليه أن يطلب بركة أو بركتين ويتم نفس الشيء عند مروره فى حصن، أو فى مواجهة خطر، أو مقابلة شيء جديد أو غريب أو جميل أو غير منتظر. وكلما طالت صلاته كان ذلك أفضل ولكن وجهة نظر جماعة الكتبة (الراباى) كان لذلك فائدة مزدوجة لأن كثرة الصلاة تضمن الانسحاق، والصلاة المطولة تطيل الحياة. وفى نفس الوقت إذا كانت كل صلاة تليت مع بركة اسم الله واختتمت بها كانت لمجرد العدد كان لها قيمة دينية خاصة، والنطق بمائة بركة فى يوم دليل على تقوى كبيرة.

ولكننا لو قابلنا فريسياً وجهاً لوجه لما كنا أقل قدرة على تمييز شخصيته فلسوف يكشف عنه مظهره الوديع المتواضع رياء واصطناعاً ورضاه عن نفسه دون اعتبار لاحتقاره الآخرين وتجنبه لمس الأشخاص الذين يعتبرهم غير طاهرين، والمبالغة فى التظاهر الدينى. وطبيعى أننا نتحدث عن الطبقة أو بالأحرى الحزب من جهة ميوله ولم نقصد كل الأفراد الذين تتكون منهم الطبقة أو الحزب. هذا فضلاً عن أنه كما سنرى بالتدريج أن هناك درجات منهم من أكثر الفريسيين تواضعاً وهو عضو فى الاخوة ضم إليها فى أدنى درجاتها وربما يكون قد ضم إلى أرقى درجاتها «الكاسيد chasid» أى «المتقى» الذى يقدم كل يوم تقدمة خطية لأنه يشك أنه اقترفها. ويمكنك أن تدرك مدى تطرف مظاهر هذه بالمحافظة على شرائع النقاوة للاويين من الأمثلة الآتية : فراباى لم يسمح لابنه أن يبقى فى الحجرة مادام بين يدى الجراح لئلا يتدنس بلمس العضو المفصول لإعتبارها جزء ميتاً. وبلغ الأمر بأحد الكاسيد فى غيرته حفظ السبت أنه أبى أن يعيد بناء بيته لأنه فكر فى ذلك فى السبت. وأعلن البعض أنه ليس من التقوى أن يعهد بخطاب إلى أممى إذ قد يسلمه فى اليوم المقدس وهذه أمثلة حقيقية وإن تكن تدل على منتهى التطرف والمغالاة لأن راباى معاصر للرسل اضطر أن يتنكر عملاً لأهواء وغرائب «الكاسيد الشوته Achoaid shoteh» أى المجنون السفيه واعتبر أمثالهم غير متوائم وصالح لاستمرار المجتمع، ويظهر معنى قوله

هذا من رفض بعضهم انقاذ إمرأة من الغرق خوفاً من لمسهم إمرأة أو الانتظار حتى يضع عصابته قبل أن يمدها لإنقاذ طفل من الغرق.

سوف يتذكر قارئو العهد الجديد أن ليس الفريسيين أنفسهم كان يختلف عن ملابس غيرهم، وبالرغم من بساطة ملابس الشرقيين فلا يجب أن يظن أنه فى ذلك الوقت أن الثراء والطبقة الاجتماعية والرفاهية لم يكن من الممكن التعرف عليها كما فى أيامنا إن لم يكن أكثر إمكاناً، ومما لا شك فيه كان من الممكن التعرف على الاغريقى الأنيق ورجل بلاط هيرودس والصدوقى الثرى والسيدات اللاتى كن يعضدن الفريسيين ويحمينهم (يوسيفوس ١٧ : ٢ ، ٤). وعلى أية حال تعطينا الكتابات اليهودية وصف أزيائهم وملابسهم وتصفيف شعورهم ولذلك يسهل علينا أن ننتقل بين المجتمع الراقى فى طبريا وقيصرية وأورشليم أو مجتمع الشتات الساكنين فى الاسكندرية أو فى مدن بابل الغنية.

وعلى وجه العموم كان من المفروض أن رشاقة الملابس لا تكمل إلا بثمانى عشرة قطعة من الملابس، وكان يميز الشخص نوع القماش ولونه والزى ذاته، فبينما كان الفقراء يستعملون الرداء الخارجى كغطاء ليلاً كان الأثرياء يلبسون الملابس البيضاء الرقيقة والمشغولة أو الأرجوانية بنطاق حريرى مزين بشكل غريب وكان لهذه الملابس الخارجية «أهداب» كان الفريسيون يعرضونها (مت ٢٣ : ٥)، وسوف نتكلم على هذه بعد قليل أما الآن فنستأنف وصفنا: الملابس الداخلية كانت تطول حتى العقبين، وكان لباس الرأس يتركب من قلنسوة مدببة أو نوعاً من العمامة من قماش غاية فى الجمال والرقة يلفونها بطريقة غريبة تتدلى أطرافها برشاقة من الخلف، وكانت القفازات تستعمل فقط للوقاية، ففضلاً عن الاختلاف فى الملابس فيمكن أن يكرر اتهام النبى إشعياء «وقال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهم وخاطرات فى مشيهن ويتخشخشن بأرجلهن.. زينة الخلاخل والضفائر والأهلة. والحلق والآساور والبراقع. والعصائب والسلاسل والمناطق. وحناجر الشمامات والاحراز. والخواتم ،وخزائم الأنف، والثياب المزخرفة والعطف والأردية والأكياس. والمرائى والقمصان والعمائم والأزر» (إشعياء ٣ : ١٦ - ٢٤) مؤكداً عشرة أضعاف فى أيام العهد الجديد. ونسمع عن ثلاثة أنواع من النقاب العربى وكان يتدلى من الرأس تاركاً الملابس حراً فى رؤية كل ما حوله، وكان



مجموعة من الأقراط (الحلقان)

التي كانت تتزين بها النساء في زمن السيد المسيح وهي ترجع إلي عصر هيرودس.





الزينة فى نساء اليهود

تشاهد خزامة الأنف والحلقان وهي تماثل في شكلها الحلي التي كانت تتزين بها المرأة اليهودية في زمن السيد المسيح.

الحجاب نوع من العباءة تلقى برشاقة حول الشخص كله ويغطى الرأس، بينما النقاب المصرى كان يشبه نقاب الشرقيين الحديثين يغطى الصدر والرقبة والذقن ولا يترك طليقاً إلا العينين. والنطاق الذى كان يربط أدنى مما يربطه الرجال كان يصنع من نسيج غالٍ ومرصعاً بالأحجار الكريمة والنعال كانت مجرد طبقة من جلد تربط بسيور وكان النساء يلبسن شباشب غالية مزينة أو مرصعة بالجواهر وصنعت بطريقة يصدر منها رائحة عطور مع الضغط عليها ومن المعروف أن العطور والأطياب كانت شائعة جداً وكانت أيضاً غالية (متى ٢٦ : ٧). وكان الطيب يصنع من الزيت ومن عطور محلية وأجنبية وتحفظ فى قنينات من المرمر، وكانت تجارة العطور محتقرة ليس بين اليهود بل أيضاً بين الشعوب الوثنية. ولكن فى المجتمع العام ارتبط التطيب بالاغتسال لأنهما كانا يبعثان على الراحة والانتعاش، وكان الشعر واللحية والجبهة والوجه وحتى باقات الزهر التى كانوا يتزينون بها فى الأعياد تقطر وتطيب. ولم يقف الترف إلى هذا الحد بل استعمل النساء دواء الزينة وطلين وجوههن وكحّلوا حواجبهن بأملاح الانتيمونى والزنك والزيت. وكان الشعر الذى أعتبر مصدراً للجمال موضع عناية خاصة وكان الشبان والفتيات والأطفال يطيلون شعورهن ولكن كان اطلاق الشعر فى الرجال يعتبر ميلاً إلى الأنوثة (١كو ١١ : ١٤). وكانت اللحى تشذب بعناية وتطيب وتعطر ولم يسمح للعبيد بإطلاق اللحى، وبنات الفلاحات كن يعقدن شعورهن فى عقدة بسيطة أما السيدات المتبرجات الثريات فكن يلففن شعورهن ويضفرنها ويزينها بحلى الذهب واللآلئ، وكان اللون المحبوب لدى الكثيرات هو درجة من اللون الذهبى الداكن؛ ولذا كن يصبغنه أو يرششنه بالتبر، ونقرأ أيضاً عن الشعر المستعار وعن الأسنان المستعارة، وكانت عادة شائعة فى اليهودية وفى الحقيقة لأنه ليس جديد تحت الشمس لا ندهش لذكر دبابيس الشعر والأمشاط الجميلة. وبعض المترفين من اليهود كانوا يصففون شعورهم بانتظام ومع ذلك كانت حرفة الحلاقين لا تعتبر محترفة شأنها فى ذلك شأن حرفة صناعة العطور. وفيما يختص بالحلى فكان النبلاء يلبسون خاتماً فى أحد أصابعهم أو تدلى من أعناقهم وبعضهم كان يلبس الأساور حول المعصم وعادة حول معصم الذراع الأيمن وكانت من العاج أو الذهب أو الأحجار الكريمة سلكت بعضها مع بعض. ومن الطبيعى أن السيدات المتبرجات كن يتزين بنفس الطريقة بإضافة خواتم الأصابع والخلاخيل والخزائم والأقراط والقلانس الفخمة

والسلاسل وما نسميه الآن التمائم، وكما يسر البعض سنضيف هنا بعض الوصف فكان القرط إما بسيطاً وإما يزود بكرة صغيرة أو بدلاية أو يدخل فيه جرس صغير، أما الخزامة التى أمرت الشريعة التقليدية بخلعها يوم السبت فكانت تتدلى برشاقة فوق الشفة العليا حتى لا تعترض تحية الصديق الذى له مركز ممتاز. وكانوا يلبسون نوعين من القلائد الأول محكم حول الرقبة والآخر من الأحجار الكريمة يتدلى فوق الصدر أو قد يبلغ النطاق. كما أن النساء المتبرجات كن يلبسن سلسلتين أو ثلاثة اتصل بها زجاجات عطور أو حلى أو تمائم وثنية وكانت حلى تدلى مما تتزين به الرأس التى ارتفعت كالبرج أو تلوى ليات رشيقة تشبه حيات تتلوى، أما الخلاخيل فكانت تصنع فى بعض الأحيان بحيث يصدر منها رنين كرنين أجراس صغيرة وفى بعض الأحيان كان يربط اثنان بحيث تضطر اللابسة الجميلة أن تسير بخطوات قصيرة خاصة إذا أضفنا إلى هذا دبابيس من الذهب والماس. وقلنا أن وصفنا هذا قائم على ملاحظات معاصرة ليكون القارئ فكرة عن مظهر هذا المجتمع المترف المتبرج.

وسوف يكون الوصف السابق ذا فائدة خاصة لو ساعدنا أن ندرك إدراكاً تاماً الفرق الشاسع الذى يعرضه علينا ظهور الفريسى وسواء كان متزمتاً تزمتاً قاسياً أو وديعاً وداعة تدعو للسخرية أو غيوراً غيرة حارة؛ كان يحرص حرصاً تاماً على أن يتجنب لمس أى شخص ليس من الأخوة الفريسيين أو حتى أولئك الذين يشغلون الدرجات الدنيا فيها. كما سنرى بالتدريج وسيكون من الممكن التعرف عليه من ملبسه لأنهم كقول سيدنا كانوا يعرضون عصائبهم ويوسعون أهداب ثيابهم، والتمسك بتوسيع أهداب ثيابهم على الأقل فيما يتعلق بحياكة أهداب على ذيول ثيابهم، وليس توسيع هذه الأهداب توسيعاً واضحاً كان قائماً على الأوامر الإلهية (عدد ١٥ : ٣٧، تث ٢٢ : ١٢). وفى الكتاب هذه الهدب تكون زرقاء (اللون الرمزى للعهد) وسمحت المشناه باللون الأبيض ولم يرد ذكر هذه فى العهد الجديد (مت ٩ : ٢٠، ١٤ : ٣٦، ٢٣ : ٥، مر ٦ : ٥٦، لو ٨ : ٤٤)، وكما ذكر سابقاً كانت توجد على حافة الرداء الخارجى ولا شك فى أن كل تقى إسرائيلى كان يحرص على ذلك. وبعد ذلك رأت الرمزية السرية الروحانية اليهودية فى الأذيال ذات الأهداب إشارة سرية إلى الطريقة التى استترت بها الشيكيناه (ضوء مجد الله) فى الخليقة ولفتت كل اسرائيلى إلى أنه إذا كنا نقرأ فى (سفر العدد١٥ : ٣٩) بالعبرية نراه (كما فى الترجمة المعترف بها

(الانجليزية) نراها «ونتذكر أن ذاك يدل على أنك إذا فعلت ذلك يكون كأنك رأيت عرش العظمة الذى يشبه الزرقة» وإذا اعتقد هذا كل يهودى تقى اعتاد أن يغطى رأسه أثناء الصلاة بهذا الرداء ذى الأهداب متناقضاً تناقضاً ملحوظاً مع ما أعلنه القديس بولس أن كل هذه الممارسات الخرافية هى ممارسات لا تُشرِّف (١ كو ١١ : ٤).

وإن صح أن الأذيال ذات الأهداب يمكن ارجاعها إلى أصول كتابية فإنه لا يمكن الإستناد إلى مثل هذا فيما يسمى «بالعصائب phylacleries» ولقد نشأت هذه العادة من تفسير حرفى للآية (خر ١٣ : ٩) التى لا تؤيدها الوصية بسلطان فى (تث ٦ : ٨) ويتضح هذا من تكرارها فى (تث ١١ : ١٨) حيث المعنى الروحى، والقصد من هذا التوجيه يشار إليه مباشرة ومن مقارنتها بتعبيرات مشابهة لا يمكن أن تُحمل على المعنى الحرفى (أم ٣ : ٣، ٦ : ٢١، ٧ :٣، نشيد ٨ : ٦، أش ٤٩ : ١٦). ولقد استعمل كثير من المعلمين كلمة تيفلين tephillin» اليهودية بدل «عصائب» ومعناه شريط للرأس، أو رباط ضيق للرأس ولقد أخذت من أصل حديث لم يستعمل فى العهد القديم باليهودية ولم يعترف به السامريون كالتزام موسوى وكذلك يفعل اليهود «الكاريت karaite» . وهناك ما يبدو أنه دليل كاف على أنه فى زمن المسيح كان لبس العصائب عادة شائعة. وحتى الكهنة لم يكونوا يلبسونها أثناء الخدمة ومع أن السيد يبدو أنه لا يدين ذلك صراحة إلا أنهم كانوا يزيدون من عرض العصائب لأغراض التظاهر بالتدين، ومن الصعب أن نعتقد أنه (السيد المسيح) هو نفسه لبسها. وعلى كل حال أنه بينما لم يعتد الاسرائيل العادى لبسها إلا فى الصلاة أو فى المناسبات الهامة اعتاد أعضاء الأخوه الفريسية لبسها طيلة اليوم كله، وأنه كانت العادة ذاتها ووجهة النظر والأوامر الخاصة بها معتبرة خاصة بهذا الحزب ولذا نرى أن نضيف بعض المعلومات الأخرى عنها.

كانت «التيفلين tephillin» يوضع على الذراع الأيسر من ناحية القلب وعلى الجبهة وكان يحتوى بالاختصار على ما يمكن أن يكون كبسولة تحتوى على (أربع رقوق واضحة) بها الأربع مقطوعات التالية من الكتاب (خر ١٣ : ١ - ١٠. ١٣ : ١١ - ١٦، تث ٦ : ٤ - ٩، ١١ : ١٣ - ٢١). وكانت تربط بسيور جلد سوداء تلف حول الذراع واليد (سبع مرات على الذراع وثلاث مرات على اليد أو كانت تلف بإحكام على الجبهة بطريقة خاصة سرية ذات معنى رمزى سرى. ولا يمكن أن

تخطىء فى التعرف على هؤلاء المعلمين وكان من المستحيل أن يبالغ أحد فى قيمتها أو أهميتها فى أعينهم مهما حاولنا ذلك؛ فكان يجب احترامها احترام الأسفار المقدسة وكان من الضرورى انقاذها من النيران فى السبت ولو لم تكن قد لبست لأنها تحمل التزاماً. ولقد قيل أن موسى تسلم الوصية بالمحافظة عليها على جبل سيناء وأن التيفلين كانت أقدس من صفيحة الذهب التى على رأس رئيس الكهنة (خر ٢٨ : ٣٦). لأن (هذا اللوح) هذه الصفيحة لم يذكر فيها اسم يهوه إلا مرة واحدة وذكر فى العصابة ما لا يقل عن ثلاث وعشرين مرة وأن الوصية فى أن يلبسها تعادل كل الوصايا الأخرى مجتمعة. وهناك مبالغات كثيرة أخرى شبيهة بهذا، ويظهر تجديف وكفر واستهانة المعلمين بكل ما هو مقدس من أنهم فرضوا أن الله ذاته كان يلبس عصائب واستنتجوا ذلك اجتهاداً من قول إشعياء «حلف الرب بيمين وبذراع عزته» (أش ٦٢ : ٨) أن اليمين التى أقسم بها الرب تشير إلى الشريعة طبقاً لما ورد فى الآية «وعن يمين نار شريعة لهم» (تث ٣٣ : ٢) فى حين أن قوة ذراعه تصح على التيفلين لأن الاصطلاح قوة ظهرت فى (مز ٢٩ : ١١) مرتبطة بشعب الله وفسرت بدورها اجتهاداً بالاشارة إلى «فيرى جميع شعوب الأرض أن اسم الرب قد سمى عليك ويخافون منك» (تث ٢٨ : ١٠) لأن قوة شعب الله الواردة فى (مر ٢٩ : ١١) هى ما يجعل الجميع يهابون اسرائيل (تث ٢٨ : ١٠) بسبب رؤيتهم أن اسرائيل يدعى باسم يهوه وهذا الاعلان السرى إنما يتم من خلال التيفلين، وهذا هو الدليل الذى قدمته روح التقليد لهذا الاجتهاد والفرض الشنيع المخيف.

إن ما أوردناه يمكن أن يعد مثالاً لاجتهادات هؤلاء المعلمين (الراباى) ولفتاواهم اللاهوتية، ويساعدنا على أن نفهم أن اعتبار هذه الاجتهادات والتفسيرات أهم من تعليمات التوراه ذاتها؛ كان يبطل الاعتراضات الناشئة من بساطة ما فى الكتاب، وهذا يأتى بنا مباشرة إلى اتهام سيدنا للفريسيين (مر ٧ : ١٣) بأنهم أبطلوا كلمة الله بسبب تقليدهم وهذه الحقيقة مع شناعتها لا ترد فى أى مكان آخر أقوى منها فيما يتعلق بالتيفلين، فإننا نقرأ فى المشناه حرفياً ما يأتى : «إن العمل ضد كلمات الكتبة أدعى وأوجب للعقاب عن العمل ضد كلمات الكتاب، فلو أن انساناً قال ليس هناك شىء يقال له التيفلين لأن يخالف كلمات الكتاب، فلا يجب أن يعامل كخارج عن الكتاب ولكن لو ثبت أنه قال هناك خمسة أقسام فى رباطات الصلاة للرأس (وليس



أدوات الزينة

مرآة وصندوق جواهر ومفتاح وأدوات منزلية ترجع إلي زمن
السيد المسيح (اكتشفت في كهوف البحر الميت)



التجار والسوق فى إسرائيل

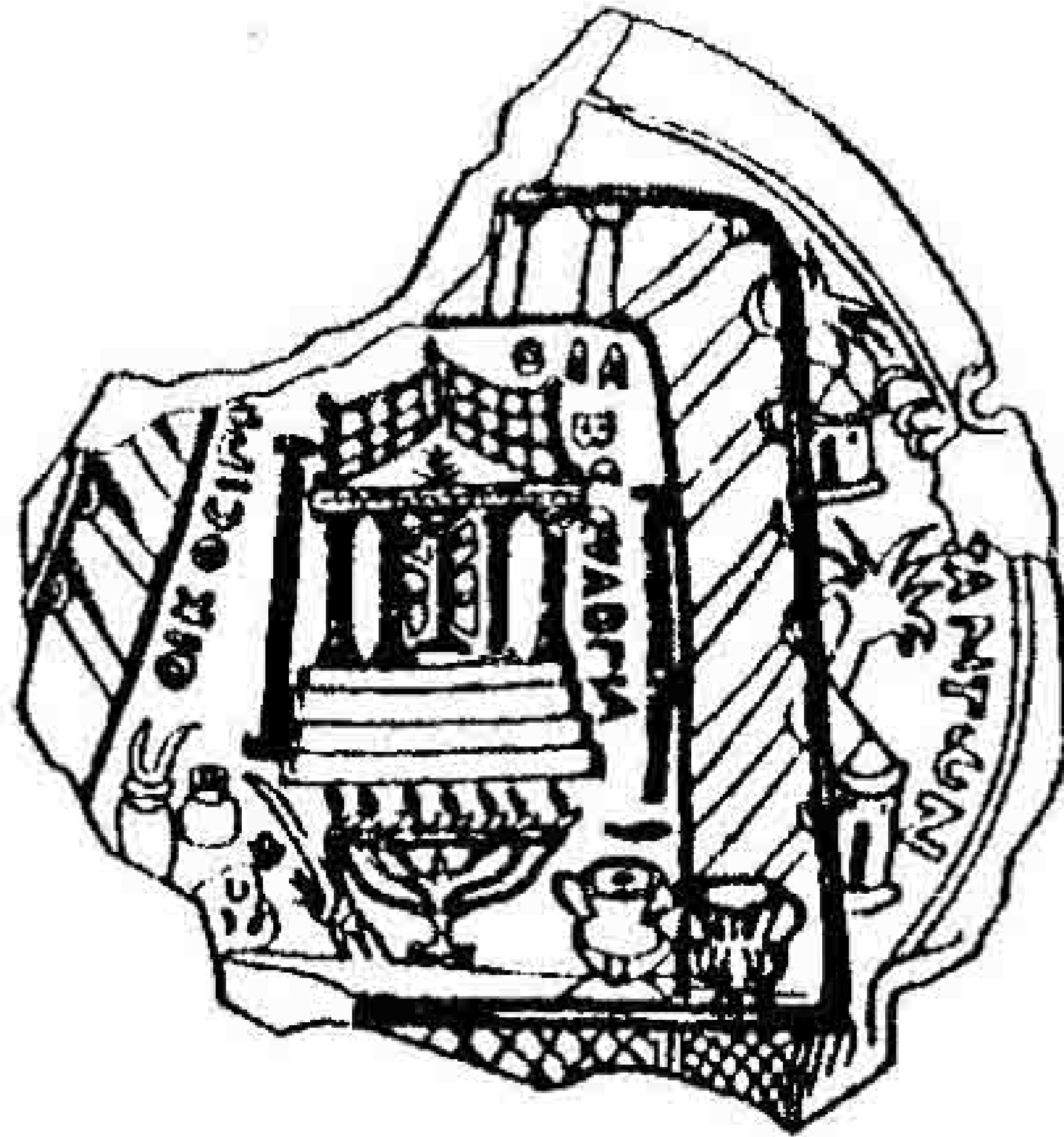
أربعة كما يعلم المعلمون) ليضيف إلى كلمات الكتبة فهو آثم خاطيء. وبكل تأكيد لا يمكن أن يكون هناك مثل واضح أكثر من ذلك على تعليم هو تعاليم ووصايا الناس ومن كلماتهم ذاتها على أنهم يبطلون وصية الله لكى يعلمون وصايا الناس (مر ٧ : ٧ . ٨).

وقبل أن نختتم هذا الموضوع قد يكون من المناسب أن نشرح معنى الكلمة الاغريقية «فيلاكتيريز phylacteries» لترجمة كلمة «تيفيلين» اليهودية لنوضح تطابقهما فى المعنى. فهناك شبه اجماع على أن المعنى الحقيقى لكلمة فيلاكتيريز الاغريقية هو «تمائم» أو «كتابات سحرية» ولقد أخذ المعلمون بهذا المعنى واعتبروها هكذا مهما أنكروا أن لها علاقة بوجهات النظر الوثنية. وبهذا المعنى فى هذا الموضوع الكريه عن الخرافات الوثنية مثل أين تجد الأرواح الشريرة وكيف تكتشفها، وكيف تتخلص من الأرواح الشريرة وكيف تستحضرها كما هو مبين فى التلمود. فإذا أخذنا فى الاعتبار حالة المدنية فى ذلك الوقت وانتشار الخرافات بين الناس عامة ما تعجّبنا بتاتاً من كل هذا لولا الادعاءات التى ينسبونها للسلطان الإلهى، ولولا الفارق المخيف بين تعاليمهم ولا نقول تعاليم العهد الجديد بل بينها وبين تعاليم العهد القديم ذاته ففى كتابات يوسيفوس ما يدل على ايمانهم بفاعليتها السحرية، مع أنه فى هذه المسألة بعينها يثبت أنه أمين مع نفسه ويبين لنا فى نفس الوقت وأظهر أن بعض وجهات نظر فى الشكر صارت أمثلة عامة للتندر فى ذلك الوقت، ففى كتابته عن الفيلاكتيريز (العصائب) التى يعلن أن اليهود كانوا يلبسونها فى ذكرى خلاصهم فى الماضى، فى كتاباته هذه أن تعبيرهم هذا عن شكر الله لم يتضمن تذكر الماضى فحسب بل استدراراً لنعم مستقبلة ويمكننا أن نورد هنا أمثلة كثيرة عن الأراء السحرية المرتبطة بهذه التمائم ولكن يكفى أن نورد هنا المثل الآتى: يقال أنه لما أراد أحد المعلمين (الراباى) الانسحاب من الحضرة الملكية لملك من الملوك أدار ظهره للملك وعند ذلك كاد رجال البلاط أن يقتلوه، ولكنه حال بينهم وبين ذلك رؤيتهم لسيور التيفلين تضيء كأربطة من ضوء حوله وهكذا تحقق الوعد فى (تث ٢٨ : ١٠). وفى الواقع ورد صراحة فى تورجوم Targum يهودى قديم [(تعليق) على (نش ٨ : ٣) أن التيفيلين منعت الأرواح العدائية من إيقاع الأذى بأى اسرائيلى.

إن ما قد قيل سوف يعد القارئ إلى حد ما لبحث تاريخ الفريسيين فى زمن المسيح. لتعرف نفوذهم ولنتذكر هنا أن الوطنية والدين اشتركا فى الارتفاع بقدرهم وإحترام الناس لهم، لأن ما جعل فلسطين دولة منعزلة قائمة بذاتها متميزة عن الشعوب الوثنية حولها والتى ادعت الأسرات الحاكمة أنها أدمجتهم بهم، هو العنصر اليهودى المتمثل فى الفريسيين وأصلهم كحزب امتد إلى الصراع القومى العظيم الذى حرر تربة فلسطين من السيادة السورية، وبدورهم هجر الفريسيون المكابيين الذين عاونوهم أولاً وواجهوا الاضطهاد والموت وذلك عندما انحط نسل المكابيين إلى طلب الأمجاد الأرضية والسير فى سبل الاغريق وجمعوا بين تاج دواد وقلنسوة رئيس الكهنة وهكذا كل من خاف هيرودس وأسرته لأنه ما كان الفريسيون ليتصالحوا مع مبادئه. ولكن هل كانوا يمثلون الشريعة الإلهية ليس فحسب تلك التى أعطيت لإسرائيل على جبل سيناء؟ بل كانوا يمثلون أيضاً المراسيم والشرائع السرية التى ترسل لموسى شفاها شرحاً وإضافة لهذه الشريعة، وإذا كانوا قد أقاموا حاجزاً وسوراً حول الشريعة فإنما كان ذلك لسلامة اسرائيل وأمنها ولعزلها عزلة جيدة عن كل ما هو دنس غير نقى وعن الأمم. أما هم ذاتهم فكانوا مرتبطين بقسم شديد والتزامات من أشد الالتزامات، وأكسبتهم معاملاتهم مع العالم خارجاً عن أخوتهم، وأكسبتهم حرفهم وممارساتهم ومسلكهم، كما أكسبتهم ملابسهم ومظهرهم بين ذلك الجمهور المختلط - مهملاً كان أو فرحاً أو اصطبغ بالصبغة الاغريقية أو دان نفسه إما بممارسة تتناقض مع الروح اليهودية أكسبهم الاعتبار فى العليات فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع والتحيات فى الأسواق وبمناداتهم راباى راباى (سيدى سيدى) الأشياء التى كانت تملأ قلوبهم سروراً عظيماً.

وبكل صدق كانت غالبيتهم تمثل فى كل صنوفهم الحماس الدينى والغيرة الدينية التى كانت فى تلك الأرض، ولقد أصبح اسمهم الذى لم يختاروه بأنفسهم أصبح سخرية للبعض واسما للحزب للبعض الآخر. ومما يحزن أنهم تنكروا لميولهم الأصلية على الأقل فى معظم الأحوال، فلم يكونوا كتبة أو محامين أو معلمين للشريعة ولم يكونوا طائفة بالمعنى العام للكلمة ولكنهم كانوا أخوه تتركب من درجات مختلفة، كان إليها إنضمام مستمر وكانوا مرتبطين بقسم خاص وبالتزامات. وكانت هذه الأخوة وراثية بحيث استطاع القديس بولس أن يقول صادقاً تمام الصدق

عن نفسه فريسى من الفريسيين وفريسى ابن فريسى. ونعرف معرفة كافية أن مبادئهم كانت سائدة وأنهم أكسبوا هذا الامتياز للتعليم وللمارسات فى المجمع ولابد ان كان لهم نفوذ عظيم حتى بلغوا هذه المكانة، وهذا يظهر من الحقيقة التى غفل عنها الكثيرون وهى أن عددهم كان صغيراً بدرجة غير معقولة، فكما قال يوسيفوس بلغ عددهم فى أيام هيرودس حوالى ستة آلاف ومع هذا استطاعت هذه الأقلية الضئيلة أن تصب اليهودية فى قالبها وبفعل هذا الشر المخيف استطاعت أن توجه الأمة فى الاتجاه النهائى. فبكل تأكيد وصلت ينابيع هذه الحركة إلى قلب الحياة الدينية اليهودية. فمن هؤلاء وكيف أن تأثيرهم إمتد فى كل المجتمع؟! هذا لا يستحق أو يحتاج مجرد ملاحظة عابرة بل التفاتاً خاصاً بكل عناية وإهتمام.



الفصل الرابع عشر
أخوة الفريسيين

لكى ندرك حالة ذلك المجتمع الدينى فى أيام سيدنا يجب أن نتذكر دائماً أن الفريسيين كانوا نظاماً ثابتاً، وأنه كان هناك عديد من الأُخوِات من نتاج الفريسيين الأصليين، لأن العهد الجديد ينقلنا فى أماكن معاصرة وشخصيات معاصرة آخذاً الحالة القائمة كما هى أمراً واقعاً ولكن الحالة المشار إليها تشرح ظروفاً كثيرة تبدو غريبة وتلقى ضوء على الكل. ولنختر مثلاً توضيحاً لذلك فإذا وجب علينا أن ندهش أنه فى الصباح الباكر بعد النقاش الطويل فى السنهدريم الذى شغل جزء كبيراً فى اليوم وجد أكثر من أربعين رجلاً اتفقوا أن يحرموا أنفسهم فلا يشربوا أو يأكلوا حتى يقتلوا بولس (أع ٢٣ : ١٢ - ٢١). وإذا تعجبنا بالأكثر لأن هذه المؤامرة أو بالأحرى التحالف الذى كان يجب من طبيعة تكوينه أن يبقى سراً يستطيع ابن أخت بولس أن يعرفه (أع ٢٣ : ١٦)، وتزودنا ظروف الحادث بالشرح الكافى فإن الفريسيين كانوا صراحة «كابور chabura» باليهودية ومعناها «أخوة» أو «إتحاد» وهم أو بعض من الأخوات الأقرب إليهم سربوا تلك المعلومات الهامة.

ولم يكن ذلك «القسم» لهم أمراً جديداً أو غريباً ومع أنه كان يتسم بسمة الإغتيال لم يبد لهم إلا تطبيقاً لمبادئ الجماعة أضف إلى ذلك أنه لما كانت زوجة وكل أولاد الكابير أو العضو تبعاً لذلك أعضاء فى الكابورا، وكان أبو بولس فريسياً وكانت أخت بولس بفضل ميلادها تابعة «للأخوة» حتى لو تغاضينا عن احتمال زواجها من عائلة فريسية. ويكون ذلك مطابقاً لروح الجماعة ومبادئها كما أنه لا حاجة بنا أن ندهش أن غضب النظام كله ضد بولس كان يصل إلى هذا القدر من التطرف الذى لا يمكن تعليله بالغيرة الطبيعية اليهودية. ففى اليوم السابق صرفت حدة النقاش فى السنهدريم الالتفات عن كل ما عداها وإلى حد ما صرفته عن التفكير فى بولس نفسه والملاحظة التى قصد بها الاعتذار والدفاع (أع ٢٣ : ٩) «إذ كان روح أو ملاك قد كلمه فلا نحاربن الله» التى أتت مباشرة بعد الملاحظة التى

قالها الصدوقيون (أع ٢٣ : ٨) «أنه ليس هناك ملاك أو روح» تدل على أن الفريسيين كانوا مشتاقين إلى نصر تعاليمهم على تعاليم أضدادهم وأعدائهم فأرادوا أن يلقوا درع الأخوة على واحد من أعضائها المعروفين، ومع الليل أتت آراء أخرى أكثر هدوء فرأوا أنه من الصالح أن يدافعوا عن واحد ينتمى إلى منظمتهم ضد الصدوقيين. ولكن لم يكن من الممكن إحتماله أن يكون مثل هذا العضو فى أخوتهم، فما كان من الممكن لأحد أن يتصور خروجاً أشنع من سلوك القديس بولس ووجهات النظر التى صرح بها بسبب أنه عضو فى الكابورا كلها، وحتى لو اعتبرناه اسرائيلياً عادياً فإن الجمهور الذى ازدحم بهم الهيكل فى اليوم السابق لم يوقفهم إلا الوثنيون عن عدم اعدام الثائر بالضرب حتى الموت انتقاماً منه، وكانت «الصيحة خذ مثل هذا من الأرض لأنه لا يصلح لأن يعيش» ليست صيحة الجماهير الهائجة الغاضبة بقدر ما كانت مبدأ الحزب المتفق عليه. ولكن فى حين أننا فهمنا سلوك الفريسيين لا يجب أن نخاف على التحالف الذى تكون من نتائج القسم «فتلمود أورشليم به شرح غريب يبدو كأنه تعليق ينص قائلاً» : لو أقسم شخص على أن يمتنع عن الأكل فويل له إن أكل وويل له إن إمتنع عن الأكل فإن أكل أخطأ إلى قسمه وإن لم يأكل يخطئ إلى حياته إذ به ماذا عساه أن يفعل؟! فليذهب إلى «الحكماء» ليحلوه من قسمه. وفيما يتعلق بالمسألة كلها كان من غرائب الاتفاق فى نفس الوقت عندما قام الحزب على القديس بولس أو عقب ذلك مباشرة أصدر شمعون بن غمالائيل (معلم بولس) ثلاثة قرارات أو مراسيم، أولها ينص على أنه لا يتحتم أن يصبح أولاد الكابر (العضو) كذلك بل يلزم انضمام فردى خاص إلى النظام، وينص الثانى على أن سلوك المرشح للانضمام يجب أن يؤخذ فى الاعتبار قبل انضمامه إلى الأخوة، وينص الثالث على أن العضو الذى يترك النظام أو يصبح عشاراً لا يمكن أن يعاد ثانية.

ومن المحتمل أن تكون ثلاث كلمات لها معنى حديث صارت مألوفة لدينا أخيراً أكثر عوناً على فهم حالة هذه الأمور كلها من شرح مطول تفصيلى، وترتبط هذه الكلمات الثلاث بالنظام الكنسى الذى يبدو متناظراً مع نظام المعلمين (الراباى)، إن مبدأ السلطة المطلقة للبابا فى أمور الدين والنظام الذى يدعى بالانجليزية Ultramontanism هو اتجاه فى الفكر الدينى والمؤمنين به. حزب اليسوعيين Jesuits

ليس التجسد الآثم له فحسب بل هم نظام أى طبقة نشأت من احياء روح البابوية فأنشأوا حزباً وأنشأوا فى نشر مبادئهم أيضاً المبدأ كميل، وينطبق هذا على الفريسيين والروح الفريسية. ولكى نبين أن التشابه كاملاً نقول أن نظام الجزويت يتكون من أربع درجات، ومن الغريب أنه فى نظام الفريسيين pharisees نفس العدد من الدرجات، وكما نشأ نظام الجزويت (اليسوعيين) نشأ نظام الفريسيين فى فترة نهضة دينية عظيمة وهم أنفسهم يسرون بأن ينسبوا نشأتهم إلى أيام عزرا وقد يكون فى دعواهم هذه حق مادى لا مجرد حقيقة حرفية لأننا نقرأ فى (عزرا ٦ : ٢١، ٩ : ١، ١٠ : ١١، وفى نحميا ٩ : ٢) عن «النيفداليم Nivdalim» أى الذين فصلوا أنفسهم عن رجاسة الوثنيين بينما نجد فى (نح ١٠ : ٢٩) أنهم دخلوا فى «تحالف وعهد» بأقسام خاصة والتزامات والآن إنه حقيقى أن الكلمة الآرامية «بيريشوث perishuth» تعنى انفصالا. وأن «البيروشيم perushim» أو الفريسيين فى المشناه تعنى المفصولين أو النفداليم كما كانوا يسمون فى أيامهم. ولكنهم مع أنهم كانوا يستطيعون أن يرجعوا أصلهم لغوياً وتاريخياً أصلاً إلى أولئك الذين فصلوا أنفسهم فى أيام عزرا ونحميا لم يكونوا خلفاءهم فى الروح. وأن الفرق بين التسميتين نيفداليم وبيروشيم تبين أوسع فارق داخلى ممكن ولو أنه قد يكون حدث ذلك تدريجياً فى أثناء التطور التاريخى وسيكون كل هذا أكثر وضوحاً فيما يلى :

فى أيام عزرا كانت هناك حركة إحياء دينى بين أولئك الذين رجعوا إلى أرض أبائهم والاعتراف الذى ميز الأفراد قديماً فى اسرائيل (مز ٣٠ : ٤، ٣١ : ٢٣، ٣٧ : ٢٨) قام به الشعب الذى دخلوا فى العهد ككل وصاروا «كاسيديم chasidim» أى «أتقياء» (وتترجم قديسين) وبوصفهم كاسيديم صمموا على أن يكونوا نيفداليم أى منفصلين عن نجاسات أمم الأرض التى حولهم وكان الواحد يمثلون العنصر الايجابى فى الدين. وكان الآخرون يمثلون العنصر السلبى فى الدين ومن المهم أن نلاحظ هنا أن الفريسى الأول بولس (أو المفرز) كان له هذا الفكر فى تتبع الحياة المسيحية كحياة الكاسيد الحقيقيين أى النيفدال – فى مقابل فريسيى المظهر فى (٢ كو ٦ ١٤، ٧ : ١) مختتماً بالأمر أن «نطهر أنفسنا من دنس الجسد والروح مكملين القداسة فى خوف الله». وهكذا كانت حياة القديس بولس السابقة وأفكاره مثالاً للحقائق الروحية فى حالته الجديدة.

تتطلب نقطتان فى التاريخ اليهودى التفاتاً خاصاً دون أى محاولة فيها نحاول أن نفك عقد نسيج الحوادث الأولى هى الفترة التى أعقبت الاسكندر الأكبر. فلقد كان هدف الامبراطورية التى أسسها أن تصبغ العالم بالصبغة الاغريقية، ولقد حقق خلفاؤه هذا الهدف تحقيقاً كاملاً. ولذلك نجد دائرة من المدن الاغريقية تزحف على الشاطئ من أنثيدون وغزة فى الجنوب إلى صور وسلوفيا وشرقاً إلى دمشق وجادارا وبلاً وفيلادلفيا تحيط بأرض اسرائيل احاطة تامة ثم تحركت إلى الداخل مرسخة أقدامها فى الجليل والسامرة وجمعت حزباً له نفوذه وينشر أعداداً كبيرة بين الشعب. وفى هذه الظروف وقف الكاسيديم كحزب ليوقف السيل الذى هدد الحياة الدينية والروح القومية فى اسرائيل. وآن آوان النضال الحقيقى ومعها الفترة الثانية العظيمة فى التاريخ وكان الاسكندر قد مات فى يوليه سنة ٣٢٣ ق.م وبعد قرن ونصف بعد ذلك كان الكاسيديم الأتقياء القديسون قد تجمعوا حول المكابيين لله ولإسرائيل. ولكن سرعان ما اتجهت غيرة المكابيين إلى الأطماع والمشاريع العالمية ولما جمع القادة فى أشخاصهم مجد رئاسة الكهنوت ومجد الملكية لم يكتف حزب الكاسيديم بأن انفض من حولهم، ولكنه ناصبهم العداء فطالبوهم بأن يتنازلوا عن رئاسة الكهنوت، واستعدوا للاستشهاد لا بل استشهد الكثيرون منهم فى سبيل اعلان معتقداتهم. ومن ثم كف الكسيديم عن أن يكونوا طبقة وتركوا مكانهم كطبقة للفريسيين النيفداليم الحديثين. وعندما تقابلهم بعد ذلك لم يكونوا إلا الطبقة العليا أو فرعاً من الفريسيين الأتقياء القدامى، ويفرق التقليد صراحة بين الكاسيديم الأسبقين «الهاريشونيم» من «الاكرونيم» ولا شك أن ما يأتى هو بعض مبادئهم التى تواترت كخصائص للكاسيد فى أقوال المشناه مثل : (مالى فهو لك ومالك يبقى لك أيضاً، وأيضاً من الصعب أن تغضب أحداً ومن السهل مصالحته، واعطاء الحسنات وتحريض الآخرين أن يفعلوا كذلك، والذهاب لبيوت التعلم وأيضاً عمل الأعمال الصالحة).

وأول ذكر للفريسيين حدث فى أيام المكابيين «وكأخوة» نلتقى بهم فى أيام هيركانوس رابع المكابيين بعد ماتياس (١٣٥ - ١٠٥ ق.م)، ولو أن يوسيفوس يتحدث عنهم فى أيام يوناثان قبل ذلك وقد يكون فعل من قبيل استعمال مسميات متأخرة على حوادث سابقة توقعاً أو تنبوء بحدوثها لأنه لا شك فى أن «الاسينين Essenes» الذى يذكرهم أيضاً مع الفريسيين لم يكن لهم وجود حقيقى، ومما لا

شك فيه لقد كان فى ذلك الوقت ما نسميه الآن بالاتجاه فى أيام يونانان. ويمكننا أن نحدد حادثة بذاتها لها علاقة بنشأة الأخوة الفريسيين لأننا نعلم من الكتابات اليهودية أنه فى أيام هيركانوس تعينت لجنة لتستعلم فى كل الأرض كيف يحفظ الناس الشريعة الإلهية الخاصة بالعطاء الدينى، وأظهرت النتيجة أنه بينما «الثيروما Therumah» أى «تقدمات الرفيعة للكهنة» كانت تعطى بانتظام لم يعط عشور اللاويين أو عشور الفقراء. كما أوصت الشريعة لأنها تتضمن الاستعمال الشخصى لما يخص الله ولذلك وضعت الترتيبات الآتية : كل ما يبيعه الريفيون (أم ـ ها ـ أرينز) كان يعتبر «ديماى demai» كلمة مشتقة من الكلمة المرادفة «للشعب» بالاغريقية مما يكشف عن زمن ادخالها. ولكن لم يعرف عن أنها كان يقدم عنها عشور وفى هذه الحالة كان عليه أن يعتبر أن الثيروما وعشور الفقير لازالت مستحقة على ما اشتراه. وعلى العكس من ذلك كون الفريسيين كابورا أو أخوة كان الكابر أو الرفيق يلزم نفسه أن يدفع العشور قبل الاستعمال أو البيع. وكان كل كابر يعتبر «نيمان neeman» أى «دائن» وكان نتاجه يشتريه ويبيعه بقية الكاييرم الأعضاء معفية من العشور وبالطبع كان عبء المصاريف الاضافية التى وقعت على غير الأعضاء كبيراً لأنه كان عليه أن يدفع ثيروما على كل ما اشتراه أو استعمله بينما الفريسى الذى اشترى من فريسى آخر كان معفياً. ولا يسع أحد أن يشك فى سائر القرارات المشابهة أنها كانت تثقل على جمهور الشعب وفى نفس الوقت تركت الفريسى دون أن يمسه أحد هو أساس اتهام السيد كما ورد فى (مت ٢٣ : ٤) فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس ولا يريدون أن يحركوها باصبعهم.

ومن بين التزاماته الأخرى الخضوع خضوعاً تاماً لكل شرائع الطهارة كاللاويين كما كان مفهوم فى ذلك الوقت، وإن الأسئلة المختلفة عن ما هو الطاهر وماذا يجعل طاهراً قسّم الطبقة الواحدة من الفريسيين إلى أعضاء من درجات مختلفة ويذكر أربع درجات بحسب زيادة التشدد فى التطهير. وإن وصف هذا التدرج الرباعى بكل تفاصيله ليستغرق منا وقتاً طويلاً ويكفى أن نقول كان العضو من الدرجة الأولى يسمى كابر أو بن هاكنست Ben hacheneseth «ابن الاتحاد» أو «فريسى عادى» بينما الثلاث درجات الأخرى كانت تسمى معاً باسم خاص «تيهاروت Teharoth» أى (تطهير) وربما كانت هذه الثلاثة الأخيرة هى الكاسيديم فى الفترة الأخيرة

وكالبر (العضو أو الفريسى العادى) ارتبط بالعشور وتجنب كل النجاسة حسب سفر اللاويين. أما الطبقات العليا فكان عليها أن تقسم أقساماً شديدة وكان كل شخص له الحق فى أن ينضم إلى الجماعة لو أقسم أمام ثلاثة أعضاء قسماً بأن يحفظ التزامات الأخوة وكان من الضرورى للعضو الجديد أن يقضى سنة فى هذه الدرجة وقد انقضت هذه المدة وكانت زوجة الكابر (العضو) وأرملته وأطفاله يعتبرون أعضاء فى الأخوة والذين ينضمون إلى أسرة أى فريسى كان عليهم أن يطلبوا الانضمام إلى النظام. وكانت التزامات الكابر (العضو) تجاه الذين هم من خارج كما يأتى : كان عليه ألا يبيع أو يشترى أى شىء جافاً أو سائلاً، ولا يأكل على مائدته (لئلا يشترك فيما لم يدفع عنه عشوراً ولا يسمح له بالجلوس على مائدته إن لم يلبس جلباب كابر (لأن ملابسه ربما تحمل ما تدنسها)، وألا يدخل أى مدفن، وألا يعطى ثيروما أو عشوراً لكاهن ليس عضواً فى الأخوة، وألا يعمل شيئاً فى حضور «أم ها ـ ارتز» (ساكن الريف) أو غير كابر (عضو) له إتصال بقوانين التطهير. وقد أضيف إلى هذه كلها فى فترة متأخرة توجيهات وقرارات وطقوس دينية شديدة قاسية قائمة عن الامتناع عن أشياء كثيرة. ولكن مما هو جدير بالملاحظة هو أن المبتدئ المرشح لدرجة أكبر يشبه المبتدئ الذى يدخل الحزب لأول مرة وليس هذا فقط ولكن كما أن رداء الذى ليس عضواً يدنس العضو من أول درجة فرداء عضو من أول درجة يدنس العضو من ثانى درجة وهلم جرا.

وبالاختصار كانت اخوانية الفريسيين مرتبطة بقسمين القسم الأول هو قسم العشور والثانى خاص بالتطهير. ولما كانت أسئلة مختلفة تنشأ عملاً لا إجابة لها فى شريعة موسى صار من الضرورى وجود تقليد يشرح ويدعم الشريعة الإلهية. وفى الحقيقة والواقع يتحدث المعلمون (الراباى) عن التقليد بهذا المعنى ويقولون عنه أنه السور الذى يحيط بإسرائيل وشريعتها. وكان من الضرورى والحالة هذه أن يتتبعوا التقاليد إلى أقوال قيلت لموسى على جبل سيناء وإلى أقوال استنتجت بوسائل صريحة بسيطة من حرفية الكتاب، وكانت النتيجة نظاماً ظاهرياً محضاً يتعارض مع روح التعاليم والطقوس وكانوا يعبدون حرف هذه الطقوس مستعبدين لها. ويبدو من خلال الكتابات الراباى وكذلك من العهد الجديد مدى الرياء الخبيث الذى نشأ منهم. ويمكننا أن نفهم أن هؤلاء (القادة العميان) كانوا تعبا لحزبهم ولغيرهم وكان من

الأقوال الشائعة «وباء الفريسيين» وأيضاً القول بأن هذا «الورم الدينى» يعتبر على قدم المساواه مع ذلك الاصطلاح «التقى المجنون» وذلك «الخاطئ الماكر» وفريسى؛ كقائمة لهموم الحياة. ويسأل (راباى) فى احتقار كبير لهذه الطبقة كطبقة هل نقف لنشرح آراء الفريسيين؟ ونقرأ أنه من تقاليد الفريسيين أن يعذبوا أنفسهم فى هذا العالم ولا يحصلوا على شئ فى العالم الثانى، ولقد قال الصدوقيون إن الفريسيين ليخضعوا الكرة الشمسية لتطهيراتهم وعلى العكس من ذلك يقتبسون فى أقوالهم بعض الأقوال الابيقورية كالآتى : أسرع وكل واشرب لأن العالم كوليمة عرس، ومن هذه أيضاً إذا امتلكت شيئاً أفرح به لأنه لا مسرة فى القبر والموت لا يعطى راحة، وكذلك الرجال كأزهار الحقل البعض يزدهر ويذبل ويؤذى البعض الآخر مثل كزنابق الحقل، ما أبعد ما تذكرنا هذه الكلمات بتعاليم (راباى) رفضوه واحتقروه؛ وعندما نتحول من كلماتهم إلى الملكوت الذى جاء ليقيمه نستطيع أن نفهم العداء فى الطبيعة بين الاثنين، ومن المؤكد كل التأكيد أنه لجسارة فائقة أن نربط بأية حال من الأحوال بين أصل المسيحية وخصائصها وبين هؤلاء المعلمين (الراباى). ومع ذلك عندما نضع صورة الروح الفريسية كما رسمت فى كتابات المعلمين جنباً إلى جنب مع الصورة التى رسمها السيد لا ندهش فقط لأنها صورة حية ناطقة بل ندهش لاختيار المظاهر المميزة لهم كما وردت فى الويلات. وفى الحقيقة يمكننا أن نعين المراحل فى تاريخ الحركة الفريسية بمقطوعات من العهد الجديد فإن «تعشير النعنع والكمون» وترك أفضل الناموس «وتنقية» الخارج هذان الالتزامان اللذان التزم بها الفريسيون واحاطتهم بالتقاليد التى أبطلوا بها روح الشريعة والتى أظهرت نفسها بالرياء الفاضح والافتخار وبالتدين، أليس هاتان المرحلتان هما المرحلتان اللتان تتبعناهما فى تاريخ الحركة؟!

الفصل الخامس عشر
العلاقة بين الفريسيين والصدوقيين والاسينين وانجيل المسيح

عندما نلقى نظرة على النظام الفريسى يبرز أمامنا قول لسيدنا يبدو لأول وهلة فقط أنه لا يمكن تعليله «فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا» (مت ٢٣ : ٣). ولكن إذا على التلاميذ الأسبقين ألا ينفصلوا دفعة واحدة عن المجتمع اليهودى فكان من الضرورى أن يتجهوا هذا الاتجاه لأنه مع أن الفريسيين لم يكونوا طبقة إلا أن روح الفريسيين شأنها شأن سلطة البابوية الحديثة المسماه Ulramontdanism لم تصبح الاتجاه الأول للفكر اللاهوتى فحسب ولكن مبادئها أعلنت إعلاناً هاماً وعمل به فى الجماعه كلها ـ وكان ممن علّموا بمبادئهم أعداؤهم الصديقيون. فكان الصدوقى فى الهيكل أو مجلس القضاء مضطراً أن يعمل ويقرر بالدقة كما كان الفريسى يعمل، لا لأن الحزب لم يحاول أن يجعل وجهات نظره سائدة غالبة ولكنهم كانوا قد هزموا هزيمة بسيطة، ويقال أنهم أنفسهم قضوا على كتاب تعاليم وطقوس الصدوقيين الذى كانوا قد وضعوه. ولقد عيد الفريسيون لكل نصر لمبادئهم وتعاليمهم فى عيد من الأعياد، وأقدم كتاب يهودى بعد الكتاب المقدس المسمى باليهودية «ميجيلات تانيث Megillath Tannith» ويترجم ملف الأعياد هو أساس تقويم تمجيدهم لأنفسهم الذى فيه انتصارات تعاليمهم جعلت أياماً حُرِّم فيها الصيام والحزن وعلى ذلك أياً كانت وجهات نظر تعاليم الصدوقيين وكيفما كان تحيزهم الشخصى فكان كلا الحزبين فى الخدمة يعملان كفريسيين، وكان الواحد فى الواقع كفء للآخر ففى عيد المظال عندما صَبَّ رئيس كهنة من الصدوقيين الماء على الأرض بدلاً من القناة الفضية للمذبح مع أنه كان ملكاً مكابياً لم ينج بحياته إلا بشق الأنفس وبعد ذلك باستمرار كانت الصيحات تتردد من كل جهات الهيكل: «ارفع يدك» عندما كان الكاهن يقوم بهذا الجزء من الخدمة سنوياً. وكان الصدوقيون يؤمنون أنه فى يوم الكفارة كان يجب على رئيس الكهنة أن يشعل البخور قبل أن يدخل

بالفعل قدس الأقداس. ولما كان هذا مخالفاً لوجهة نظر الفريسيين كانوا يحرصون أن يلزموه بقسم أن يحفظ عوائدهم وطقوسهم قبل أن يسمحوا له بالخدمة. كما كان من العبث أن يجادل الصدوقيون فى أن الذبائح اليومية ينفق عليها من الخزانة العامة ولكن من تبرعات شخصية فلم يكن أمامهم إلا أن يخضعوا. وزيادة على ذلك أن يشتركوا فى نصف الاجازة التى كتبتها الأغلبية المتهللة فى تقويمهم ليخلدوا ذكرى القرار. وكان الفريسيون يعتقدون أن الزمن بين عيد الفصح والبنديقوستى يجب أن يحسب من ثانى يوم العيد وأصَّر الصدوقيون على أن يبدأ بالسبت التالى بعد يوم العيد. ولكن رغم النقاش اضطر الصدوقيون أن ينضموا اليهم عندما سار الموكب المقدس عصر العيد ليضم أول حزمة وأن يحدد البنديقوستى كما فعل خصومهم.

لم ينشر إلا عدد قليل من الخلافات فى الطقوس بين وجهات نظر الصدوقيين ووجهة نظر الفريسيين. وكان المبدأ الأساسى ينحصر فيما يلى : كان الصديقيون يتمسكون بحرف الشريعة لا يزيدون ولا ينقصون سواء أكانت النتائج تجعل القرارات أشد عسراً أو أشد يسراً. وطبقوا نفس المبدأ فى وجهات النظر القضائية أو الخاصة بالتعاليم. ولقد يؤدى بنا إلى تفصيل كثير لو أوردنا شرح الموقف القضائى ولكن سوف يدرك القارئ كيف أن هذه الحرفية ستجعل قراراتهم القضائية (أو بالأحرى التى اقترحوها أشد قسوة من قرارات الفريسيين بالتطبيق الحرفى للمبدأ عين بعين وسن بسن) ويصح القول فيما يختص بشرائع التطهير وبالشرائع التى تنظم الميراث. ونستطيع أن نعرف وجهات نظر الصدوقيين معرفة كافية من العهد الجديد، ومن الحقيقى أنه فى معارضتهم لوجهة نظر الصدوقيين بخصوص عدم وجود عالم آخر وعدم وجود قيامة غيَّر الفريسيين نص الهيكل إلى «مبارك الرب من عالم إلى عالم» إلي (من جيل إلى جيل أو عالم بلا نهاية) ليظهروا أنه بعد العالم الحاضر هناك حياة أخرى ببركتها وعقوبتها، بفرحها وحزنها، إلا أن التلمود ينص صراحة على أن المبدأ الحقيقى للصدوقيين لم يكن أنه ليس هناك قيامة ولكن أنه لم يمكن اثبات ذلك من التوراة أو الشريعة، ولم يكن هناك إلا خطوة قصيرة لإنكار المبدأ إنكاراً تاماً. ولكن هناك أيضاً مبدأ الحرفية المطلقة الذى كان وراء أكثر أخطائهم تطرفاً.

وكان المبدأ فى الواقع ضرورياً جداً لوجودهم لقد تتبعنا الفريسيين ليس إلى فترة محددة فحسب ولكن إلى حادثة خاصة واستطعنا أن نشرح اسمهم وهو (المنفصلون)

ولا ندعى أنهم أطلقوه على أنفسهم لأنه ما من طائفة أو حزب اتخذ له اسما لأن الكل يدعى أن بحق وأمانة يمثل الحق ذاته. ولكن عندما سموا فريسيين تعلق الكبارين أى الأعضاء بهذه التسمية الشعبية وإن شئنا أن نضرب مثلاً كان اسم الفريسيين مثل حزب البيورتيان (المتطهرين) الذى أطلق على حزب فى الكنيسة مختلف تماماً وعلى عكس نظيره الاسرائيلى. ولكن الاسم الصدوقيين فيكسو الغموض اسمه كما يكسو نشأته. ولنحاول أن نلقى ضوء على كل الاسم والنشأة ولنقدم لذلك بالقول أن الاشتقاق المشترك لاسمهم سواء من رئيس الكهنة صادوق أو الرابى المسمى صادوق الذى كان مبدأه الأساسى عدم طلب المكافأة فى الدين واعتقد الناس أنهم أساءوا فهمه وتطبيقه. أو كان الاسم مشتقاً من الكلمة العبرية «صديقين» zaddikim أى (أبرار) وكل هذه التفسيرات غير كافية ومقنعة وربما كانت كلها على عناصر من الحق. ولا يمكن أن يكون هناك شك فى أن طائفة الصديقيين نشأت كرد فعل للفريسيين. وإذا كان الفريسيون قد أضافوا إلى الشريعة تفاسيرهم وتقاليدهم وهوامشهم فإن الصدوقيين أقاموا مبدأهم وتعاليمهم على مجرد حرف الشريعة وحده بدون اضافات. ولن يكون له ما يضيعه الفريسيون أو ما يزيده على الواجب المفروض ولن يكون مفرطاً أو مبالغاً فى البر ويكفيه أنه يضطر إلى التمرين على «الصدقه zedakah باليهوديه وتترجم (بالبر) ويمكننا أن نفهم أن شيبوليت shibboleth هذه أصبحت فى أفواه الناس لقباً على الحزب يستعلمها البعض للسخرية والبعض للاستحسان. وبالتدريج تعلقوا باسمهم كما تعلق الفريسيون باسمهم وإلى هنا نتفق مع أولئك الذين يرجعون لقب الصدوقيين إلى صاديقيم ولكن لماذا كان التحويل من (الصديقيم باليهودية) إلى (الصدوقيم) ذلك التغيير على أساس لغوى لم يكن هذا التغيير البسيط فى حرف واحد مع ما له من معنى كبير بطريقة عادية من عمل أعدائهم، وكأنهم قالوا (أأنتم صاديقيم لا بل أنتم صادوكييم من الكلمة الآرامية «صادو zadu ومعناها (ضياع وخراب) قاصدين «لستم متمسكين ومقيمين للبر والاستقامة بل أنتم مضيعوها وهادموها، وأصل التسمية هذا يتفق تماماً مع محاولات الحزب الأخيرة إلى نسبة الحزب إلى صادوق رئيس الكهنة أو لآباء التقليد اليهودى الذين اتخذوا مبدأ متباهين به. ويسجل التاريخ بعض أمثلة مشابهة عن محاولات من تتبع منشأ حزب دينى، وسواء أكان هذا صحيحاً أم لا

نستطيع أن نفهم أن الذين تمسكوا بآراء الصديقيين كانوا ينتمون إلى الحزب الارستقراطى الغنى المترف، ومنهم عائلات الكهنة الأثرياء بينما غالبية الشعب وخاصة النساء احترموا وعضدوا حزب الفريسيين. ولقد شهد يوسيفوس بذلك، وتأيد ذلك أيضاً من العهد الجديد. وهكذا نظام الكاباريم الاتحاد المهنى أصبح بالتدريج حزبا شعبياً مثل الحزب المعضد للنفوذ البابوى ultramontanes وأخيراً كما كانت الحركة الفريسية معتمدة بطبيعتها على التقاليد الشعبية لم تصبح الاتجاه السائد فى دراسة اللاهوت اليهودى ولكن الكابر (العضو فى الاتحاد) أصبح بالتدريج الرابای Rabbi والحكيم Sage وتلميذ الحكيم disciple of the sageبينما من لم يكن عضواً أوالاالأم ها ـ أرتز) أى (ساكن الأرياف العامى) أصبح اسماً مميزاً للجهل بالتقاليد الشعبية وإهمال الوصايا والطقوس. وكان هذا هو الواقع عندما جعل انحلال المجتمع اليهودى التزامات الأخوة مستحيلاً استحالة ضرورية. وفى هذه الظروف المتغيرة لن يكون الفريسى العجوز التاريخى غالباً أو بسيطاً لقادة الحزب كما كان الحال كثيراً مع متمسكى الطائفة والمؤيدين العنيدين لطائفة قد أحدث فيها تقدم الزمن القوى الذى يقاوم تغييرات كثيرة وجمة.

لقد أظهر مجرى أبحاثنا أن كلا الفريسيين والصدوقيين لم يكن طائفة بمعنى أنهم إنفصلوا من الهيكل أو المجمع، كما أوضح أن الشعب اليهودى لم ينقسم إلى فريسيين وصودقيين، ونحن نعلم أن الفريسيين نشأوا كنظام ثم سمى حزباً وأخيراً كان يمثل اتجاهاً لفكر لاهوتى، ويؤيد هذا قلة عدد الفريسيين المعترف بهم فى أيام هيرودس، كما يؤيد هذا ممثلو المسيحية في العهد الجديد. والملاحظة الغريبة أن فيلوphilo لم يذكر اسم الفريسى وهو يتوافق مع نتيجة أبحاثنا التاريخية. ولا يتحدث العهد الجديد إلا عن هذين الحزبين. ولكن يوسيفوس وفيلو يذكران أيضاً الاسينيين، وأنه لخارج عن ميدان البحث أن نصف مبادئهم وتعاليمهم وممارساتهم ،أو أن نبحث منشأ تسميتهم. ومن طبيعة هذا الحزب لم يكن لهم تأثير كبير ولم يستمروا إلا لمدة قصيرة، ويبدو أنهم جمعوا بين الدرجات العليا للفريسية بوجهات نظر تقوية وممارسات من حركات رهبانية شرقية وخاصة من ديانة مادى وفارس، ومما يعتبر دليلاً كافياً على اتصالهم بالحركة الفريسية أن الغرض الأوحد لأنظمتهم كان أوج الطهارة ويتضح اتصالهم بالديانات الشرقية من دراسة وجهات نظرهم التى حفظت حتى أيامنا ومن

مقارنتهم بنظام زرادشت zoroastrian ومن احاطة فلسطين بالمؤثرات الفارسية.

ولم يبلغ عدد الاسينين أكثر من أربعة آلاف؛ وإذ أنهم عاشوا بعيدين عن الآخرين لا يختلطون بالمجتمع, ولا فى العبادة وامتنعوا عن الزواج, لذلك بادوا. وفى الحقيقة تشير كتابات المعلمين (الرابايين) إلى عدد لا بأس به مما يمكن أن يوصف كطوائف, كلهم ينتمون إلى جماعات الفريسيين المتوحدين المتصوفين. ونحن هنا نذكر أولاً (الفاتيكين) Vathikin أو «الأقوياء» الذين كانوا يقدمون صلواتهم فى الفجر. وثانياً (الطوبل شاكريث) toble Shachrith «معتمدى الصباح» الذين غطسوا فى الماء قبل صلاة الصباح حتى ينطقوا بالاسم الإلهى فى حالة طهارة. وثالثا (الكيحالا كديشا) Kehala Kadisha أى «الجماعة المقدسة» الذين كانوا يقطعون ثلث اليوم فى الصلاة والثلث الثانى فى الدراسة والثلث الثالث فى العمل. ورابعاً قسم (البنائيم) Banaimm أى «البنائين» الذين فضلاً عن أنهم يهدفون إلى النقاوة السامية العليا يشغلون أنفسهم بدراسات صوفيه عن الله والعالم. خامساً (الزينديم)zenuim أى (التقى فى السر) الذين احتفظوا بأقسامهم وكتاباتهم سرية قاصرة عليهم. سادساً (النقى هادات)Nekije hadaath أى (النقى السريرة) وهم المعتزله من اخوانهم سابعاً (الكاشايم) chashaim أى «السريين» وأخيراً (ألآسيم) Assim أى «المساعدين والشافين المرضى» وهم الذين اعترفوا بأنهم يعرفون النطق الحقيقى للاسم المقدس (يهوه) بكل ما يتضمنه ذلك.

فإذا قابل أحد من مدن يهوذا شبح رجل كل ملابسه بيضاء يبدو عليها آثار القدم لأنها لم يكن ليستغنى عنها حتى تبلى، ولكنه نظيف غاية النظافة لكان هذا من الأسينين؛ وعند ذلك كان المارة يقفون لتوهم يتطلعون إليه بمزيج من الاحترام والتعجب لأنه لم يكن يرى فى مدينة أو قرية إلانادراً ، ذلك المجتمع الذى انفصل من بقية الناس وسكن البرارى الموحشة وخاصة قريبة من البحر الميت. ويتميز نظامهم بصفات خاصة، وكان نظامهم معروفاً للجميع مبنياً على الشدة ونكران الذات كما على النقاوة والطهارة؛ وأنهم كانوا يقدسون السبت تمام التقديس، ودائماً كان ذلك فى مجامعهم ومع أنهم كانوا يقدمون هدايا للمذبح لم يحضروا إلى الهيكل أو قدّموا ذبائح، لأنهم لم يعتبروا التنظيمات والطقوس طاهرة بمقتضى الشرائع اللاوية ولأنهم انتهوا أن يعتبروا مائدتهم مذبحاً وأكلاتهم العامة ذبائح، وكوّنوا نظاماً مرتبطاً

بأغلظ الأقسام ويحلفون بحلف مخيف تحت أقسى نظام. وكان الأعضاء يمتنعون عن تناول كل من الخمر واللحم والزيت، وكان معظمهم يمتنعون عن الزواج. وكانت كل السلع بينهم مشتركة وكانوا مرتبطين بالفقر والطهارة وطاعة الرؤساء. وكانوا يوصون بطهارة الأخلاق وخاصة فيما يتعلق بقول الحق وكان محرماً أن تقسم بقسم أو أن تقتنى عبيداً. وكان النظام على أربع درجات. وكان اختلاط أحد من درجة أدنى ينجس من كان من درجة أعلى. وكان العضو الجديد يظل هكذا عدة سنين ولو أن الطالب يضم فى نهاية العام إلى زمالة أعلى. وكان الحكم فى أيدى الشيوخ elders الذين كان لهم سلطة القبول والطرد وكان هذا معادلاً للموت جوعاً لأن الأسينى قد أقسم بايمان مغلظة ألا يشترك مع آخرين. وكان يومهم يبدأ بالشروق عندما كانوا يذهبون للصلاة وقبل ذلك لا ينطق أحد بشيء علمانى، وبعد الصلاة كانوا يقومون بأعمال زراعية لأنهم لم يسمح لهم برعى الغنم أو الماشية أو كانوا يقومون بأعمال الرحمة وشفاء المرضى، وفى الساعة الحادية عشرة كانوا يستحمون ويغيرون ملابسهم ثم يجتمعون لتناول أكلة ـ جماعية، وكان كاهن يبتدئ ويختتم بالصلاة. وكانوا يجلسون تبعاً للسن والدرجة وكان المسنون يشتركون فى الحديث الجاد بنغمة هادئة لا تسمع من الخارج، وكان الصغار يقومون بالخدمة، وكان كل واحد يعطى خبزاً وملحاً وكان يسمح للشيوخ بتوابل من الـ Hyssop وكانوا يتمتعون بالماء الدافىء. وبعد تناول هذه الأكلة كانوا يخلعون ملابسهم ويعودون للعمل حتى المساء وكان يقدم لهم طعاماً مشتركاً يتبعه تراتيل سرية ورقص ترمز إلى ابتهاج ونشوة العقل.

ولا حاجة بنا إلى أن نتتبع الموضوع إلى أبعد من ذلك وحتى ما قيل بدون اعتبار انعزالهم من العالم وحفظهم للسبت بطريقة خاصة ووجهة نظرهم فى التطهير ومعارضتهم للذبائح ورفضهم لمبدأ القيامة كاف لإثبات أنهم لا علاقة لهم بمنشأ المسيحية، والتأكيدات من هذا النوع تدهش دارسى التاريخ الهادئ وتؤلم المسيحى ومع ذلك فلا يمكن أن يكون هناك البتة أن هذه الطوائف المعتزلة الصوفية احتفظوا بأراء عن الكاهن الإلهى وعن المسيا وعن ملكوته وعن تعاليم مشابهة ظهرت فى تقاليد المجمع السرية والتى تحتوى صدى للحقائق المسيحية العجيبة.

ولن ندخل هنا فى هذه النقطة المسيح والانجيل بين الفريسيين والصدوقيين والاسنيين ونستطيع أن نصور لأنفسنا المنظر وندرك العلاقة المتبادلة وبكل تأكيد لم تقدم الجماعات الكائنة فى ذلك الوقت ولا الميول والحركات الدينية ولا روح ذلك العصر أية نقط اتصال ولم تقدم سوى قضاء مطلق وضرورى لملكوت السموات، فإن الذى أعد الطريق لملكوت السماء لا يرجع إلى أحد منهم، فالصوت لم يصرخ إلا فى البريه فكان عليه أن يشير إلى أبعد أى أسبق من أصل الفريسيين والصدوقيين والاسينيين، بل كان عليه أن يشير إلى أصل تقديس اسرائيل بالفصح التقديس الذى كان سيستعلن فى حقيقته فصرخ قائلاً: « أنظروا حمل الله الذى سيحمل خطايا العالم» (يو ١ : ٢٩). فإذا كانت معجزة المسيحية الأولى هو نقض الحاجز المتوسط تكون الثانية وربما كان من الواجب أن نذكرها أولاً لندرك رمزيه آيتى قانا ـ أن المسيحية لم تجد شيئاً يشبهها فى المجتمعات الدينية التى حواليها أو شيئاً يتعاطف معها ولم تجد أى أصل يطعم فيه النبات الجديد ولكنها كانت كأصل شجرة فى أرض جافة يقول عنه الفريسيون والصدوقيون والاسينيون «لا منظر له ولا جمال وعندما نراه ليس فيه جمال نشتهيه» (أش ٥٣ : ٢).



نسخ الشريعة عند الأسينين

الفصل السادس عشر

المجامع : أصلها ـ تكوينها ـ مظهرها الخارجى

يا له من قول جميل قاله الراباى يوكانان إن من يصلى فى بيته يحيطه ويحصنه بسور من حديد. ومع ذلك فيبدو أن ما يلى يناقضه إذ يشرح قائلاً إنما لا يصح هذا إلا إذا كان الإنسان وحده ولكن حيث تكون صلاة جماعة فيجب أن تقدم فى المجمع. ويمكننا أن نفهم بسرعة كيف أنه بعد خراب الهيكل وتوقف عبادته الرمزية كان المتوقع أن تزداد قيمة حضور المجمع فى نظر الجمهور حتى نعرف حدود الاعتدال والعقل وعلى ذلك طبقت عليها أقوال (أش ٥٦ : ٢٠، ٤ : ٦، مز ٨٢ : ١). ويزيد على ذلك تلمود بابل عندما يقول أن الصلاة التى يوجهها انسان إلى الله لن يكون لها تأثير مناسب إلا إذا قدمها فى المجمع، وأنه إذا تعود شخص أن يتردد على المجمع وفاته ذلك مرة فإن الله سيطلب منه أن يقدم السبب وأنه إذا وجد الله الدائم أقل من عشرة مجتمعين فإن غضبه سيثقل كما هو مكتوب (أش ١ : ٢)، وأنه إذا كان هناك مجمع فى البلد ولم يدخله شخص للصلاة سمى جاراً شريراً ويجلب السبى على نفسه وعلى أولاده كما هو مكتوب فى (إر ٢٢ : ٤)، فى حين أن عادة الالتجاء إلى المجمع فى الصباح الباكر تسبب طول العمر. وإذا تغاضينا عن هذه المبالغات فلن يكون هناك أدنى شك أنه قبل مدة التلمود بزمن طويل كان نظام المجمع قد انتشر ليس فقط بين الفلسطينيين (يهودى فلسطين) ولكن بين يهود الشتات وأنهم شعروا بضرورته المتزايدة لأسباب داخلية وخارجية.

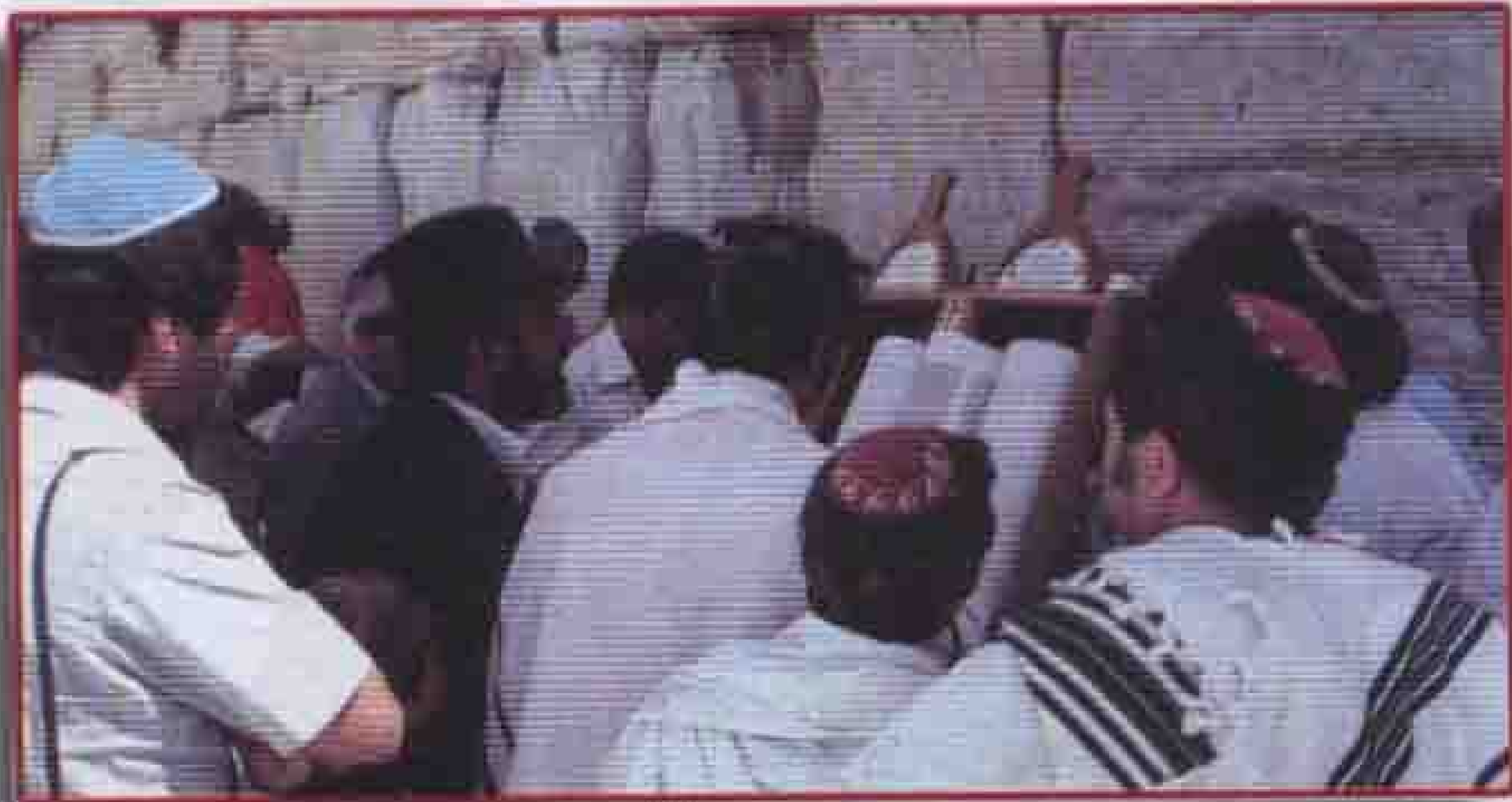
ويعرف قراء العهد الجديد أن المجامع فى أيام سيدنا كانت منتشرة فى الأرض كلها وأنهم قرأوا فيها أسفار موسى (أع ١٥ : ٢١)، وأنها كانت تحت حكم بعض السلطات الذين راعوا النظام وأن الخدمات نظمت على وجه التحديد مع حصولهم على حرية واسعة، وأن بعضاً منها كانت قراءة الأنبياء وكان يتبعها وصايا وتعاليم أو عظة (لو ٤ : ١٧) (أع ١٣ :١٥) وكلمة «سيناجوج» Synagogue مشتقه من كلمة اغريقية معناها (اجتماع ـ لأغراض دينية) والكلمة المرادفة «كنيسا» chenisah أو

«كنيست cheneseth وزبـور zibbur وفات vaat وكاحال kahal ولكن من المهم أن نلاحظ أنه بين العهد القديم والمعلمين (الرابى) بينهم درجات فى التمييز بين هذه التسميات ومعروفة جيداً فى المناقشات اللاهوتية الحديثة، فمثلاً يستعمل اصطلاحان للإشارة إلى اسرائيل كجماعة هما (أيداه) edah و(كاحال) kahal ويبدو أن الكلمة أيداه تشير إلى إسرائيل خاصة فى نظامها الخارجى كجماعة وهو ما يسميه الحديثون الكنيسة المنظورة بينما كلمة كاحال تشير إلى العلاقة الداخلية الروحية، وحتى الترجمة السبعينية يبدو أنها رأت هذا الفرق فكلمة ايداه ترد مائة وثلاثين مرة وتترجم فى الترجمة السبعينية بمجمع ولا تترجم بكلمة إكليسيا ecclesia (كنيسة). بينما كاحال تترجم فى سبعين مكان إكليسيا ecclesia ولا ترد إلا سبعة وثلاثين مرة بلفظة سيناجوج أو مجمع. وبالمثل يستعمل المشناه كلمة كاحال للدلالة على اسرائيل ككل. بينما كلمة زبور zibbur مثلا بدلا من كلمة كنيسة وكنائس أى للدلالة عن الجماعات منفردة وعن إسرائيل ككل .

وأصل كلمة مجمع يتوه فى غموض التقليد وطبعاً يرجع بها المعلمون (الرابى) إلى الآباء أمرهم فى ذلك أمرهم فى كل الأنظمة ولذا فكل من تارجوم يوناثان وتارجوم أورشليم يمثل يعقوب كأحد الحاضرين فى المجمع ورفقة كمن يلجأ إلى المجمع طلباً لنصيحة عندما شعرت بالتنازع بين ابنيها، وعندما نقرأ فى (٢ مل ٢٢ : ٨) أن شافان الكاتب اكتشف سفر الشريعة فى (بيت الرب تضمن هذا أنه فى كلمة الملك يوشيا لم يكن مجامع فى الأرض لأنه كان الغرض الأساسى لها ضمان القراءة الأسبوعية وطبعاً حفظ أسفار موسى (أع ١٥ : ٢١). Authorese Version والترجمة الأصلية يرد فيها ترجمة (مز ٧٤ : ٢) «قد حرقوا كل مجامع الله فى الأرض» ولكن هناك ما يدعو إلى مراجعة هذه الترجمة وحتى أن أعترف بها فلن تحل مشكلة تحديد زمن منشأ المجامع. وعلى العكس من ذلك فليس هناك أى إشارة من الشريعة والأنبياء إلى عبادة المجمع وهذه من نفسها تكون حاسمة فيما يختص بأهمية الموضوع، فضلاً عن أنه يمكن أن يقال أنه لم يكن هناك متسع لمثل هذه المجتمعات فى النظام الدينى للعهد القديم، فهناك كل العبادة نمطية ـ خدمة الذبائح تشتمل على الطريقة التى بها تتقرب اسرائيل إلى الله كما تشتمل على الطريقه التى بها يبارك الله شعبه، والاجتماع للصلاة للشركة وللانتساب إلى الآب (أو للتبعية

للآب) خاص فيما يتعلق بالكنيسة ككل بانعام الروح القدس (وإعطائه). ومما يطابق المبدأ العام أنه عندما كان يقام الرجال المملوؤن بالروح القدس من آن لآخر كان واجباً على أولئك الذين يشتاقون إلى معرفة أعمق وتخاطب أكثر خصوصية مع الله أن يجتمعوا حولهم فى السبوت والأهلة كما لجأت الشونمية التقية إلى اليشع (٢ مل ٤ : ٢٣)، وكما اعتاد آخرون أن يفعلوا إذا كانوا على مقربة من أى الأنبياء أو تلاميذهم. ولكن تغيرت الأحوال والظروف أثناء الأسر البابلى فعندما حرم اسرائيل من خبرات الهيكل كان من الضرورة القصوى المطلقة قيام أى نوع من الاجتماعات الدينية إذا أريد بالناس ألا ينحطوا أو ينحدروا إلى الوثنية وممارساتها وهذا الخطر الذى لم يمكن تجنبه رغم تحذيرات وانذارات الأنبياء والوعد بالخلاص، وأصبح واضحاً أن نظام المجامع مرغوب فيه لا بل ضرورى للحفاظ على الرابطة القومية التى تربط اسرائيل وكذلك لاستمرار ولإبقاء وجودهم وكيانهم الدينى. وفى الحقيقة إن من يقرأ سفرى عزرا ونحميا قراءة انتباه ووعى سوف يكتشف نشأة المجامع فى الفترة بعد العودة من بابل إذ أنها كانت نقطة بداية أساسية فى تلك الفترة وهامة لتعليم الذين عادوا جهلاء لا بل كادوا يكونون وثنيين. ثم أتت فترة الظلم والاضطهاد السورى والثورة المكابية ويمكننا أن نفهم أنه فى مثل هذه الظروف كان من الطبيعى أن ينشأ نظام المجامع وأن يتطور بالتدريج حتى يبلغ ما بلغه بعد ذلك من الضخامة والأهمية، لأنه يجب أن نتذكر أنه بقدر ما ضاعت الأهمية الروحية لخدمات الهيكل وبقدر ما أصبحت الروح اليهودية أصبحت مجرد أوامر ومراسيم خارجية وانقسامات دقيقة ونقاشاً منطقياً بقدر ما زادت أهمية المجامع. وهكذا حدث فى أيام المسيح أنه ما من مستوطنة أجنبية لليهود إلا وكان لها مجمع أو أكثر وكان مجمع الاسكندرية فخماً جداً تكلم عنه كلا التلموديين بمبالغة كبيرة، بينما بذرت المجامع فى فلسطين بذراً مكثفاً ،وإنما إلى هذه وحدها سوف أوجه الالتفات .

ما من مدينة أو قرية كان بها عشرة رجال يستطيعون أو يريدون أن يهبوا أنفسهم للأمور الدينية إلا ويكون فيها مجمع أو أكثر، ولو سأل سائل لماذا تحدد العدد عشرة كالحد الأدنى لتكوين الجماعة يكون الرد طبقاً لما ورد فى سفر العدد (١٤ : ٢٧) أن «الجماعة الشريرية» تكونت من عشرة جواسيس أشاعوا مذمة الأرض (باستثناء طبعاً يشوع وكالب). والمدن الأكبر حجماً كان بها مجامع عديدة وبعض منها كان



يهود يصلون ويقرآون التوراه أمام
حائط المبكى بالقدس



التيفلين (العصائب)

يهودي يصلي وهو يلبس التيفلين علي الرأس وذراعه اليسري، والتيفيلين هو العصائب التي ذكرت في إنجيل متي (مت ٢٣ : ٥).

بها مجامع كثيرة ومن سفر الأعمال (أع ٦ : ٩) نعرف أنه كان فى أورشليم كثير من المجامع كما ترك لنا التقليد وصف مجمع الاسكندريين وكان اسطفانوس ينتمى إلى طبقة اليهود فيه بالمولد والتعليم ولهذا السبب وجه الكلام إليهم. ويقول المعلمون (الرابای) أنه فى وقت خراب أورشليم لم يكن بالمدينة أقل من ٤٨٠ مجمعاً أو على الأقل ٤٦٠ وإن لم يكن العدد المحدد ٤٨٠ هو حاصل ضرب الأعداد الرمزية (٤ × ١٠ × ١٢) أو لغرض سرى آخر مماثل فإن العدد مبالغ فيه مبالغة فاضحة ، ومع ذلك فإن الغريب عندما كان يدخل المدينة أو القرية لم يكن من الصعب عليه أن يجد الطريق إلى المجمع فإذا لم يكن له كما فى الكنائس منارة توجه أنظار الناس إلى السماء كانوا يختارون أعلى نقطة مكاناً للمجمع رمزاً إلى أن اهتماماته تعلو على كل شىء وتذكيراً بقول النبى بيت الله يجب أن يقام فى قمة الجبال يعلو كل التلال (أش ٢ : ٢) فإذا لم يسهل الحصول على مكان كهذا كانوا يقيمونه فى زوايا الشوارع أو عند مدخل أهم الميادين طبقاً لما كان يعتبر كتوجيه عام له معناه فى (أم ١ : ٢١). وربما كان معلمنا يفكر فى هذا المعنى عندما تكلم عمن يحبون الصلاة فى المجامع وفى زوايا الشوارع (مت ٦ : ٥) لأنه كان من العادة المتبعة أن تقدم صلاة عند دخول المجامع وإذا كان الحصول على مثل هذا الموقع ممكناً فينصب عمود على السقف يصل إلى أعلى من أعلى منزل، فإذا كان المجمع فى مدينة أخفض من المساكن الأخرى أخذ ذلك على أنه علامة على قرب خرابها.

ويساعدنا على تكوين فكرة عن أبنية المجامع أقدمها ولازال موجوداً وأيضاً الحفائر الحديثة فى فلسطين، فمن الداخل كان المجمع بناء مستطيلاً أو دائرياً بصف مفرد أو مزدوج من الأعمدة ويزينه بعض الرسوم المحفورة قليلة كانت أو كثيرة ،وفى الخارج كانوا ينحتون أى رمز مقدس على الأسقف وعادة وكثيراً ما كان النقش نقش المنارة ذات السبعة أفرع أو قسط المن وهناك مثل ملحوظ لاستخدام قسط المن رمزاً وهذا المثل هام لا يمكن التغافل عنه.

ففى كفرناحوم مدينة سيدنا (مت ٩ : ١) كان هناك مجمع واحد اتفق على أن من قام ببنائه قائد المائة التقى لأنه ولو أن الترجمة الرسمية تنقل توصية شيوخ «اليهود هو يحب أمتنا وبنى لنا مجمعاً (لو ٧ : ٥) فى الأصل الاداة أداة تعريف لا أداة تنكير أى أنه بنى لنا المجمع ،كما نستنتج نفس الاستنتاج عن الناصرة فنقول أن

الناصرة كان بها مجمع واحد (مت ١٣ : ٥٤). وكان موقع مدينة كفرناحوم القديمة مجهولاً حتى وقت قريب نسبياً ولكن ربطها بتل حوم الحديثة والدليل على ذلك قوى لا يهتم أحد بنكرانه، ومما يزيد فى أهميته أن بقايا هذا المجمع الذى بناه قائد المائة الصالح قد كشف الغطاء عنه واتضح أن طريقة بنائه ترجع إلى مدة ملك الملك هيرودس، وكأنه أريد ألا يكون شك فى هذا وهنا يأتى التأييد المحتمل والغريب فى احتماله لقصة الانجيل.

إذ نتذكر أنه قبل تكثير يسوع سيدنا بكلمة بركته قليل الزاد الذى أحضره ربما عن طريق المصادفة صبي بين خمسة الآلاف الذين أتوا زرافات ليسمعوه، فكان هناك ما يفى لحاجة خمسة آلاف بل ما يكفى لإثنى عشر رسولاً لكى يملأ كل سلة من كسر ما وزعه المخلص. وتبع هذا الاطعام العجيب ليل الخلاص العجيب فكان تلاميذه يعبرون البحيرة ودهمتهم الزوابع التى كثيراً ما كانت تنقض عليها من الجبال وفجأة كان السيد هو الذى رأوه ماشياً على البحر وهم فى تمام الدهشة وكان يقترب منهم وعندما سقط ضوء القمر على ذلك الشكل الخارجي الذى كانوا يعرفونه جيداً وبينما كان يقترب كان ظله يزداد اتساعاً على المياه التى احتملت أقدامه طاعة لأمره وكانت رؤيا عجيبة لا تصدق وأيضا حقيقة مخيفة لا تحتمل، ولذلك تردد التلاميذ فى قبوله فى السفينة ولكن حضوره وصوته أدخلا فيهم الطمأنينة وسرعان ما وصلت السفينة إلى الأرض. وكانت الأرض هى كفرناحوم وانبلج الصبح على البحيرة بهدوء وجمال الربيع كعادته وفى الحال انتشرت القلاع البيضاء على المياه الهادئة معلنة اقتراب الكثيرين من الجانب الآخر، وكانوا يتشوقون إلى لقاء النبى الذى طلبوا أن يقيموه ملكاً بالحماس الذى يميز سكان ذلك الاقليم والآن تبعوه عبر البحيرة ولم يكن من الصعب أن يجدوه فى مدينته موطن بطرس واندراوس (مر ١ : ٢١، ٢٩). ولكن ما كان مكان ليسع هذه الجماهير التى اكتظت حوله ولذا نستطيع أن نتصور أن هذه الجماهير سارت إلى المجمع ونستطيع أن نفرض أنهم كانوا يسألون وكان السيد يجيب كما هو وارد فى انجيل (يوحنا ٦ : ٢٥ - ٢٨). وبعد فترة وصلوا مدخل المجمع ونطق السيد بالحديث الذى تلى النقاش فى المجمع ذاته كما أخبرنا صراحة فى (يو ٦ : ٥٩) هذه الأشياء قالها يسوع فى المجمع وهو يعلم فى كفرناحوم» ولكن ما هو جدير بالملاحظة أن سجف باب المجمع

قد وجد فعلاً وأن الرسم عليه يحمل اشارة قريبة للسؤال الذى وجهه اليهود إلى يسوع، اشارة تجعلنا قادرين أن نتخيل أنهم أشاروا اليها وهم يدخلون المجمع : «أباؤنا أكلوا المن فى الصحراء كما هو مكتوب أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا» (يو ٦ : ٣١) ولقد قال (كانون وليامز)السجف الذى بين خرائب مجمع قائد المائة الصالح فى كفرناحوم نحت عليه رسم قسط المن وما هو أجدر بالملاحظة هو أن السجف مزين بوحدة متكررة من أوراق وعناقيد الكرم وهو رمز آخر للسر الذى تحدث عنه السيد باستفاضة فى المجمع.

وقبل أن نترك هذا الموضوع الشيق نستطيع أن نضع إلى جوار السيد ممثلين عن كنيسته رجلاً من الأمم ورجلاً من اليهود وكلاهما له علاقة بالمجمع يقول كانون وليامز «إن قائد المائة الصالح ذلك الجندى ذا القلب الكبير قدم النقوش الدقيقة الغالية التى تحيط بأعلى الجدران والأعمدة وتيجانها والمقاصير وهذه كلها بالروح التى قدم بها هذا الجندى ذو القلب الكبير تقدمته »وكان رئيس المجمع هو يايروس التى أتت صرخة ألمه وإيمانه بيسوع إلى بيته ليقول قولته المحيية يا طليثه قومى على الابنة الوحيدة التى تفتحت أنوثتها منذ قليل والتى كانت ترقد مسجاة فى الحجرة بينما كان الجمهور خارجاً والندابات المأجورات يندبن بأصواتهن المزعجة المتنافرة.

يكفى هذا القدر عن المظهر الخارجى للمجامع أما التنظيم الداخلى فيبدو أنه رسم أصلاً على نمط الهيكل أو خيمة الاجتماع وعلى الأقل أقدم المجامع الباقى حتى الآن مجمع اليهود القيروانيين فى جزيرة جريره جرب مكون من ثلاثة أجزاء على نمط الرواق والقدس وقدس الأقداس وذلك كما وصفه المرسل الدكتور يوالد. وفى المجامع كلها جسم البناء مع الفضاء المخصص للنساء يمثل رواق النساء بينما المكان الداخلى الأعلى مع التابوت خلفه بما فيه من أدراج الشريعة يمثل القدس نفسه، وبدوره يبدو أن المجمع هو الآخر اتخذ كأنموذج للكنائس المسيحية الأولى ولذلك لا يوجد فى لغة المعلمين بناء البازيليكا فحسب بل لفظة بيما bema نفسها،وهذا هو ما كان متوقعاً أعتبرنا أن المسيحيين الأوائل كانوا يهودا وأن الوثنية لم تستطع أن تقدم نمطاً للعبادة المسيحية.ولنعد ثانية إلى الموضوع فيما يختص بالمصلين كان من الخطأ أن نصلى خلف المجمع دون أن ندير وجهنا إليه. ويحكى أن إيليا ظهر فى شكل تاجر عربى وعاقب شخصاً اقترف هذا الاثم فقال له أنت تقف أمام سيدك وكأنه هناك

قوتان أى إلهان وما كاد يقول هذه الكلمات حتى استل سيفه وقتله .كما انتشرت فكرة أغرب من ذلك وهى أنه من الضرورى أن تتقدم على الأقل طول بابين داخل المجمع قبل أن تستقر للصلاة ويبرر هذا الرجوع إلى (أم ٨ : ٣٤). وهذا الاستنتاج غريب ولكنه ليس أغرب من استنتاجات بعض الحديثين من النقاد وفى الحقيقة ليس أغرب من التلمود نفسه الذى استنتج أن بلعام كان الشخص الوحيد الذى عرف بالدقة مدة غضب القدير لأنه مكتوب عنه (عدد ٢٤ : ١٦) أنه عرف أفكار العلى وذلك فى مناقشة طول غضب القدير فى صحيفة سابقة. وتوجيه آخر فى التلمود هو أن نغادر المجمع بخطى وئيدة وأن نهرع إليه بأسرع خطى ممكنة لأنه مكتوب (هو ٦ : ٣) «فلنتتبع لنعرف الرب» ويخبرنا الراباى سعيرا Rabbi Seira كيف أنه مرة هزأوا به لرؤية المعلمين يجرون فى السبت عندما يوصونهم بالراحة الجسدية ليحضروا عظة ولكن عندما فهم أن (هوشع ١١ : ١٠) ينطبق على التعليم فى الحلقة هو نفسه اشترك فى السباق، وهكذا نستنتج على الأقل ساخرا كما يبدو لنا أن المكافأة التى نحصل بها من العظة هو الاسراع الذى يجرى به الانسان إليها سواء أوصلت فى الوقت لتسمعها أو كان هناك فى العظة ما يستحق الاستماع.

وعادة كانت المجامع تبنى على نفقة الجماعة وإن كان يعاونهم فى ذلك جيرانهم الأغنياء وفى بعض الأحيان كما نعلم كانت تقام على نفقة أفراد وكان مفروضاً أن هذا يكسب تقديراً خاصاً. وفى أحوال أخرى وخاصة عندما يكون عدد اليهود قليلاً تخصص لهذا الغرض حجرة واسعة فى بيت أحد الأشخاص وهذا أيضاً أخذت به الكنيسة الأولى كما نفهم من (أع ٢ : ٤٦ وآية ٤٢) وهكذا نفهم التعبير الرسولى الكنيسة فى منزل فليمون (رو ١٦ : ٣و٥، ١ كو ١٦ : ١٩، كو ٥ : ١٥)، ويدل فى كل هذه وفى غيرها على أن حجرة فى بيت خاص قد خصصت ليجتمع فيها المسيحيون للعباده. وكانت المجامع تتقدس بالصلاة مع أنه حتى فى هذا لا يعتبر التكريس قد تم إلا بعد أن يقدم أحد ما الصلوات العادية حتى لو كان غريباً عابراً وقواعد النظام واللياقة مثل التى كانت تفرض فى الهيكل كان يوصى بها كل من يحضر المجمع وكان يطلب من الناس البساطة واللياقة فى الملبس والاحترام والهدوء فى السلوك وكانوا يفعلون ذلك بتفصيل وبوضوح متعبين، وكانوا يجمعون المال للفقراء ولفدية الأسرى. وإذا كان المجمع فى حالة خطرة كان يهدم على شريطة أن

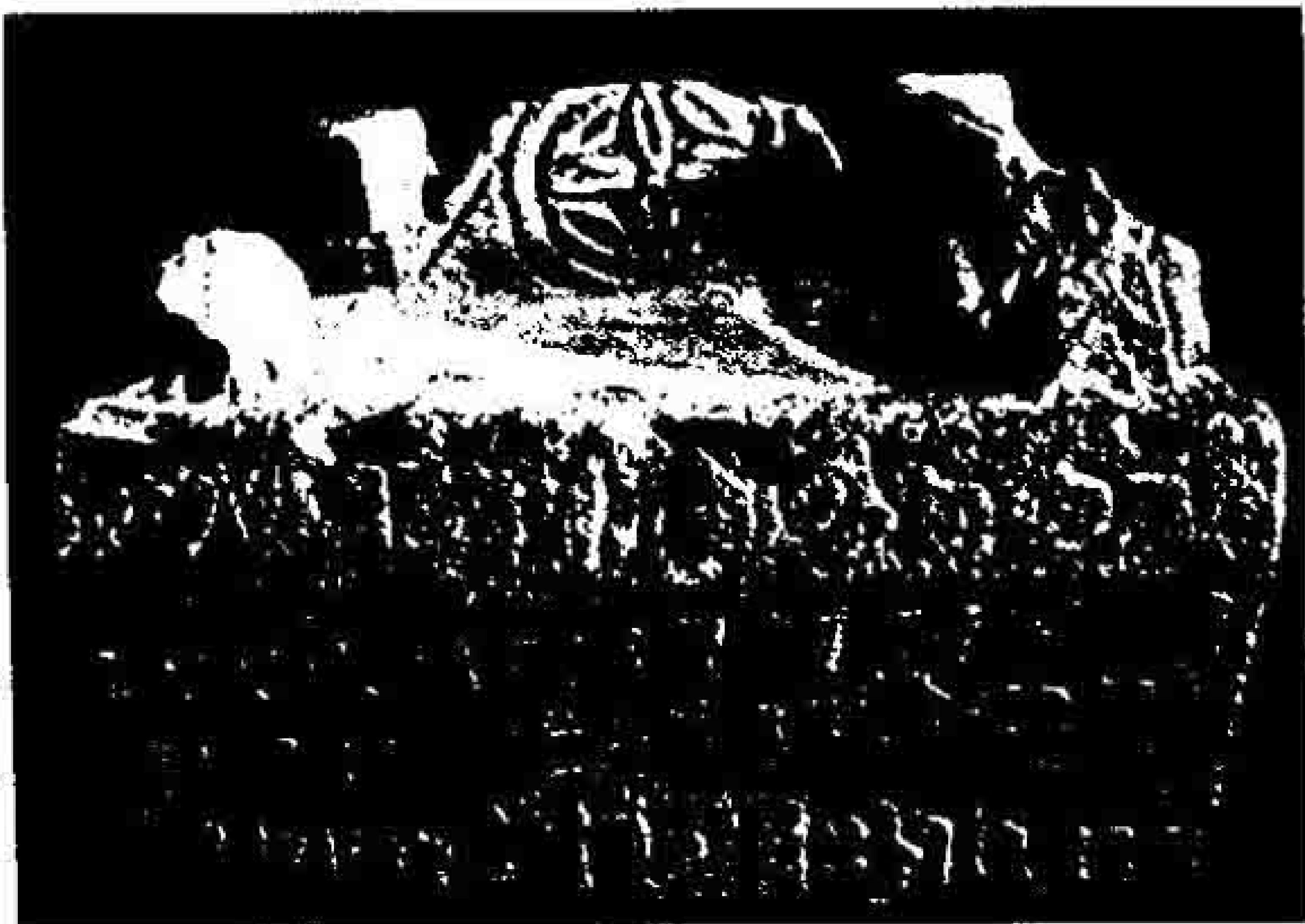
يبنى غيره بأسرع ما يمكن فى مكانه ولكن مع كل هذا فكان لابد أن يبقى المكان مقدساً ولا يتحول بقايا المجمع إلى مكان حزن ولا يستعمل كطرق عامة أو ترفع أحبال فيه لنشر الملابس أو تنشر شباك أو تجفف فيه فواكه. ومبدأ التقديس يطبق على كل مكان يعمل من هذا القبيل فى الخرائب الأخرى وكان يمكن استعمال النقود التى جمعت لبناء مجمع فى أغراض أخرى عند الضرورة القصوى أما إذا كانت أحجاراً أو أخشاب لبنائه فلا تباع ولكنها يجب اعتبارها مقدسة للرب وما كان مجمع المدينة لتنتقل ملكيته أو يستعمل لأغراض أخرى أما مجمع القرى فيترك التصرف فيه للسنهدريم المحليً على شريطة أن المكان لا يستعمل بعد ذلك حماماً عاماً أو مغسل أو بركة. وكان المال الذى يكرس لما هو أقدس من حجارة وملاط المجمع أى للتابوت الذى تحفظ فيه نسخ الشريعة. وكان ما يسمى بالهياكل الصغيرة أو أماكن حيث اعتادوا أن يقيموا الصلاة مختلفة عن المجامع وإن كرست لنفس الأغراض وكانت تقع خارج المدن على مقربة من الماء الجاري أو البحر لأغراض الاغتسالات المعتادة المتصلة بالصلاة.

وكما كانوا يحافظون على فصل الجنسين فى الهيكل فى أيام المسيح هكذا حافظوا محافظة شديدة على ذلك أيضاً فى المجامع، ولقد أمكن هذا بفضل حاجز من ألواح ومزود بجزء من حديد أو خشب مشغول وكانت هذه العادة مطابقة للعوائد والتفكير فى الشرق ،ولكن المعلمين الذين يطلبون دائماً سنداً كتابياً لكل ترتيب وإن يكن تافهاً وجدوا فى هذه الحالة سنداً لهم فى (زك ١٢ : ١١ - ١٤) حيث تكلم عن الزوجات خمس مرات كمنفصلين فى نوحهم بمرارة. وكان المجمع يبنى بحيث يكون المصلون يتجهون إلى أورشليم لمجرد توحيد الاتجاه وليس لذلك معنى فى العباده اليهودية وفيما وراء وسط المجمع قام رصيف وباليهودية (بيما) bema كما سمى قديماً Almmeor كما يسمى الآن، كان يصعد إليه من يدعى للقراءة من الجانب الأقرب إلى مكانه فى المجمع وينزل من الجانب الأبعد منه وكان فوق البيما هذا منبر وباليهودية (المجدل عز Migdal ez) أو المنبر الخشبى الذى ذكر فى (نح ٨ : ٤) ومنه كانت تقرأ فصول الناموس والأنبياء المقررة ومنه كانت تلقى العظات، وقف القارئ وجلس الواعظ ولذا نجد فى (لو ٤ : ٢٠) أنه بعد أن قرأ سيدنا جزء من سفر أشعياء طوى السفر وسلمه إلى الخادم وجلس قبل أن ألقى عظته فى مجمع الناصرة. وكانوا

يقدمون الصلاة وقوفاً ولو أنهم فى الهيكل كان المصلون يلقون بأنفسهم على الأرض ووجوههم إليها ولازالت هذه العادة متبعة فى بعض الصلوات والخدمات (والمنبر) لكتيرن ويسمى أيضاً مجدال (البرج)وكيس كورسيجا (كرسى وعرش) بيرجولاه وباللاتينية برجولا وقد يكون معناها مرتفع كانت وسط البيما أمام (التابوت) أو الذى كان يشغل المكان الداخلى فى المجمع كما لاحظنا سابقاً مقابل قدس أقادس الهيكل، وكان هو أهم جزء وكان يسمى الارون (Aron) وأيضاً التيفاه tevah أو تيفوتا Tevuthaالصندوق (مثل الصندوق الذى فيه نجا موسى و(الفلك) مثل سفينة نوح) أو هيكال hechal (المعبد الصغير) وفى الحقيقة كان يتكون من صندوق كان فيه أدراج سفر الشريعة وكان هذا الفلك قابل للنقل. حتى يمكن نقله فى مناسبات الصوم العام والصلاة ليوضع فى الشارع أو فى السوق حيث يجتمع الناس. وفى بعض الأحيان يكون هناك صندوق آخر لإدراج أسفار الأنبياء وكان يوضع فيها أيضاً أدراج أسفار موسى غير المستعملة أو التى أصابها التلف. وأمام الفلك كان يتدلى فيلون vilon تقليداً للستر أمام القدس، وفوقه كان يتدلى الـ نير أولام ner olam أو المصباح الموقد على الدوام، وبالقرب منه كانت المنارة ذات الثمانية فروع التى كانت تنار طيلة ثمانية أيام عيد تجديد الهيكل (يو ١٠ : ٢٢) أو عيد الشموع وعادة إيقاد الشموع سواء لتمجيد اليوم أو للعيد كانت معروفة فى المجامع. وطبعاً فيما يختص بهذه العادة أو فى غيرها من المستحيل أن نحدد ما كانت العادة بالضبط فى أيام سيدنا ولو أن القارئ يمكنه أن يستنتج ما هى الأعياد التى أدخلت بالتدريج. فقد يخرجنا عن موضوع بحث هذا الكتاب أن نتحدث عن التوجيهات المختلفة التى كان يجب مراعاتها فى نسخ أدراج (كتب) المجمع التى كانت تضم خمسة أسفار موسى أو أن نبين ما يجعلها غير صالحة للاستعمال ويذكر الرابای ما لا يقل عن عشرين سبباً لذلك. والآن الرقوق التى يكتب عليها الأسفار الخمسة تثبت على بكرتين وعندما يقرأ كل جزء من الناموس تدار البكرة اليمين وتلف على البكرة اليسرى ويربط الملف نفسه معاً بلفائف كتان أو أقمشة (ميتابكوث) mitpachoth ثم توضع فى صندوق تلكtkk وبالاغريقية ثيكى) وهذه الأشياء كلها مذكورة فى المشناه ولا يجب أن تشغل العادات والممارسات المتأخرة إلتفاتنا. وأخيراً يجب أن نلاحظ أنه من المحتمل أن الناس كانوا يقفون فى المجامع أو كانوا يجلسون على الأرض ولكن عندما كانت

الخدمة تطول كانوا يزودنه بما يسهل الجلوس، وكانت الجماعة تجلس ووجوهها صوب الفُلك أى التابوت أما حكام المجمع والمعلمون والمتميزون من الفريسيين وآخرين الذين كانوا يطلبون مجد الناس طالبوا بالمقاعد الرئيسية التى كانت توضع وظهورها للتابوت ووجوههم للمصلين وهذه المجالس التى تسمى بنفس اسمها فى العهد الجديد كانت أهداف طمع خاص (مت ٢٣ : ٦) ودرجة خاصة واحترام خاص أو أقدمية تعطى الرابای أو شخص ذا نفوذ أو أولوية ولقد أشار سيدنا إلى هذا صراحة فى (متى ٢٣ : ٦) كإحدى مظاهر كبرياء الفريسيين المميزة ويتضح من تحذير القديس يعقوب (يع ٢ : ٢ – ٣) من تكريم الأشخاص ذلك الإكرام الذى يقدم فى مجامع المسيحيين المجلس الأول لمجرد اللباس البهى وخاتم الذهب ذلك التكريم الخالى من الروح المسيحية الحقة.

إلى هنا تحدثنا عن الترتيبات الخارجية للمجامع وسوف يكون من الضرورى هنا أن نعطى صورة تخطيطية سريعة لفوائدها ولعبادتها وموظفيها ولقد أشير إليهم فى مواضع متعددة فى العهد الجديد.



كرسى اكتشف فى أثار مجمع كورازين، والمذكور فى الإنجيل «على كرسى موسى جلس الكتبة والفديسيون» (مت ٢٣ : ٢).

الفصل السابع عشر

العبادة فى المجامع

من أصعب المشاكل فى التاريخ اليهودى وجود مجمع داخل الهيكل، ولا يمكن تجاهله أمام الشهادة الواضحة لشهود معاصرين فى أن مثل هذا المجمع وجد وان مكان اجتماعه فى صالة الأحجار المنحوتة فى الزاوية الجنوبية الشرقية لرواق الكهنة ،فإذا تذكرنا أن صالة الحجارة المنحوتة كانت أيضاً مكان اجتماع السنهدريم العظيم Sanhedrimوأن القرارات القانونية والمحاضرات والمناقشات اللاهوتية كانت جزء مما يشغلهم، قد دعونا ذلك أن نفرض أن كلمة «مجمع» synagogue استعملت بأوسع معانيها لأن مثل هذه المبانى استعملت عامة خلال البلاد كلها لهذا الغرض المزدوج وللعبادة أيضاً. ونجد مثلاً للمناقشات والمحاضرات الدينية فى الهيكل بالمناسبة التى وجد والدا سيدنا ولدهما جالساً وسط المعلمين يسمعونه ويسألونه (لو ٢ : ٤٦)، ولا يستطيع أحد أن يشك فى أن هذا يفسر كيف أن الكتبة والفريسيين استطاعوا كثيراً أن يجدوه وهو يعلم فى الهيكل بأسئلتهم الصعبة المعقدة، حتى ذلك الحوار عن طبيعة المسيا الذى اختتمه بسؤاله المسكت :«فإن كان دواد يدعوه رباً فكيف يكون ابنه» (مت ٢٢ :٤٥). ولكن بالاشارة إلى الهيكل تبرز لنا الصعوبة الآتية أنه كانت هناك صلوات خاصة مرتبطة به وكانت تكّون جزء من خدمات الهيكل المعتادة ومع ذلك مطعمة عليها. ولا يسعنا إلا أن نستنتج أن التغير المستمر فى وجهات النظر اللاهوتية فى اسرائيل قبل وبعد زمن المسيح جعلت خدمات الهيكل وحدها غير كافية. فلم تعد العناصر الرمزية النمطية التى كونت حياة ومركز عبادة الهيكل ذات معنى روحى وجاذبية لدى غالبية ذلك الجيل واحتل مركزها ما سمى بالتعليم والممارسات الخارجية ولذلك عبادة الحرف حلت محل عبادة الروح. وكان اسرائيل يستعد فى رفض المسيح واتباع تعاليم الفريسيين ولذلك تحل المجمع synagogue محل الهيكل Temple وطغى عليه حتى داخل أسواره بواسطة خليط غير متجانس من عبادة من صنع الانسان مع طقوس المقدس النمطية التى أمر بها الله ولذلك لم يكن مجمع الهيكل نموذجاً للمجامع فى كل القطر كما يرى بعض الكتاب ويبدو أنه نشأ مؤخراً

وأنه استعار طقوساً من مجامع الاقليم التى فيها ألف الناس هذه الطقوس.

والموضوع له أهمية أعمق بكثير من الأهمية التاريخية لأن وجود مجمع داخل الهيكل أو بالأحرى كما نفضل أن تكون ـ اضافة عبادة المجمع إلى عبادة الهيكل لها رمز محزن، وهى كما يمكن أن يقال أنها احدى الأقوال التى لها معنى مخيف (بالعمل) التى فيها اسرائيل دون وعى وعلم تام نطقت بمصيرها تماماً كما قالوا «يأتى دمه علينا وعلى أولادنا» أو الصرخة من أجل اطلاق باراباس (ومعناه ابن الآب) الذى أدين من أجل فتنة وقتل ـ لا شك فى أنها تتعلق بقيام ضد القوة الرومانية باسم المسحاء الكذبة بدلاً من الابن الحقيقى للآب الذى كان يمكن أن يرد الملك لإسرائيل. ومع ذلك لم يكن شىء فى العبادة ذاتها ما يمنع السيد أو تلاميذه أو أتباعه الأول من حضورها حتى يحين وقت الانفصال النهائى، وأن من يقرأ العهد الجديد يعرف الفرص الثمينة التى هيأتها للتعريف بالانجيل لأن الخدمات بالمجمع كانت فى الواقع مرنة جداً لأن الغرض الأساسى من المجمع هو تعليم الشعب والفكرة من النظام قبل أو فى أيام عزرا تشرح هذا وتتضمنه ويدعمها شهادة يوسيفوس، ولكن القارئ العادى للعهد الجديد قد تفوته كيف أبرزوا فى تاريخ الانجيل هذا الدور الذى قام به المجمع ومع ذلك فكلمة تعليم كثيراً ما تستعمل مع ظهور سيدنا فى المجمع مما يجعل الدرس واضحاً أى الاستنتاج السابق (مت ٤ : ٢٣، مر ١ : ٢١، ٦ : ٢، لوقا ٤ : ٥، ٦، ٦ : ١٣، ٦ : ١٠، يو ٦ : ٥٩، ١٨ : ٢٠)، وكان الجزء التعليمى من الخدمة يشمل أصلاً قراءة جزءاً من الشريعة يرتبط بها جزء من الأنبياء وعظة، وطبعاً إن مثل هذه الخدمة لم يكن خالياً من شكل ما من الصلاة العامة (القداس) Liturgical وكان هذا يشمل على الصلاة والنطق ببركة هارون (عدد ٤ : ٢٤ – ٢٦) بواسطة كاهن أى طبعاً ليس بواسطة المعلمين أو الشيوخ بل بواسطة أشخاص من نسل بيت هارون ولم يكن هناك خدمة تمجيد ومدح.

وكانت العبادة العامة تبدأ بما يسمى الشما shema يسبقها فى الصباح والمساء ببركتين، ويتبعها فى الصباح ببركة وفى المساء ببركتين الثانية على وجه الدقة صلاة مسائية والشما نوع من العقيدة تتكون من هذه الأجزاء الثلاثة من الكتاب (تث ٦ : ٤ – ٩، ١١ : ١٣ – ٢١، عدد ١٥ : ٣٧ – ٤١)، ولقد سميت كذلك بأول كلمة شما «اسمع يا إسرائيل» (تث ٦ : ٤) ونعلم من المشناه أن هذا الجزء من الخدمة كان

موجوداً قبل زمن السيد، ونعلم أيضاً أن كل ذكر كان ملزماً أن يقول هذا الايمان مرتين في اليوم وكان الأطفال والعبيد والنساء معفيين من هذا الالتزام. ولا يمكن أن يكون هناك شك معقول في الموضوع لأن المشناه تذكر صراحة الأجزاء الكتابية الثلاثة (للشما) وعدد البركات قبلها وبعدها وحتى الكلمات الافتتاحية للبركة الختامية، ولذلك عندنا هنا بعض الصلوات التي لم يسمعها السيد فحسب بل واشترك فيها أيضاً ـ وسيظهر فيما يلي إلى أي حد كان ذلك. وهذه الصلوات لاتزال موجودة في المجمع وإن تكن مع زيادات بعد ذلك وهذه من حسن الحظ ليس من الصعب استبعادها. وقبل أن ننقلها نقول إظهاراً أنه من طاعة الشريعة تلاوة هذه الصلاة والصلوات اليومية الأخرى والصلاة عند الأكل ليس بالعبرية فقط بل بأي لغة حتى يحصل الانسان على المعنى العام وسوف نشير إلى الصلوات فيما يلي وفي نفس الوقت إن بعض التعبيرات المستعملة تقودنا أن نفرض أنه بينما كانت الصلوات المرتبطة (بالشيما)محددة كان هناك تعبيرات محلية على طريق التطويل أو التقصير وفيما يلي البركات قبل الشيما في صورتها الأصلية :

١ - مبارك أنت أيها الرب ملك الأرض الذي يكون الضوء ويخلق الظلمة الذي يصنع السلام ويخلق كل شيء الذي في رحمته رسخ الضوء للأرض وللساكنين عليها. في صلاحك يوماً فيوم وكل يوم تجدد أعمال الخليقة. مبارك الرب إلهنا من أجل مجد أعمال يديه وفي أجّل الأنوار التي تعطي النور الذي صنعه لمجده. سلاه...! مبارك الرب إلهنا الذي كون الأنوار.

٢ - بمحبة عظيمة أحببتنا أيها الرب إلهنا وبفيض الرحمة رحمتنا يا أبانا وملكنا من أجل آبائنا الذين آمنوا بك والذين علمتهم قوانين الحياة لتكن رحمتك علينا وعلمنا. أنر عيوننا في شريعتك. اجعل قلوبنا تتمسك بوصاياك وَحِّد قلوبنا في محبة اسمك وخوفك فلا نخزى في دنيا بلا نهاية لأنك إله تهيىء الخلاص وقد اخترتنا من بين الشعوب والألسنة وبالحق قربتنا من اسمك العظيم سلاه... ! لكي نمجدك بمحبة ونمجد وحدانيتك مبارك الرب الذي في محبته اختار شعب اسرائيل.

وبعد ذلك كانت (الشيما)، وتعطي المشناه التفسير الجميل للترتيب الذي رتبت

فيه أجزاء الكتاب فالجزء من (تث ٦ : ٤ - ٩) يقال أنه يسبق الجزء فى (١١ : ١٣ - ٢١) حتى نأخذ على أنفسنا بنير ملكوت السموات بعد أن نكون قد أخذنا بنير الوصايا، ثم يسبق جزء من (تث ١١ : ١٣ - ٢١، عدد ١٥ : ٣٧ - ٤١) لأن الأول ينطبق على الليل والنهار وأما الثانى فلا ينطبق إلا على النهار والقارئ لا يستطيع أن يفشل فى ملاحظة الضوء الذى يلقيه تعليم المشناه على دعوة نعمة السيد المسيح «تعالوا إلى أيها المتعبون والثقيلو الأحمال وأنا أريحكم احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيرى هين وحملى خفيف» (مت ١١ : ٢٨ - ٣٠) ولابد أن كان لهذه الكلمات معنى خاص للذين تذكروا درس الرابای عن العلاقة بين ملكوت السماء والوصايا وأنهم فهموا منهم بالمجىء إلى المخلص سيأخذون نير ملكوت السماوات ثم بعد ذلك نير الوصايا فيجدوا النير هيناً والحمل خفيفاً.

وكانت الصلاة بعد الشميا كما يلى :

«بالحقيقة أنت يهوه إلهنا وإله آبائنا وملكنا وملك آبائنا ومخلصنا ومخلص آبائنا خالقنا وصخر خلاصنا وعوننا ومخلصنا. اسمك منذ الأزل وليس هناك إله غيرك. أغنية جديدة لاسمك غناها الذين خلصتهم بجانب البحر وكلهم مجدوك واعترفوا بك ملكاً ويقولون يهوه سوف يحكم عالماً بلا نهاية مبارك الرب الذى خلص اسرائيل».

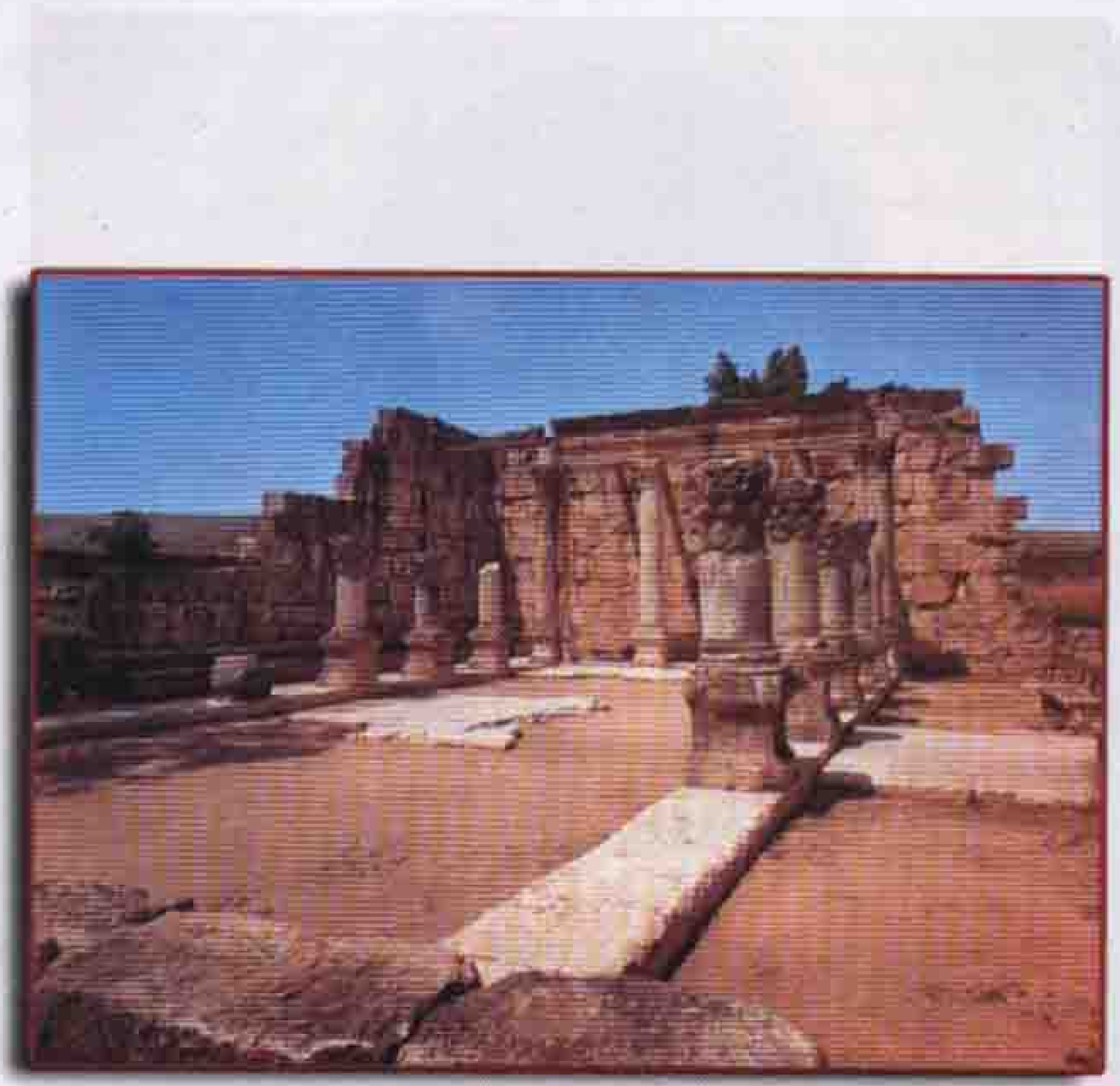
وهذه الصلاة بها وجهات نظر تتناقض مع مبادئ وتعاليم الصدوقيين ولذا سوف تدهش الطالب فى تلك الفترة وفى نفس الوقت سوف يتأثر بصلاحها وجمالها وصلاة المساء ليست قديمة كالصلاة التى ذكرناها سابقاً ولكن لأنها ذكرت فى المشناه فهى مناسبة وبسيطة فإننا نوردها فيما يلى :

«أيها السيد إلهنا اجعلنا ننام فى سلام وأقمنا للحياة يا ملكنا، انشر علينا سلامك، قونا أمامك فى مشورتك الصالحة وخلصنا من أجل اسمك. لتكن حولنا لوقايتنا احفظنا من العدو والوباء والسيف والمجاعة والضيق ابعد الشرير من أمامنا ومن خلفنا خبئنا فى ظل جناحيك لأنك أنت إله عوننا وخلاصنا وأنك ملك منعم رحوم احفظ مدخلنا ومخرجنا للحياة والسلام من الآن وإلى الأبد».

يبدو أن الشيما وما يصحبها من البركات كانت تلقى فى المجمع من إليكتيرن Lectern أو (المنبر) فى حين أنه فى مجموعة الصلوات التالية كان المصلى يتقدم ويقف أمام التابوت أو الفلك ومن ثم كان التعبير يصعد أمام الفلك مرادفاً للتقدم للصلاة ويفهم هذا التفسير فى المواضع ضمنا لا صراحة فى كثير من مقطوعات المشناه (وخاصة مجلاه ٤) "Megillah," التى تفرق بين قول الشيما والصعود إلى الفلك. وتتكون الصلاة المقدمة أمام الفلك والتابوت من ثمانية عشر تمجيدات أو بركات تسمى فى مجموعها "Tephillah"التفيلات ومعناها (التوسلات) بأدق ما تحمله الكلمة من معنى. وهذه التمجيدات الثمانية عشرة التى أصبحت الآن تسعة عشر ترجع إلى تواريخ مختلفة أقدمها الثلاثة الأولى والثلاثة الأخيرة. ولا يمكن أن يكون هناك قدر معقول من الشك فى أن هذه كانت تقدم فى العبادة عندما كان سيدنا موجوداً ويلى الست تمجيدات المذكورة تاريخياً تمجيدات ٤، ٥، ٦، ٨، ٩، ١٦- أما التمجيد السابع الذى يبدو غير متجانس فيرجع إلى فترة حدثت فيها كارثة قومية عظمى قد تكون فى أيام بومبى pompey الرومانى وأضيفت التمجيدات الأخرى وبعض مما أدخل فى البركات السابقة بعد سقوط الدولة اليهودية. ـ والتمجيد الثانى عشر كان المقصود به أوائل الذين تحولوا من اليهودية إلى المسيحية ومن المحتمل أكبر احتمال كانت العادة أصلاً ادخال صلوات خاصة بين الثلاثة الأولى الموجودة الآن وبين الثلاثة الأخيرة ومن هذه تكونت بالتدريج التماجيد المتأخرة. وعلى أية حال نعرف أنه فى السبوت وفى الأعياد الأخرى لم يقرأ إلا الثلاثة الأولى والثلاثة الأخيرة وأدخلت التوسلات الأخرى بينهما وهكذا كان متسعاً للتكرار اللانهائى والصلوات الطويلة التى دانها المخلص (مر ١٢ : ٤٠، لو ٢٠ : ٤٧).

فضلاً عن ذلك يجب أن نتذكر أنه كان من المعتاد أن تقدم صلاة عند دخول المجمع وعند الخروج منه وأنه كان قولاً شائعاً بين المعلمين والصلاة المطولة (المتدفقة المملة) تطيل العمر. ولكن لأننا متأكدون من أن فى السبوت التى حضرها السيد فى المجامع فى الناصرة وكفرناحوم كانت تتلى الثلاث الأولى والثلاث الأخيرة فإننا سنوردها فيما يلى :

١ - مبارك السيد إلهنا وإله آبائنا وإله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب الإله العظيم القوى المخيف الإله العلى الذى يظهر الرحمة والشفقة الذى يخلق الأشياء كلها الذى



مجمع كفر ناحوم

ويرجع إلي القرن الثاني الميلادي وبني فوق أسس المجمع الأول الذي علم فيه يسوع (مر ١ : ٢١ - ٢٨).



كهنة سامريون يمسكون بالنسخه الأثرية للشريعة

يتذكر وعوده الذى أنعم بها على آبائنا ويرسل مخلصاً لأبناء أبنائهم من أجل اسمه فى المحبة الملك المعين المخلص الورع مبارك أنا يا يهوه درع إبراهيم.

٢ – أنت أيها السيد قوى إلى الأبد أنت يا من تحيى الأموات قوى الخلاص فى رحمتك تحفظ الأحياء أنت تقيم الموتى فى رحمتك الغزيرة وتقيم الساقطين وتشفى المرضى وتحل المربوطين وتكمل كلمتك الأمينة لأولئك الذين ينامون فى التراب. من يشبهك يا إله القوة من يقارن بك يا من تميت وتحيى وتخرج ينابيع الخلاص. آمين أنت يا الله تهب الحياة للموتى مبارك أنت يهوه الذى يحيى الموتى.

٣ – أنت قدوس واسمك قدوس ويمجدك القديسون كل يوم سلاه...! مبارك أنت يا الله يهوه القدوس.

من المستحيل ألا نشعر بقوة وعمق وقداسة وفاعلية هذه الصلاة المجيدة تفيض بأعمق رجاء اسرائيل بلغة بسيطة من الكتاب ولكن من الذى لا يدرك المعنى المقدس الذى تضمنته هذه الصلوات ليس فقط عندما تليت فى حضرة يسوع بل عندما خرجت من شفتى سيدنا يسوع المسيح الذى كان هو نفسه استجابتها.

وفيما يلى ثلاثة التمجيدات الختامية :

١٧ – لتكن مسرتك ياإلهنا يهوه في شعبك إسرائيل وفي صلواتهم. لتكن تقدمات إسرائيل وصلواتهم مقبولة لمسرتك. وليت خدمات شعبك إسرائيل تكون مقبولة أمامك. ولتنظر عيناك عليها أنت يهوه ومجدك في صهيون.

١٨ – نمجدك لأنك أنت يهوه إلهنا إله آبائنا إلى أبد الآبدين أنت صخرة حياتنا ودرع خلاصنا من جيل إلى جيل ونذيع مجدك من أجل حياتنا المحفوظة فى يدك وأرواحنا التى هى عنايتك وعجائبك التى هى معنا كل يوم ومن أجل أعمالك العجيبة وصلاحك الذى هو فى كل الفصول ـ ليلاً ونهاراً ووسط النهار أنت المنعم الذى لا نهاية لمراحمه أنت المتحنن الرحوم الذى لا ينضب معين نعمائه إلى الأبد نضع ثقتنا فيك. من أجل هذا مبارك اسمك يا ملكنا ومتعالى من الأزل وإلى الأبد. كل الأحياء يباركونك...! سلاه ويمجدون اسمك بالحقيقة يا إلهنا وخلاصنا وعوننا مبارك أنت يهوه الواحد وحده المنعم الصالح صانع الخيرات الذى يستحق كل تمجيد.

١٩ - أنعم بالسلام إلى الأبد على شعبك اسرائيل لأنك ملك السلام وإله السلام. وحسن فى عينيك أن تبارك شعبك اسرائيل بالمجد لك كل الأزمنة وفى كل ساعة. مبارك أنت يهوه الذى تبارك شعبك اسرائيل بالسلام.

وأولى بنا أن نذكر حقيقة تمر دون ملاحظة بقدر ما نعرف إذ أنها تكون هذه الصلوات التى أوردناها بأهمية جديدة لا تقارن فإنه ورد فى المشناه (الميجيلاه ٤ : ٥) أن الشخص الذى يقرأ فى المجمع فصل النبوات كانت ينتظر أن يتلو الشيما وأن يتلو الصلوات التى أوردناها وينتج من هذا أنه من المحتمل أن سيدنا نفسه قام بتلاوة الصلوات فى مجمع كفرناحوم فى السبت عندما قرأ الفصل من نبوات أشعياء الذى تم اليوم فى مسامعهم (لو ٤ : ١٦ - ٢١) وليس من الممكن أن نقاوم الفكرة أنه كان من الموافق فى هذه المناسبة كلمات الصلوات وخاصة كلمات التمجيد الثانى والسابع عشر.

وكانت الصلوات تتلى أو يكررها شخص بصوت مرتفع منتدب لهذه المهمة وكان الشعب يجاوب : «آمين» وكانت خدمة القداس Liturgical تختتم ببركة الكاهن (عدد ٤ : ٢٣ - ٢٤) يتلوها نسل هارون وفى حالة ما إذا لم يكن هناك أحد من هؤلاء كان مندوب الكنيسة الذى قاد الصلوات كما كان يسمى الشخص الذى قام بالصلاة يكرر كلمات الكتاب. وفى أثناء البركة كان الكهنة يرفعون أيديهم إلى أكتافهم وفى الهيكل إلى جباهم ولذلك يسمى هذا الطقس «رفع الأيدى» وطبقاً لما هو متبع الآن كانت أصابع اليدين تضم ثم تفصل بحيث تكون خمس فراغات. ويرتبط بهذه معنى سرى دينى فكان من الخرافات الأخيرة النهى عن التطلع إلى أيدى الكاهن لأن ذلك قد يسبب خطراً جسمانياً. ولكن توجه المشناه الكهنة الذين بأيديهم ما يعيبها أو صبغت أصابعهم إلا يعطوا البركة لئلا يجذبوا التفات المصلين. وليس هنا مجال الكلام عن الموقف الذى يجب اتخاذه أثناء الصلاة ويكفى هنا أن نقول أن الجسم ينبغى أن ينحنى تماماً ومع هذا يجب الحرص على ألا يظهر وكأن الخدمة ثقيلة. ويخبرنا (راباى) بأنه حرصاً على هذا الغرض كان ينحنى إنحناء الغصن بينما فى رفع نفسه ثانية كان يعمل ما تفعله الحية مبتدئاً بالرأس. كما أن أى فرد كان ينتدب لتلاوة الصلاة ماعدا القاصر. وهذا ينطبق على الشيما وحدها أما التماجيد أى التافيلاه ذاتها وكذلك أيضاً بركة الكهنة فلا يتلوها من لم يرتد ملابس مناسبة أو

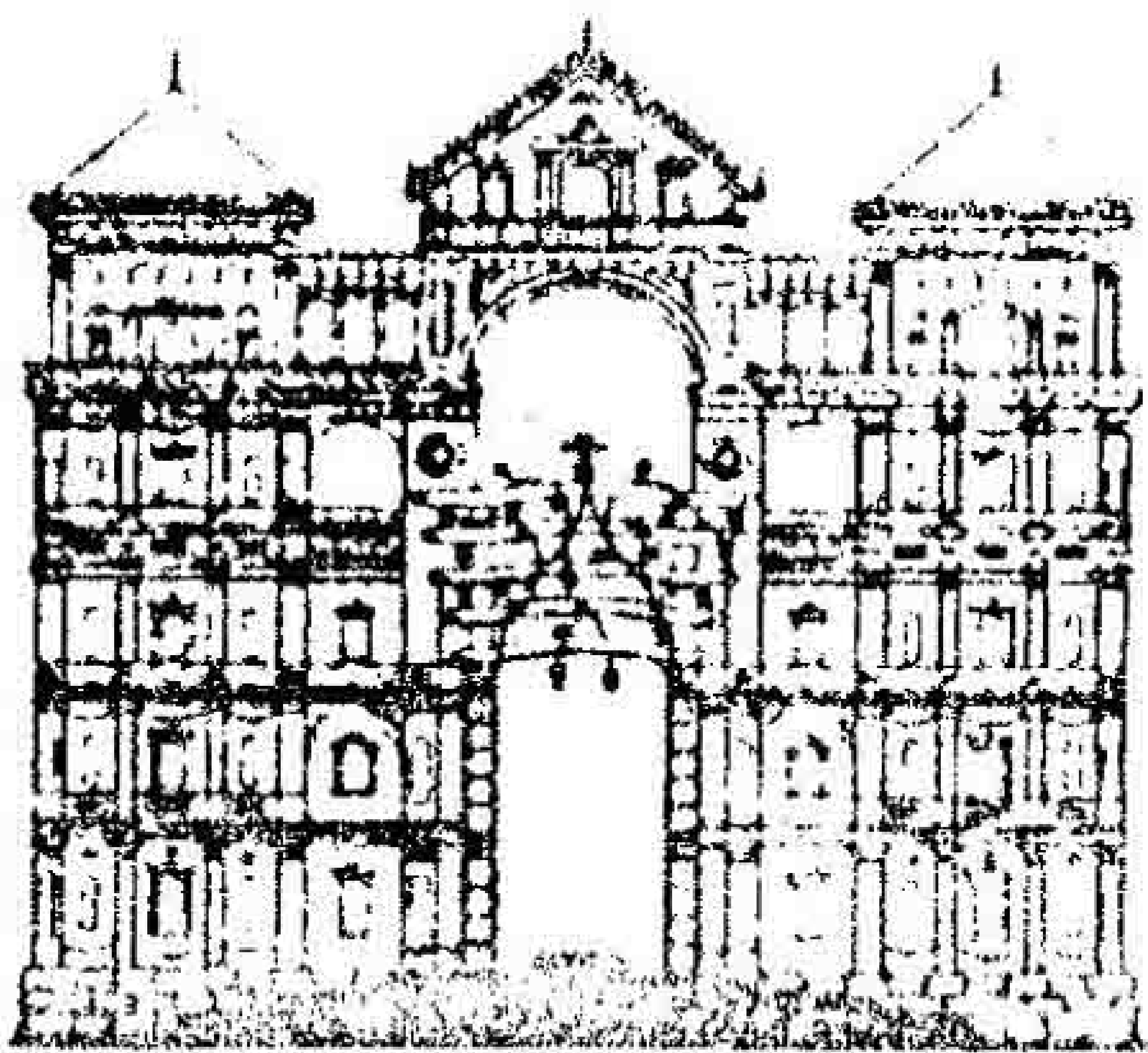
كانوا عمياناً لا يستطيعون أن يروا ضوء النهار. وإذا ورد فى صلاة أحد وجهات نظر وثنية أو ما يمكن إعتباره وثنياً كان يجب اسكاته بسرعة. وإذا ارتكب أحد ما لا يليق حرم مدة أسبوع وأحد المسائل الهامة الصعبة يتعلق بأزياء خاصة ومظاهر خاصة وبعض الأساليب المستعملة فى الصلاة تعلنها المشناه (بالتحديد البدَع أو لتدل على أن رجلاً لا يسمح له أن يقدم الصلاة فى المجمع) ولا تشير هذه الحقائق إلى بعض البدع والهرطقات اليهودية فحسب بل إلى المسيحيين اليهود الأوائل وإذا كان ذلك كذلك قد تدل على بعض الميزات التى عرفوا بها بين الناس.

ومن بين الخدمات التى ذكرناها إلى الآن كان أهمها تكرار التمجيدات وبركات الكهنة وما إلى ذلك، الآن كان يعتبر صلاة مجيدة بل واكثر، ولقد أشرنا إلى أن الغرض الأساسى من المجمع كان التعليم وكان هذا يتم خاصة بقراءة الناموس. وفى الوقت الحاضر رتبت الأسفار الخمسة إلى أربعة وخمسين قسماً يقرأ واحد منها كل سبت فى السنة على التوالى، تبدأ مباشرة بعد عيد المظال. ولكن قديماً على الأقل فى فلسطين يبدو أنها رتبت بطريقة مختلفة وقسمت الأسفار الخمسة بحيث أن قراءة كل منها امتدت طبقاً لبعض التقاسيم إلى ثلاث سنوات ونصف (نصف مدة اليوبيل) وكان قسم كل يوم يقسم ثانية بحيث يدعى سبعة أشخاص للقراءة لا يقل كل قسم عن ثلاث آيات وكان القارئ الأول يبدأ ببركة وكان القارئ الأخير يختتم ببركة. ولما حلت الآرامية محل العبرية كان مترجم أو مفسر يقف بجانب القارئ ويترجم آية اية باللغة الدارجة، وكان من المعتاد أن تكون هناك خدمات فى المجمع ليس فقط فى السبوت وأيام الأعياد بل أيضاً فى اليوم الثانى والخامس من الأسبوع (الاثنين والخميس) عندما كان سكان الريف يأتون للسوق، وعندما يجتمع السنهدريم المحلى ليصدر قرارات فى قضايا صغرى، وفى هذه الخدمات فى أيام الأسبوع لم يطلب للقراءة إلا ثلاثة أشخاص ليقرأوا الناموس. وفى الأحد وفى الأيام المتوسطة من أسبوع العيد كان يستدعى للقراءة أربعة وفى أيام الأعياد وحينما كان يقرأ جزء من الأنبياء خمسة وكذلك فى يوم الغفران وحتى القاصر كان يسمح له بالقراءة وإذا كان مؤهلاً كان يعمل كمترجم. وكان الجزء الذى ورد به خطية رأوبين والجزء الذى يذكر فيه خطية العجل الذهبى يقرآن ولا يفسران (أى يترجمان إلى الآرامية) أما خطية داود وخطية آمون فكانتا لا تقرآن أو تترجمان. وكان يلى قراءة الناموس درس

من الأنبياء وفى الوقت الحاضر هناك كتاب قراءات ثابت أختيرت فيه دروس النبوات بحيث تتعمق مع الشريعة المعينة لليوم ولقد أمكن متابعة هذه الترتيبات إلى الاضطهادات السورية عندما فتشوا عن كتب الشريعة وأعدمت. ويظن أن السلطات اليهودية اختارت أجزاء من الأنبياء لتحل محل القراءات من الناموس التى لم تكن لتقرأ للجمهور ولكن من الواضح أنه لو أن أوامر الاضطهاد هذه روعيت بشدة ما كانت أسفار الأنبياء لتنجو من المصير الذى أحاق بأسفار الشريعة فضلاً عن أنه من المؤكد أن هذه القراءات من الأنبياء التى تقرأ الآن لم تكن موجودة فى زمن سيدنا أو حتى لما ضبطت نسخ المشناه ويبدو أنه ترك للأفراد حرية كبيرة وأن التعبير الذى استعمله القديس لوقا بالاشارة إلى سيدنا فى مجمع كفرناحوم (لو ٤ : ١٧) «ولما فتح السفر وجد المكان الذى كان مكتوباً فيه» هذا التعبير يصف بالتدقيق فإذا كان متبعاً لأننا نفهم من (ميجللاه ٤ : ٤) أنه فى القراءة من الأنبياء كان من القانونى أن نفعل (نترك) آية أو آيتين على شريطة ألا يكون توقف بين القراءة وترجمة المترجم لأنه هنا كان يستخدم خدمات المترجم ولكنه لم يكن يترجم آية آية كما فى قراءة الناموس بل كان يترجم بعد كل ثلاث ايات. ومن الجدير بالملاحظة أن المعلمين استبعدوا من القراءة العامة الجزء من نبوات حزقيال الذى يصف العربة والعجلات ورباى اليعازر رأى أن يستبعدوا أيضاً ما ورد فى (حز ١٦ : ٢).

وكانت قراءة الأنبياء غالباً ما يتبعها عظة أو خطاب يختتم بها الخدمة والواعظ كان اسمه دارشان darshan وخطابه كان يسمى الديراشاه (ميمر أو عظة) مشتق من داراش (يسأل ـ يستعلم أو يناقش). وعندما يكون الخطاب نقاشاً لاهوتياً عميقاً لم يكن يلقى على الشعب مباشرة بل كان يهمس به فى اذن أمورا Amora أو خطيب كان يشرح للجمهور فى لغة شعبية الأقوال التى لها وزنها التى أسرت إليه بها الراباى وعلى العكس من ذلك كانت العظة الأكثر شعبية تسمى ميمر حرفتا (خطبة أو حديث) وكانت هذه الخطب إما تفسير تعليمى من الراباى للكتاب أو مناقشة للمبادئ والتعاليم يرجع فيها إلى التقليد وإلى سلطان معلمين عظام لأنه وضع مبدأ أن كل واحد ملزم أن يعلم بلغة معلمه وازاء هذه الحقيقة المزدوجة نستطيع أن نفهم إلى حد ما التأثير العميق الذى أحدثته كلمات السيد حتى على أولئك الذين ظلوا غير متأثرين بها لأن مادة خطابه كانت أبعد ما يكون عن أن يكونوا سمعوه من قبل

أو يمكنهم تخيله وبدا وكأنهم فتحوا عالماً جديداً من الفكر والرجاء والعزاء ولذلك لم يكن عجيباً أن كفرناحوم التى عرفت باحتقار غيرها شهدوا له وتعجبوا من كلمات النعمة الخارجة من فمه لا بل أن حرس الهكيل الذين أرسلوا ليقبضوا عليه خافوا ولم يستطيعوا أن يقرروا أمام المجلس اهمالهم الغريب «لم يتكلم انسان قط مثل هذا الانسان» (يو ٧ : ٤٦) وبالمثل كان شكل تعاليمه مختلفاً فلم يستشهد بالمعلمين أو بالتقليد وبدا وكأنه أتى لتوه مباشرة من السماء كالمياه الحية من الروح القدس ولذلك «دهش الناس من تعاليمه لأنه كان يعلم كمن له سلطان وليس كالكتبة والفريسيين» (مت ٧ : ٢٨، ٢٩).



الفصل الثامن عشر
تخطيط عام للأدب اللاهوتى اليهودى القديم
(ملخص مختصر عن الكتب اللاهوتية اليهودية)

جمعت ترتيبات المجمع كما وصفناها حتى الآن بطريقة تدعو إلى الملاحظة ففيها ثبات النظام مع حرية الفرد فلقد تحددت الخدمات العامة لكل فصل ولكل وقت ونظامها والصلوات التى تقدم وأجزاء سفر الشريعة التى تقرأ. وعلى العكس من ذلك بين البركات الثمانية عشرة التى كانت تتلى فى الأيام العادية والسبعة التى كانت تتلى فى السبوت كان يمكن أن يضاف صلوات حرة والاختيار من الأنبياء التى كانت تختم القراءة العامة الهافتاراه Haphtarah (المشتقة من باتار = يختتم)، يبدو أنها تركت من الأصل إلى الاختيار الشخصى فى حين أن تحديد من يقرأ ومن يقوم بالصلاة أو يخطب للشعب كان فى يد رؤساء المجمع (أع ١٣ : ٥). وكان من المحتمل أن يكون هؤلاء من أعضاء السنهدريم فكان من الطبيعى أن يكونوا مسئولين على ادارة الصلاة العامة وحكم المجامع ونظامها. وكانوا رجالاً عالمين بالناموس ذوى سمعة حسنة عينهم الشعب ولكن تقدسوا «بوضع الأيادى» أو السمكاه التى كانت تتم على يد ثلاثة على الأقل يكونوا قد رسموا وعند ذلك يمنح المرشح لقب (رابای) Semichah ويعلن أنه مؤهل لإدارة الشريعة وكان من المفروض أن العظمة الإلهية أن تكون وسط السنهدريم ولهذا فإن لم يكن مكوناً من ثلاثة أعضاء كانت تسمى (الوهيم) Elohim وربما قيل هذا فى تفسير (مز ٨٢ : ٦) «أنا قلت أنكم آلهة وأبناء الله العلى».

إن المؤهلات الخاصة لوظيفة عضو السنهدريم التى ورد ذكرها فى تعاليم المعلمين تذكرنا بتوجيهات معلمنا بولس لتيموثاوس (١ تى ٣ : ١ - ١٠) فعضو السنهدريم يجب أن يكون حكيماً متواضعاً خائف الله صادقاً غير شره إلى الذهب الدنس مضيفاً للغرباء شفوقاً ولا يكون مقامراً ولا مرابياً أو متاجراً فى محصول السنة السبتية أو منغمساً فى الألعاب غير الشرعية فكانوا يسمون (سيكنيم) sekenim أى الشيوخ (لو ٧ : ٣)و (ميمونيم) memunim أى رؤساء (مر ٥ : ٢٢) (بارناسين) Purnasin أى

مطعمين مشرفين ورعاة للقطيع (أع ٢٠ : ٢٨، ١ بط ٥ :٢) و(مانهيجي) Manhigei مرشدين (عب ١٣ : ٧). وكانوا تحت رئاسة الحكم الأعلى لرئيس المجمع أو (روش ها كينسيت) Rosha -cheneseth (رئيس المجمع) الذى كان يبدو أحياناً أنه كان يمارس السلطان وحده وعادة ما يرد الاسم (رئيس المجمع) فى العهد الجديد (مت ٩ : ١٨، مــــــــر ٥ : ٣٥و٣٦ و٣٨، لو ٨ : ٤١ و٤٩، أع ١٨ :٨و١٧) والوظائف الدنيا فى المجمع وقعت على (كازان) chassan الخادم (لو ٤ : ٢٠) وبمرور الزمن اشترك الكاسانيم فى الواجبات الأساسية لوظيفة المدرس. والآن يشرفون على الترتيل والصلوات فى المجمع وهذا الواجب لم يقم به شخص معين بل كان يقوم به أيٌ من وقع عليه الاختيار ليعمل (شيلال زبور sheliachzlbbur) أىّ (مندوب الجماعة). ولقد تصور أغلب الكتاب الحديثين أن ملاك الكنيسة فى الرسائل إلى السبع الكنائس فى سفر الرؤيا استعملت كاشارة إلى هذا الترتيب فى المجمع ولكن (الشيلاك زبور) لم يمثل وظيفة ولكن عملاً مما يجعل هذا التفسير لا يمكن الأخذ به فضلاً عن ذلك فإن الكلمة اليونانية المقابلة لها هى (رسول) وليس (ملاك الكنيسة) ومع ذلك فمن الممكن أن يشير كاتب الرسالة إلى العبرانيين إلى ذلك عندما يسمى الرب يسوع رسول إعترفنا ورئيس كهنته المسيح يسوع (عب ٣ : ١). وإلى جانب هذه الوظائف هناك (جاباى زيداكاه) Gabaei zedarar أى (جامعو الصدقة) الذين يعطيهم التلمود الوعد بأن يكونوا كالنجوم أو الكواكب إلى أبد الدهور (دا ١٢ : ٣) لأنهم ردوا كثيرين فى سبيل البر لأن كلمة البر تؤخذ على معنيين الاستقامة والاحسان الذى كان يجمع فى أوقات منتظمة فى الأسبوع أما نقوداً أو أطعمة وكان اثنان يعملان فى جمع الاحسان وثلاثة فى التوزيع لتجنب الشك فى عدم الأمانة والانحياز ويظن الكثيرون أن جامعى الاحسان هؤلاء الذين كان يلزم أن يكونوا رجالاً أمناء ذوى سمعة طيبة هم مثال الشمامسة فى الكنيسة الأولى ولكن التشبيه لا يستقيم ولا كان هؤلاء الجباة يعينون فى كل مجمع.

فى وصفنا لسير العبادة العامة فى المجامع أشرنا إلى (الميتورجمان) meturgeman الذى ترجم إلى اللهجة العامية (كل ما كان يقرأ من الأسفار العبرية) كما أشرنا إلى (الدراشان) darshan الذى كان يفسر هذه الأسفار أو الشريعة التقليدية فى خطاب يلقيه بعد قراءة (الهافتاراه) haphterah أو أجـزاء من الأنبيـــاء. ولابد أن هذين الاصطلاحين قد استدعيا إلى ذهن القارئ أسماء ترد كثيراً فى الكتابات عن

الموضوعات اليهودية وتؤدى إلى بعض الملاحظات عن اللاهوت اليهودى فى زمن سيدنا. والآن قد حفظ أو خلد عمل الميتورجمان فى كتاب الترجمة، والدراشان فى المدراش وفى الأصل قصد به ترجمة الأسفار العبرية إلى الآرامية وبالطبع إما أن تكون الترجمة حرفية أو تكون مترجمة بتصرف أو مختصرة وكل تورجوم يمثل وجهة نظر المترجم الخاصة وتكون أهميته فى أنه يعطينا فكرة عن الآراء السائدة فى العصر والطريقة التى فهم بها الكتاب. ولكن بعض الترجوميم أكثر تلخيصاً من الأخرى وفى الواقع تصبح نوعاً من التعليق يبين اللاهوت الشعبى لذلك الزمن. ولا يوجد لدينا فى الواقع أى تورجوم يرجع تاريخه إلى زمن سيدنا أو من القرن الأول من عصرنا. ولا يمكن أن يكون هناك شك فى أن تارجوما من هذا النوع كان موجوداً ولو أنه قد ضاع. مع ذلك فالتارجوجيم المحفوظة لدينا ولو أنها روجعت بمطابقتها بعضها ببعض ووصلت إلى شكلها الحالى فى فترات متأخرة لازالت تحوى كثيراً مما يرجع تاريخه لأيام الهيكل وما قبل ذلك وها نحن نوردها هنا بترتيب أقدميتها فعندنا تورجوم أو نكيلوس لأسفار موسى الخمسة وتورجوم يوناثان للأنبياء ويضم أيضاً يشوع والقضاة وأسفار صموئيل والملوك والمسمى (المزيف) يوناثان لأسفار موسى الخمسة وتارجوم أورشليم وهو ليس إلا جزء ومن المحتمل أن الأخيرين قصد بهما أن يضما إلى تارجوم اونكيلوس ولقد أثار النقد الحديث الشك فى وجود اونكيلوس وأياً كان المؤلف فإن هذا التارجوم فى شكله الحالى يرجع إلى القرن الرابع.

ومن بعض الوجوه والاعتبارات فإن المدراشيم أهم من التارجوميم ونملك منها ثلاثاً ترجع فى شكلها الحالى إلى القرنين الأول والثانى من عصرنا وتضم أجزاء كثيرة من الميدراشيم القديم ولنوردهم هنا أيضاً فى ترتيب أقدميتها : سفراً (الكتاب) وهو تعليق على سفر اللاويين وسفراى وهو تعليق على سفرى العدد والتثنية والميشليتا وهو تعليق على بعض أجزاء سفر الخروج. ولكن عندنا أثر أهم من هذه كلها لآراء الفريسيين القدماء ولتفسيراتهم الكتابية فلقد أشار بعض الآباء إلى كتاب يسمى سفر التكوين الأصغر أو كتاب أعياد اليوبيل، ولقد فقد هذا الكتاب من عداد الكتب اللاهوتية إلى أن أكتشف فى القرن الحالى لا فى اللغة العبرية الأصلية ولا فى الترجمة الأولى اليونانية ولكن فى ترجمة إلى اللغة الحبشية من النسخة اليونانية، وهذا الكتاب يرجع بلا شك إلى عصر سيدنا. وهو ترجمة السفر الأول من موسى ومن هنا تسميته التكوين الأصغر ويشمل على ما ورد فى التوراه من الخليقة إلى عمل الفصح

من وجهة نظر الروح اليهودية وما أضيف إليه من القصص وآراء المعلمين وما به من التفسير هو ما ننتظر أن نجده فى مثل هذا الكتاب ويبدو أن أحد أغراض الكاتب هو نسبة الحوادث إلى الزمن أو التاريخ الذى حاول أن يحل مشاكله ولقد سجل الحوادث تبعاً لفترات اليوبيل وهى كل تسع وأربعين سنة ومن ثم تسمية الكتاب بسفر اليوبيلات وهذه الفترات من تسع وأربعين سنة رتبت إلى أسابيع كل من سبع سنوات (يوم لكل سنة) وتبوب الحوادث كأنها حدثت فى شهر كذا من سنة كذا من السنين من الفترة اليوبيلية ويشترك الكتاب فى أمثاله من الكتب الشبيهة فى أنه يميل إلى أن يعيد الأنظمة المتأخرة إلى فترة الآباء.

إلى جانب هذه الكتب المتأخرة فإنه قد احتفظ لنا بنوع من الأدب اللاهوتى دار حوله أخيراً نقاش جاد خطير ومعظم القراء يعرفون شيئاً عن «الأبوكريفا» Apocrypha ولكن هذه الكتب تسمى أيضا «الكتابات لتقليد الكتب المقدسة» بلغتها وموضوعها يدور أساساً حول النبوات التى لم تكمل، ولقد استعملوا فى التعبير عنها كلمات وأشكال لا من سفر دانيال فحسب بل من أسفار أخرى. وفى الواقع تبدو وكأنها محاولات تقليد أجزاء من هذه النبوات إلا أن مداها أوسع وهذا النوع من الكتب أكبر مما كان ينتظره أولئك الذين ليست لهم دراية بتلك الفترة. ومع ذلك عندما تتذكر متاعب هذا العصر وتوقع مجيء الخلاص وتكوين عقل من كتبوا وتدريبهم لا يبدو أن هذه الكتب أكثر أو أكثر مبالغة من بعض كتب النبوات التى كثرت عندنا منذ قريب التى استدعاها الخوف من نابليون أو حوادث سياسية أخرى. ويبدو لنا أن الكتب الأخيرة فى أيامنا تشبه ذلك النوع من الانتاج (الكتب) ولا خلاف فى ذلك إلا أن المفسر الشرقى لنبوة لم تتم بعد يتخذ لغة النبى لا لغة من يعقب أو يعلق على الحوادث ويكسو آراءه لغة سرية رمزية، وعلى وجه العموم يقسم هذا النوع من الكتب إلى نوعين العبرية واليونانية لأن بعض الكتاب كانوا يهوداً مصريين (هيللينيين) وبعضهم يهود فلسطينيون. ويصعب علينا أن نقرر بالدقة إن كان بعض هذه الكتابات سابقة أو لاحقة لزمن المسيح وتزداد الصعوبة عندما نحاول أن نحدد متى كتب بعضها. ومع ذلك فقد أدت الأبحاث التاريخية الأخيرة إلى اتفاق على نقط عامة ودون الاشارة إلى محاولات أعداء المسيحية استغلال هذه الكتب يمكن أن نؤكد تأكيداً كبيراً أن دراستها دراسة صحيحة وتفسيرها تفسيراً صحيحاً يمكن أن يكون نافعاً لا فى القاء الضوء على هذه الفترة فحسب بل أيضاً فى بيان

الفروق المؤكدة بين تعاليم رجال ذلك العصر وتعاليم العهد الجديد لأن كل فرع من فروع الدراسات المقدسة وكل قسم منها يزودنا بشهادة جديدة للحق الذى آمنا به بكل تأكيد وبأقوى الأدلة كلما تتبعنا هذه الدراسة بعناية ونشاط وبدون تحيز وتعصب.

ومع ذلك فمن الخطأ أن نفرض أن وجهات المعلمين مهما كانت بها من مبالغات كانت تفسر مستقلة عن الكتاب بل على العكس فكل توجيه أو قرار أو طقس تقليدى وكل نظام وضعه المعلمون وكل قصة وكل قول إنما أدخل على نص العهد القديم، ولكى نشرح هذا بأقصر الطرق فمن الضرورى أن نقر هنا أن التقليد اليهودى يميز بين الحلاقا halachah الهجاداه Haggadah والحلاقاه (مشتقه من حلق halach بمعنى يمشى) تدل على القرارات الناموسية المستقرة التى تكون منها الشريعة الشفهية أو (توراة شيبال بيه). ولا يمكن أن يعبر شىء هنا ولم يترك لأى معلم أية حرية إلا الشرح والتوضيح. وهدف الحلاقاه هو أن تقرر بكل تفصيل مبادئ ناموس موسى وتطبقه على كل الأحوال الممكنة وأن تحيط بسياج لكى تجعل أى تقرير سهواً مستحيلاً. ولم يكن للحلقاه نفس سلطان شريعة موسى بل من بعض الوجوه أكثر إحتراماً وتقديراً لأنها مفسرة مشروحة. وفى الواقع تعتبر على وجه التحديد متساوية مع الأسفار الخمسة فى أنها إعلان من الرب لموسى وإنما إختلافاً فى شكل أو طريقة الاعلان فالأول كتب والثانى سلم مشافهة وكما ورد فى التقليد شرح موسى الشريعة التقليدية تباعاً لهارون ولأبنائه وللسبعين شيخاً وللشعب وحرص على أن يسمعها كل طائفة أربعة مرات. والتلمود نفسه يحاول أن يثبت أن الناموس التقليدى وكذلك كتابات الأنبياء والهاجيوجرافا Hagiographa سلمت لموسى بإقتباس(حز ٢٤ : ١٢) «سأعطيك ألواح الحجر والناموس والوصايا التى كتبتها لكى تعلمها » (ولوحى الحجر) كما يقول الراباى لاوى هى العشر وصايا (والشريعة) هى الناموس المكتوب فى الأسفار الخمسة (والوصايا) هى المشناه (وما قد كتبت) تشير إلى الأنبياء والهاجيوجرافا بينما (الكلمات لكى تعلمها) تشير إلى «الجيماراه Gemara ومن هذا نعلم أن كل هذا أعطى لموسى فى سيناء.

فإذا كان هذا هو الحلقاه فليس من السهل أن نحدد حدود الهجاداه Haggadah والاصطلاح مشتق من الفعل هيجيد Higgid ومعناها (يناقش ويخبر) ويضم ما ليس له سلطان القرارات الناموسية البحتة وكانت إما قصة أو مجموعة سير القديسين أو مغزى شىء أو عرض موضوع أو نقاش أو تطبيق، وبالاختصار كل ما يختاره أو ميول المدرس أن تعمله بحيث يمكنه أن يربط بينه وبين الكتاب أو الحلاقاه ولهذا الغرض

كان من الضرورى أن يكون هناك بعض القواعد المحددة لتحفظنا من المبالغة أو من السفاهة وفي الأصل كان هناك ثلاث أو أربع قواعد لربط الهجاداه بالكتاب وبضم الحروف الأولى من هذه القوانين تكون الاسم لهذه القوانين (باردايس) بالعبرية أى «فردوس» كما يأتى :

١ - البيشات (ب) P = peshat في التحقق من المعنى البسيط للقطعة.

٢ - ريميس (ر) R = Remes أحد الحروف المفردة لكلمة كدليل أو تلميح لكلمات أخرى أو جمل.

٣ - اليدروش (د) D = Derush أو العرض العملى للقطعة.

٤ - السود (س) S = sod أو إيجاد السر أو المعنى السرى لآية أو كلمة.

طبعاً الحروف المتحركة لا تذكر فى العبرية.

وهذه القواعد الأساسية الأربعة سرعان ما إتسعت بالتدريج فأصبحت اثنتين وثلاثين قاعدة التى عبرت عن كل نوع من التخيل، ولهذا أحد هذه القواعد الجمياتريا Gematria (الهندسة والحساب) سمحت للمفسر أن يستخرج القيمة العددية للحروف في أى كلمة. لأن الحروف العبرية كالحروف الرومانية كانت تستعمل أرقاماً وكان مسموحاً له أن يغير كلمة بكلمة أو أكثر لها نفس القيمة العددية وهذا إذا كان فى (عدد ١٢ : ١) أن موسى تزوج إمرأة حبشية فى الأصل (حبشية) المفسر أونكيلوس يستبدلها بالجيماتريا بالكلمات (ذات المظهر الجميل) لأن القيمة العددية لكلمة حبشية والكلمات ذات المظهر الجميل هو ٧٣٦ وهكذا استبعدت الفكرة القبيحة وهى أن موسى تزوج من إمرأة حبشية. وبالمثل المشناه تؤيد أن أولئك الذين أحبوا الله كان الواحد ليرث فأورث محبي رزقا»، فاستبدلت كلمة رزقا بكلمة (عالماً أو دنيا) لأن القيمة العددية لكلمة رزقا وبالعبرانية (يش) فى (أمثال ٨ : ٢١) هو ٣١٠ وكلمة عالماً هو أيضاً ٣١٠ وعلى العكس من ذلك قوانين استنتاج (الحلاقاه) من نص الكتاب كان شديداً ومنطقياً وينسب سبع منها إلى هيلليل Hillel أصبحت بعد ذلك ثلاث عشر ولا يوجه إليها إلا إعتراض ضعيف ولكن من سوء الحظ كان التطبيق العملى خيالياً وخاطئاً كما فى حالة (هجاداه).

قد يرغب بعض القراء أن يعرفوا المزيد من تلك التقاليد التى أشار إليها السيد كثيراً فى تعاليمه وعلينا هنا أن نفرق بين الميشناه والجيمارا. وكان الأول كما يقال هو النص والثانى التعليق المطول وفى نفس الوقت يحتوى المشناه على قدر كبير من التعليق

وعلى كثير بما ليس قرارات ناموسية أو مناقشة لها. بينما الجيمارا يحتوى على ما يمكن أن نسميه نصاً والكلمة مشناه هذه من الفعل شاناه يعنى تكرار وتشير الكلمة إلى التكرار المفروض للناموس التقليدى الذى كتبنا عنه فيما سبق والجيمارا كما تبين نفس الكلمة معناه المناقشة ويتضمن مناقشات وآراء وأقوال عن المشناه. وعلى ذلك فنص المشناه يرد فى صفحات التلمود الذى يعيد مناقشات البرلمان اللاهوتى اليهودى أو الأكاديمية التى تضم الجيمارا. والحقائق التى أدخلت فى المشناه والجيمارا تمتد من حوالى ١٨٠ ق.م إلى ٤٣٠ م (فى تلمود بابل) والمشناه أقدم كتاب ويرجع فى شكله الحالى ككتاب جمع من نهاية القرن الثانى لعصرنا ومحتوياته فى غالبيتها حالاقاه. وليس هناك رسالة واحدة (ابوث) ليس حلاقاه ورسالة أخرى على أبعاد الهيكل التى لا يرد فيها إلا نادراً. مع ذلك فهاتين الرسالتين لهما قيمة وأهمية تاريخية. وعلى العكس من ذلك هناك ثلاث عشرة رسالة فى المشناه ليست هاجاده بتاتاً وإثنتين وعشرين رسالة لا ترد فيها الهاجاداه إلا نادراً، ويجب أن نعبتر أن كثيراً من المشناه يرجع إلى ما قبل المسيح وخاصة فى أيامه وأهميتها فى توضيح العهد الجديد كبيرة مع أنه يلزم استعمالها بتحفظ وبحكمة. ويكون الجيمارا وهو كتاب مناقشة المشناه يكون التلمودين تلمود أورشليم والتلمود البابلى ولقد سمى تلمود أورشليم كذلك لأنه من انتاج الأكاديميات الفلسطينية (اليهود فى فلسطين) وسمى الثانى بالتلمود البابلى لأنه من انتاج المدارس البابلية وإتمام تلمود أورشليم الفلسطينى (التلمود = تعاليم ونصوص) يرجع تاريخه إلى منتصف القرن الرابع من عصرنا، أما التلمود البابلى فيرجع تاريخه إلى منتصف القرن السادس، ولا حاجة بنا إلى القول أنه تلمود أورشليم له قيمة تاريخية أعظم من التلمود البابلى ولا أحد من الجيمارا الاثنين كامل. أى أنه هناك رسائل فى المشناه ليس عندنا لنا جيمارا فى تلمود أورشليم أو فى التلمود البابلى وأخيراً التلمود البابلى يبلغ أربعة أضعاف تلمود أورشليم ومن الواضح أن ليس هناك مجال لأختصر ملخص المحتويات فى المشناه ويكفى هنا أن نورد أنه يحتوى على ستة كتب (سيداريم = أوامر) يعاد تقسيمها إلى رسائل أو (ماسيكثوث) وهذه تقسم ثانية إلى فصول (بيراكيم) وقرارات منفصلة أو تقاليد (مشنابوث). وفى الاقتباس من المشناه من المعتاد ألا نذكر الكتاب (السيدير) بل الرسالة الخاصة (تركتات Tractate) ثم (البيريك) أى الفصل ثم المشناه واسم

هذه الرسائل (وليس أسماء الكتب) يعطى فكرة كافية عن محتوياتها الذى يغطى كل حالة يمكن تصورها بل كل حالة لا يمكن تصورها وتحتوى المشناه على ثلاث وستين رسالة وعلى ٥٢٥ فصل وعلى ٤١٨٧ شنايوث.

ولا يزال هناك فرع آخر من اللاهوت اليهودى هو فى الواقع من بعض الاعتبارات هى أهم فرع للدارس المسيحى، فإنه لا يمكن أن يكون هناك شك فى أنه فى أيام سيدنا سادت مجموعة من المبادئ أخفيت عن الجماهير وحتى عن الطلبة العاديين وقد يكون ذلك خوفاً من أن تؤدى بهم إلى الكفر والهرطقة، وتسمى هذه الدراسة الكابالاه kabblah وكما تدل عليه كلمة كابال (مستلم ويسلم) تمثل التقاليد الروحية التى قد أثرت من أقدم الأوقات ولو أنها اختلطت بمرور الزمن بعناصر أجنبية زائفة. وتجمعت الكابالا حول تعاليم الخليقة وسر حضور الله ومملكة العالم كما يرمز إليها فى رؤيا العربة والعجلات (حز ١)، وكثير مما يوجد فى كتابات الكابالا تقترب من الحقائق العليا للمسيحية. وبالرغم من الأخطاء والخرافات والجهالات التى تختلط بها نسطيع أن نتعرف على استمرار وبقايا الحقائق العميقة للاعلان الإلهى التى كونت مادة التعليم النبوى من العهد القديم والتى أدركها أو انتظرها أولئك الذين كانوا تحت إرشاد الروح القدس.

أما وقد وصلنا إلى ختام ملخص الحياة اليهودية لو سألنا ماذا كنا ننتظر من علاقة المسيح مع رجال وديانة الفترة التى عاشها؟ لن يكون الجواب ضعيفاً فمن المؤكد من اعتبار واحد على الأقل لا يمكن أن يكون غريباً عن زمنه، أو أن تعاليمه لم تجد استجابة، أو أن هذه التعاليم لم تكن غير مفهومة لدى معاصريه، أو أنه كان يخاطبهم كأغراب للعهد كالوثنيين. ولقد كان من كل اعتبار استمرار العهد القديم وإكماله وأزال نير الروح التقليدية الثقيل وأزال روح التظاهر والرياء وأعمال البر التى كادت تمحو الحقائق الروحية فى العهد القديم، وأحلت محلها عبادة الخوف. وأبرز الحقائق الروحية العظيمة التى اشتملت عليها فى كل بهائها ومعانيها وأتى ليبرز التعاليم المثالية لهذا العطاء، كما تمم النبوات لإسرائيل وللعالم وكان فيه كل ما كان فى العهد القديم الحق والطريق والحياة أصبح فيه النعم والآمين (yea,Amen) والابن وهكذا نستطيع أن نفهم كيف أنه من ناحية استطاع أن يستفيد من كل عنصر روحى حوله ويتخذ أقوال وأمثال وأفكار وعوائد تلك الفترة، وفى الحقيقة كان عليه أن

يعمل ذلك لكى يكون صادقاً مع زمنه ومع ذلك كان عليه ألا يكون من هذا العصر حتى يكون محتقراً مرذولاً وحتى يسلمه إلى الموت القادة العميان لشعب أعميت أبصارهم، فلو أنه استغنى عن الفترة التى عاش فيها ولم يستفد بكل ما فيها من حق أو ما قد يكون نافعاً لما كان الانسان يسوع المسيح ولو أنه سايرها واندمج مع أرائها وآمالها أو لو قاد حركاتها، لما كان المسيح ابن الله الحى المخلص من الاثم والخطية.

ولهذا نستطيع أن ندرك سبب عداوة الكتبة والفريسيين للمسيح ولم يكن السبب فى ذلك هو أنه كان معلماً جديداً غريباً بل كان السبب هو أنه أتى بوصفه المسيح فمعارضتهم له لم تكن معارضة لمبادئه وتعاليمه بل كانت إختلافاً على مبادئ الحياة الأساسية : «النور أتى إلى العالم ولكن الناس أحبوا الظلمة لا النور» . ومع أن اليهودية الفريسية كانت على اتصال وثيق بدين المسيح فإن الفريسية اليهودية فى تلك الفترة كما فى هذا الزمان كانتا قطبين متنافرين سواء فى احتياجات الانسان أو مقاصد محبة الله أو فى امتيازات أولاده. إذ هناك حقيقة أجد نفسى مضطراً أن أصرح بها ولو على كره منى وهى موجودة فعلاً وإن كانت مثيلاتها غير موجودة فى تعاليم الفريسية وهذا مما يؤسف له حد الأسف، وهذه الحقيقة هى حقيقة ماسيا متألم ولا يمكن أن يكون شك فى أنه هناك اشارات تشير إليها إذ أن بعض فقرات فى إشعياء تشير إلى هذه الحقيقة التى لا يمكن ذكاء الرابانيين أن يتجاهلها أو يفسرها تفسيراً خاطئاً متهرباً منها، وبالمثل لم يكن من الممكن إستبعاد مبدأ التألم والموت عن الآخرين وذلك بسبب التعليم العملى فى الاعتراف بالخطايا على الذبائح عندما كان كل مصلى يضع يديه على الذبائح وينقل إليها خطيته، ومع ذلك فإن اليهودية باستثناء القليلين لم تر فى كل هذا ذلك الشيء الذى لا يمكن أن تشير إلا إليه كالمعنى الحقيقى لهذا المبدأ وهذه الفكرة «حمل الله الذى يحمل خطايا العالم».

والآن وقد انقضى قرن بعد قرن ورسالة الانجيل الساره تنتقل من أمة إلى أمة بينما تُرك اسرائيل فى ظلا عدم الايمان وبؤس الرجاء الخاطئ نبدو كأننا ندرك بقوة متزايدة «أن الشعب السالك فى الظلمة رأى نوراً عظيماً والذين يسكنون فى أرض ظل الموت عليهم أضاء نور» نعم «قد ولد لنا ولد ونعطى إبناً وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً الإله القوى الأب الأبدى رئيس السلام» (أش ٩ : ٢ ، ٦) لأنه من المؤكد أن الله لن يرفض شعبه الذى عرفه بل ستخلص كل اسرائيل

كما هو مكتوب فيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب (رو ١١ : ٢ ، ٢٦) يا «حارس مأمن الليل يا حارس مأمن الليل قال الحارس أتى صباح وأيضاً ليل» (أش ٢١ : ١١ - ١٢).

ملحق (١)

Masshecheth midoth

ماسيكيث ميدوث

رساله المشناه (تعليق على النص) فى وصف مقاييس الهيكل

ميدوث هو الرسالة العاشرة من الكتاب الخامس من المشناه وليس فيها جيمارا (مناقشة وتعليق) سواء فى تلمود (تعاليم وقصص) أورشليم أو فى التلمود البابلى ففى تلمود أورشليم لا وجود للكتاب الخامس وفى التلمود البابلى ليس هناك إلا رسالتان ونصف (نصف تامير ومدوث وكينيم) ولا يحتوى الميودث على حلقاه إلا فى الفقرات ١ : ٢ و٣ و ٩؛ ٢ : ٢و٤ و٥ و٦؛ ٣ : ٣ و٥ و٨؛ ٤ : ٢ و٥؛ ٥ : ٣ و٤ خلال المشناه ورد أسماء ١٢٨ حكيم ومن الذين ورد ذكرهم فى هذه الرسالة تقريباً كلهم شهود خراب الهيكل.

الفصل الأول

١ - كان الكهنة يقيمون حراسة الهيكل فى ثلاثة أماكن : فى منزل افتيناس وفى بيت نيستوس وفى بيت موكيد وكان اللاويون يقيمون حراسة فى ٢١ موقعاً، خمسة عند البوابات الخمسة التى تؤدى إلى المعبد (منزل الجبل)، وأربعة فى أربع الزوايا داخله وخمسة عند خمسة أبواب الرواق، وأربعة فى الأربع أركان خارجه، وواحد فى حجرة التقدمة، وواحد فى حجرة الهدايا، وواحد خلف مكان قدس الأقداس ودار الغفران.

٢ - وكان قائد الهيكل (رجل جبل الهيكل) يزور كل حارس يتقدمه مشاعل موقدة وكان يقول للحارس الذى ليس واقفاً :«سلام لكم» وإذا لاحظ أنه كان نائماً ضربه بعصى وكان له سلطان أن يحرق ملابسه، وكانوا يقولون ما الصوت الذى فى الرواق فيقال أنه صوت لاوى يضرب ويحرق ملابسه لأنه نام أثناء حراسته، ولقد قال رابای اليعازر مرة وجدوا أخا أمى نائماً فحرقوا ملابسه.

٣ – كان هناك خمسة أبواب لأسوار الهيكل (جبل الهيكل)، بوابتا خالدة فى الجنوب كانتا تستعملان للدخول والخروج، وكيبونوس من الغرب، وتاداى من الشمال ولم تستعمل لأى غرض، والبوابة الشرقية كان عليها مندوبون من مدينة شوشان ومنها كان يخرج رئيس الكهنة ومساعدوه إلى جبل الزيتون وكان يذبح العجل الأحمر.

٤ – وكان هناك سبع بوابات فى الرواق ثلاث فى الشمال، وثلاث فى الجنوب، وواحدة فى الشرق. والباب فى الجنوب كان باب الحرق يليه باب الأبكار ويلى هذا باب الماء .وتلك التى فى الشرق باب نيكانور وكان يتبعها حجرتان واحدة على اليمين وواحدة على اليسار الواحدة حجرة فينحاس حارس الملابس، والأخرى حجرة الذين يصنعون تقدمة الفطير.

٥ – والبوابة إلى الشمال كانت بوابة نيتسوتس وكانت تلى شكل اكسهيدرا وبنيت (أليا) فوقها، وكان الكهنة يقومون بالحراسة فوق واللاويون من تحت وكان لها باب يؤدى إلى (الشيل) ويليها بوابة التقدمة يليه بيت موكد.

٦ – وكان فى بيت موكد أربع حجرات كحجرات نوم صغيرة تؤدى إلى دار للأكل، إثنتان فى المكان المقدس، وإثنتان فى المكان غير المقدس، وكانت رؤوس العوارض تفصل بين ما هو مقدس وبين ما هو غير مقدس وماذا إذا كان الغرض منها؟ فالتى كانت تطل على الجنوب الغربى كانت غرفة التقدمة، والحجرة التى إلى الجنوب الشرقى كانت حجرة خبز الوجوه، والحجرة التى تطل على الشمال الشرقى وضع فيها الملوك الحشمونيون حجارة المذبح التى دنسها ملك ياوان والحجرة التى تطل على الشمال الغربى كان يهبطون منها إلى بيت الحمّام.

٧ – وكان هناك بوابتان لبيت موكد واحد يؤدى إلى الشيك والآخر يؤدى إلى الرواق ويقول راباى يهودا : «والآخر على الرواق كانوا يدخلون منه ليفحصوا الرواق.»

٨ – وكان بيت موكد ذا بواكى وكان بيتاً كبيراً محاطاً بشرفات من حجر وكان شيوخ بيت ابائهم يبيتون هناك ومفاتيح الرواق فى أيديهم والكهنة الصغار كل بوسادته على الأرض (وقد تكون هذه رداء.)

٩ – وكان هناك مكان ذراع فى ذراع وكان هناك لوح من الرخام مثبت بها

حلقة وكانت سلسلة المفاتيح تعلق هناك، وحينما يحين وقت الاعلان كان يرفع الرخام بالحلقة ويأخذ المفاتيح من السلسلة وكان الكاهن يغلق البوابات من الداخل وكان على اللاوى أن يبيت فى الخارج وحين كان ينتهى من الغلق كان يعيد المفاتيح إلى السلسلة ويعيد الرخامة مكانها ويضع وسادته عليها وينام هناك. وإذا نزلت بأحد منهم نازلة كان يخرج بواسطة سلم لولبى كان يمتد تحت البيت. وكانت الأضواء توقد من كل جانب حتى يصل إلى حجرة الحمّام وقال راباى اليعازر بن يعقوب : «بالسلم الملتوى مّر تحت الشيل وخرج وكان عليه أن يخترق التادى».

الفصل الثانى

١ - كانت أسوار الهيكل (مرتفع الهيكل) ٥٠٠ ذراع × ٥٠٠ ذراع وأطولها يطل على الجنوب يليه الذى يطل على الشرق ثم يليه الذى يطل على الشمال والأصغر على الغرب والمكان ٥٠٠ ذراع الذى كان فيه أطول قياس كان هناك معظم الخدمات.

٢ - كل الذين دخلوا أسوار الهيكل كانوا يدخلون باليمين وداروا وخرجوا من اليسار إلا الذين حلت بهم نازلة «ماذا ألم بك حتى درت إلى اليسار ؟ لأنى حزين على ميتى، ليعزيك ساكن هذا البيت. أو أنا تحت الحرم، ليضع ساكن هذا البيت فى قلوبهم أن يعبدوك! يقول له راباى ماثير. أما راباى يوسى فى أقواله تبدو وكأنهم أخطأوا إليه فى الحكم : «بل بالأحرى الساكن فى هذا البيت يضع فى قلبك أن تسمع لكلمات أخوتك فيعبدونك».

٣ - وبعد ذلك كان السوراج عشرة أشبارعلوا وكان بها ١٣ كسراً أحدثها ملوك ياوان وأعادوها وقووها وقرروا ١٣ سجدة فى اتجاهها (للذكرى) وبعد ذلك الشل عشرة أذرع وكان هناك اثنتا عشرة درجة الدرجة ارتفاعها نصف ذراع فى الارتفاع ووسعها نصف ذراع كل الدرجات هناك نصف ذراع ارتفاعاً واتساعها نصف ذراع إلا التى كانت فى الطريق المغطى. وكانت الطرق الموصلة إلى الأبواب الإرتفاع فيها، وكذا ارتفاع الأبواب عشرون ذراعاً واتساعها عشرة أذرع ماعدا التى فى الطريق المظلل وكل الأبواب هناك لها سجف ماعدا التى فى بوابة تاداى التى كان لها صحرتان الواحدة خلف الأخرى وكل البوابات كانت تجددت لكى تكون بالذهب ما عدا بوابة نيكانور لأنه كان منقوش عليها أعجوبة ولأنه النحاس كان يلمع.

٤ - وكل الأسوار هناك عالية ماعدا السور الشرقى لكى يستطيع الكاهن الذى حرق العجل الأحمر والواقف على جبل الزيتون واتجه لينظر يرى من خلال بوابة المقدس فى وقت رش الدم.

٥ - وكان رواق النساء ١٣٥ ذراعاً طولاً و١٣٥ عرضاً وكان هناك أربع حجرات فى أربع الزاوايا، كل ٤٠ ذراعاً غير مسقوفة وكان المقصود بها كما يقال «وأخرجنى إلى الدار الخارجية وعبرنى أربع زوايا الدار، وإذا بكل زاوية من زوايا الدار دور يصعد منها الدخان» (حز ٤٦ :٢١، ٢٢) ويقال أنها تدخن لأنها كانت غير مسقوفة. وفيما كانت تستعمل؟ الدار التى كانت تطل على الجنوب الشرقى كانت حجرة النذير حيث كان كل نذير يغسل ذبيحة السلامة وجز شعره وألقى به تحت الاناء. وتلك التى كانت تطل على الشمال الشرقى كانت حجرة الخشب حيث الكهنة الذين فقدوا أهليتهم كانوا يفرزون الخشب والعصى الذى وجد به سوس وكان يعتبر غير صالح للمذبح. وتلك التى تطل على الشمال الغربى كانت حجرة المصابين بالبرص. أما تلك التى كانت تطل على الجنوب الغربى فلقد قال راباى اليعازر ابن يعقوب أنه نسى فيما كانت تستعمل، ولكن آبا شاول قال هناك كانوا يضعون النبيذ والزيت وكانت تسمى حجرة بيت شمانياه. أما السور فكان كيوم انشائه وكان يحيط به طريق ضيق يسمح للنساء أن تنظر إلى أعلى وللرجال أن تنظر إلى أسفل لئلا يختلطا. وكانت خمس عشرة درجة تصعد إلى رواق اسرائيل بعدد الخمس عشرة درجة فى المزامير (ترانيم الدرج فى المزامير) وكان اللاويون يقفون عليها وهم يرتلون ولم تكن مستطيلة بل مدوره كقوس من مادة مدورة.

٦ - وكانت هناك حجرات تحت رواق اسرائيل وكانت تطل على رواق النساء وهناك كان اللاويون يضعون معازفهم وأعوادهم وصنوجهم وكل آلاتهم الموسيقية، وكان رواق اسرائيل ١٣٥ ذراع طولاً وأحد عشر ذراعاً عرضاً، وكذلك كان رواق الكهنة ١٣٥ ذراع طولاً وأحد عشر ذراعاً عرضاً. وكانت رؤوس العوارض موزعة بين رواق اسرائيل ورواق الكهنة، وقال راباى اليعازر ابن يعقوب وكانت هناك درجة ذراعاً ارتفاعاً عليها وضع الدوشان وفوقها ثلاث درجات كل نصف ذراع ونتج من ذلك أن رواق الكهنة كان ذراعان ونصف أعلى من رواق اسرائيل وكان كل الرواق ١٨٧ ذراعاً طولاً و١٣٥ ذراعاً عرضاً وحدث هناك ثلاث عشرة سجدة. وآبا يوسى بن كنان

قال أنها ناحية الثلاث عشر بوابة. والجنوبية كانت أقرب إلى الغرب. البوابة العليا ثم باب المحرقة، ثم بيت الأبكار وباب المياه. ولماذا سميت باب المياه ؟ لأن من خلالها كانوا يأتون بدلو الماء ليصبوا في عيد المظال. وقال راباي اليعازر بن يعقوب ومن خلالها «كانت تخرج المياه في الاتجاه الآتي تحت عتبة الهيكل» (حز ٤٧ :١) وكان مقابل لها من الشمال (أقرب إلى الغرب) باب جيكونياه ؟ وباب التقدمة وباب النساء وباب الترنيم ولماذا سمى باب جيكونياه لأن من خلاله ذهب جيلونيا إلى الأسر، وباب الشرق يدعى باب نيكانور وكان هناك بابان إلى الغرب لم يكن لهما أسماء.

الفصل الثالث

١ – وكان المذبح ٣٢ × ٣٢ ذراع إلى أعلى ذراعاً واحد ثم ينقبض ذراعاً واحداً وهذا هو القاعدة ويبقى ٣٠ × ٣٠ ذراع. ثم إلى أعلا ٥ أذرع وينقبض ذراعاً ذاك كان المحيط ويبقى ٢٨ × ٢٨، ثم مكان القرون ذراعاً من هذا الجانب وذراعاً من ذلك الجانب ويبقى ٢٦ × ٢٦ ومكان لوقوف الكهنة ذراع من هذا الجانب وذراع من ذاك الجانب ويبقى ٢٤ × ٢٤ وهو المكان الذى توضع عليه الذبيحة. قال راباى يوسى من البدء كان ٢٨ × ٢٨ ولكنه ينقبض ويعلو وفقاً لهذه المقاييس إلى أن يبقى للمكان وضع الذبيحة ٢٠ × ٢٠ ولكن لما عاد أبناء الأسره أضافوا عليها أربعة أذرع على الجنوب وأربعة أذرع إلى الغرب مثل جاما Gamma لأنه يقال: أريئيل سوف يكون ١٢ ذراعاً طولاً و١٢ ذراعاً عرضاً (اريئيل = أسد الله = المذبح) وهذا لا يعنى أنه ما كان ١٢ × ١٢ منذ أن أضيفت. وخط قرمزى أحاط به من الوسط يفصل بين رش الدم الأعلى ورش الدم الأدنى. والقاعدة امتدت حول الجانب الشمالى وكل الجانب الغربى ولكنها قصرت بمقدار ذراع من الجانب الجنوبى والجانب الشرقى وفى الزاوية الجنوبية الغربية كانت فتحتان كخياشيم صغيرة، وانصب الدم على القاعدة إلى الغرب وعلى القاعدة إلى الجنوب ونزل خلالهما واختلط فى القناة وانصب فى وادى قدرون.

وتحت فى الأرض المرصوفة فى تلك الزاوية كان مكان ذراع × ذراع وعليه لوح

رخام مثبت فيه حلقة ومن هنا كانوا ينزلون إلى قناة الصرف لتطهيرها وكان هناك مصعد مائل إلى الجنوب من المذبح طوله ٣٢ ذراعاً وعرضه ستة عشر ذراعاً وفيه حفرة فى جانبه الغربى كانوا يرمون فيها ذبائح الاثم من الطيور لأنها تدنست.

٤ - والحجارة للمصعد المائل وحجارة المذبح أتت كلها من بيت كاريم وحفروا تحت التربة العذراء وأخرجوها سليمة دون أن تصاب لم يرفع عليها حديد لأن الحديد يدنس كل شيء باللمس أو بالخدش. وأحد الصخور خدشت فتدنست ولكن البقية كانت حسب الناموس فاستعملت وكانوا يبيضونها مرتين فى السنة مرة فى الفصح ومرة فى عيد المظال، أما المقدس فكان يبيض مرة واحدة فى عيد الفصح، ويقول راباى (يهوذا القديس) : فى مساء كل سبت كانوا يبيضونها بقماش بسبب رشاش الدم» ولم يغطوه بمكلس بأداة لئلا تلمسه وتدنسه لأن الحديد خلق ليقصر أيام الانسان والمذبح خلق ليطيل أيام الانسان وعلى ذلك فلا يكون من الصواب أن ما يقصر يعلو ما يطول.

٥ - وكان هناك حلقات إلى الشمال من المذبح ستة صفوف فى كل منها أربعة ويقول البعض لا بل أربع صفوف فى كل منها ست وفيها ذبحوا الذبائح المقدسة وبيت الذبح كان إلى الشمال من المذبح وكان هناك ثمان أعمدة قصيرة ومربعات من خشب البلوط فوقها اتصل بهما خطاطيف من الحديد وكان فوق كل منها ثلاثة صفوف كانوا يعلقون عليها ويسلخون على موائد من الرخام بين الأعمدة.

٦ - وكان المغسل بين الطريق والمذبح وكان يميل أقرب نحو الجنوب وبين الطريق والمذبح ٢٢ ذراعاً واثنتا عشر درجة ارتفاع كل منها نصف ذراع وامتدادها ذراع ذراعا ذراعاً ثم اتساع من ثلاثة أزرع والأعلى ذراعاً ذراعاً واتساع أربعة أزرع وقال راباى يهوذا الأعلى ذراع ذراع واتساع خمس (أذرع).

٧ - وباب الطريق كان ارتفاعه ٤٠ ذراعاً وعرضه عشرون و خمس عوارض من خشب كان فوق القمة أخفضها بارز فوق الباب ذراع من هذا الجانب وذراع من ذلك الجانب والعارض الذى فوقه امتد فوقها ذراعاً من هذا الجانب وذراعاً من ذلك الجانب بحيث كان أعلاها ثلاثين ذراعاً وكان هناك دعامة من الصخر بين كل واحدة.

٨ - ودعامات من البلوط كانت مثبتة من حائط المقدس إلى حائط الطريق لئلا ينبعج وثبتت من سقف الطريق سلاسل من ذهب كان صغار الكهنة يصعدون لينظروا إلى التيجان كما هو مكتوب وسيكون تيجان لحيليم ولطوبيا ولجدايا ولحيم ولهن بن صفنيا للذكرى فى هيكل الرب. (زك ٦ :١٤) وكرم من ذهب كان فوق مدخل المقدس وكان يتدلى من فوق العوارض وكل من نذر ورقة أو ثمرة أو عنقوداً أتى بها وعلقها هناك وقال راباى اليعازر بن راباى صادوق (حدث أنهم اضطروا إلى ازالتها) فعينوا لذلك ثلثمائة كاهن.

الفصل الرابع

١ - مدخل المقدس كان ارتفاعه عشرين ذراعاً عرضه عشرة أذرع وكان له أربعة أبواب بابان يطويان اثنان داخلا واثنان خارجاً كما هو مكتوب والمكان المقدس كان لهما بابان (حز ٤٠ :٢٣). البابان الخارجيان يفتحان إلى الداخل ليغطيا سمك الحائط والبابان الداخلان كانا يفتحان إلى المنزل ليغطيا خلف الأبواب وقال راباى يهوذا وزوجا الأبواب كان داخل المدخل مثل ارترميتا (فسر بعضهم بالورقة الملفوفه)» وطويا للخلف هذا ذراعان ونصف وهاتان ذراعان ونصف وهاتان الذراعان ونصف ذراع وقائم الباب من هذا الركن، ونصف ذراع قائم الباب من ذلك الركن ولذا يقال والأبواب لها ورقتان تدوران اثنتان للباب واثنتان للباب الآخر.(حز ٤٠ :٢٤).

٢ - والبوابة الكبرى كان لها بابان صغيران واحد إلى الشمال وواحد إلى الجنوب أما باب الجنوب فلم يمسه انسان وما ورد فى حزقيال يشير إلى هذا بوضوح كما هو مكتوب : «ثم قال لى الرب هذا الباب سوف يكون مغلقاً». وسوف لن يدخل به أحد لأن الرب إله اسرائيل قد دخل منه ولذلك سوف يكون مغلقاً وأخذ المفتاح وفتح الفتحه الصغيرة ودخل الحجرة الصغيرة ومنها إلى المقدس وقال راباى يهوذا علي طول سمك الحائط مشى حتى وجد نفسه واقعاً بين البابين وفتح الخارجى من الداخل والداخلى من الخارج.

٣ - وكان هناك ثلاث وثمانون حجرة صغيرة خمس عشرة للشمال وخمسة عشر للجنوب وثمان على الغرب وعلى الشمال وعلى الجنوب خمس فوق وخمس

فوقها وفى الغرب ثلاث فوق ثلاث واثنتان فوقهما. وكل منها لها ثلاثة مداخل واحد للحجرة الصغيرة على اليسار وواحد للحجرة الصغيرة إلى أعلى. وفى الركن الشمالى الغربى كان خمسة مداخل واحد للحجرة الصغيرة إلى اليمين والآخر للحجرة الصغيرة إلى أعلى وآخر للسلم الملتوى وآخر إلى الباب الصغير وآخر إلى المقدس.

٤ - وكانت الحجرة السفلى خمسة أذرع والسقف ٦ والوسطى ستة والسقف ٧ والأعلى ٧ كما يقال واخفض حجرة كانت خمس أذرع عرضاً وعرض الوسطى ستة أذرع وعرض الثالثة سبعة أذرع لأن صنع أبنيه متناقضه فى المنزل حواليه من الخارج لئلا تثبت العوارض داخل حوائط البيت.

٥ - وكان هناك سلم متعرج يصعد من الزاوية الشمالية الشرقية إلى الزاوية الشمالية الغربية كانوا يصعدون به على أسطح الحجرات. وكان الواحد يصعد هذا السلم ووجهه للغرب ويسير على طول الجانب الشمالى حتى أتى إلى الغرب وكان يأتى إلى الغرب ويدير وجهه للجنوب. ويسير على طول الجانب الغربى حتى يصل إلى الجنوب وأتى إلى الجنوب ويدير وجهه شرقاً ويسير على طول الجانب الجنوبى حتى يأتى إلى مدخل المياه لأن مدخل المياه يطل على الجنوب. وفى مدخل المياه كانت عارضتا البلوط اللتان كانا يصعدان بهما على سقف الألياه ورؤوس العوارض المقسمه فى الألياه بين القدس وقدس الأقداس وكانت أبواب سرية تفتح فى الألياه إلى قدس الأقداس وبهذه كانوا ينزلون العمال فى صناديق حتى لا يفرّحوا أعينهم فى قدس الأقداس.

٦ - وكان القدس مائه ذراع فى مائه ارتفاعاً (١٠٠×١٠٠) والأساس ستة أذرع والارتفاع فوقه أربعون ذراعاً وذراع نطاق زخرفى وذراعان مكان تساقط نقط المياه وذراع غطاء وذراع للقاع المرصوف وارتفاع الألياه أربعون ذراعاً وذراع نطاق زخرفى وذراعان لما يتساقط وذراع غطاء وذراع رصيف وثلاث أذرع أعمدة للزينة وذراع لابعاد الطيور وقال راباى يهوذا أن هذا الأخير لم يحسب فى المقياس وكانت منطقة أعمدة الزخرفية أربعة أذرع.

٧ - من الشرق إلى الغرب مائة ذراع حائط الطريق خمسة والطريق ١١ وحائط القدس ٦ وفضاؤه الداخلى ٤٠ ذراع والحائط المتوسط ذراع واحد وقدس الأقداس

٢٠ وحائط القدس ٦ والحجرة الصغيرة ٦ وحائط الحجرة الصغيرة ٥، أما من الشمال إلى الجنوب سبعون ذراعا وحائط الدرج ٥ والدرج ٣ وحائط الحجرة الصغيرة ٥، والحجرة الصغيرة ٦ وحائط المقدس (القدس) ٦ والفضاء الداخلى ٢٠ ذراعاً وحائط المقدس ٦ والحجرة الصغيرة ٦ وحائط الحجرة الصغيرة ٥ ومكان نزول الماء ٣ أذرع والحائط ٥ أذرع والطريق امتد بعده ١٥ ذراعاً شمالاً و١٥ ذراعاً من الجنوب وسمى دار اللاويين للذبيحة لأنهم كانوا يضعون هناك سكاكينهم والمقدس كان ضيقاً من الخلف وواسعاً من الأمام ويشبه الأسد كما هو مكتوب« ياارئيل أسد الله المدينة التى سكنها داود» وكما أن الأسد ضيق من الخلف وعريض من الأمام هكذا المقدس ضيق من الخلف وواسع من الأمام.

الفصل الخامس

١ – وكان كل الرواق ١٨٧ ذراع طولاً و١٣٥ عرضاً ومن الشرق إلى الغرب ١٨٧ ذراع والمكان لموطئ اسرائيل ١١ قدماً والمكان لموطىء الكهنة ١١ قدماً والمذبح ٣٢ وما بين الطريق والمذبح ٢٢ ذراعاً والمقدس (القدس) ١٠٠ قدم و١١ قدماً خلف بيت الغفران.

٢ – من الشمال للجنوب ١٣٥ ذراعاً المذبح والدائرة ٦٢ ومن المذبح إلى الحلقة ٨ أذرع ومكان الحلقات ٢٤ ذراعاً ومن الحلقات إلى الموائد ٤ ومن الموائد إلى الأعمدة ٤ ومن الأعمدة إلى حائط الرواق ٨ أذرع والباقى بين الدائرة والحائط ومكان الأعمدة.

٣ – وكان هناك ست حجرات فى الرواق ثلاث حجرات إلى الشمال وثلاث حجرات إلى الجنوب والثلاث إلى الشمال هى حجرة الملح وحجرة بارڤا وحجرة الذين غسلوا، وحجرة بارڤا كانوا يعالجون جلود الذبائح المقدسة بالملح، وعلى السقف كانت دار استحمام رئيس الكهنة فى يوم الغفران أما حجرة الذين غسلوا حيث غسلوا، داخل الأشياء المقدسة ومن هناك درج صعد إلى سقف حجرة بارڤا

٤ – وتلك التى ناحية الجنوب حجرة الخشب وحجرة الأسر، وحجرة الأحجار المقطوعة وقال راباى اليعازر بن يعقوب لقد نسيت فيما كانت تستعمل حجرة

الخشب فقال آقا شاول كانت حجرة رئيس الكهنة وكانت وراء الاثنتين الأخريين وامتد سقف فوق الثلاثة (أى أن كان لها سقف مشترك) وحجرة الأسر كان بها بئر حفرها الذين من الأسر ووضعوا ساقية عليها كانوا يزودون كل الرواق بالماء، وحجرة الحجارة المقطوعة فيها كان يجلس السنهدريم العظيم لاسرائيل يقضون للكهنة، والكاهن الذى وجد فيه ما يفقده أهليته كان يلبس السواد وكان يلبس نقاباً أسود وكان عليه أن يرحل وإذا لم يوجد فيه علة كان يرتدى لباساً أبيض ونقابا أبيض ودخل يخدم مع أخوته الكهنة وأقاموا يوم عيد لأنه لم يوجد عيب من زرع هارون الكاهن وهكذا كانوا يقولون مبارك الرب ومبارك لأنه لم يوجد عيب من زرع هارون الكاهن ومبارك الذى اختار هارون وبنيه ليخدموا أمام وجه الرب فى بيته الأقدس.

الملحق الثانى

مختارات من التلمود البابلى

مسيكيث بيراكوث ورسالة على البيراكوث

بيراكوث هو أول رسالة من السفر الأول (سيرايم الذى يحتوى على احدى عشرة رسالة) وتحتوى على تسعة فصول التى تشرح على التوالى الواجب والاستثناءات والوضع والأشكال والمتناقضات فى الصلاة، وهذه الرسالة موجودة فى تلمود أورشليم والتلمود البابلى، ولقد كتب مايمونيدس العظيم مقدمه للسفر سيرايم بمقدمة عامة التى تمثل وجهة نظر عامة عن روح التلمود وبالرغم عن علمه وسلطانه الواسعين هناك نقص كثير وعدم تحرى الدقة وجدت فى مقدمته.

المشناه فى أية ساعة تكون الشيما (الصلاة المشهورة التى تبدأ اسمع يا اسرائيل أفى المساء من الساعة التى دخل فيها الكهنة ليأكلوا الثيروما ت(تقدمة الرفيعة التى تعطى للكهنة ويأكلونها داخل الهيكل) إلى نهاية الحراسة الأولى فى المساء هذه هى كلمات راباى اليعازر ولكن الحكماء يقولون حتى منتصف الليل ويقول راباى غمالائيل حتى يشرق عمود النهار (الفجر) وحدث أن أولاده عادوا من حقله وقالوا لم نقل الشيما إذا كان عامود النهار أشرق فأنتم ملزمون أن تقولوها ولم يقولوا ذلك فحسب بل حيثما قال الحكماء حتى نصف الليل الأمر ينطبق حتى يبزغ الفجر وحرق الشحم الذبائح حتى يبزغ عامود الصباح (الفجر) وهكذا كل ما يجب أكله فى نفس اليوم الذى قدم فيه يسمح بأكله حتى يبزغ عمود النور وإن كان ذلك كذلك فلم يقول الحكماء حتى منتصف الليل ليحفظوا الانسان من التعدى.

جيمارا (مناقشة وتعليق):

حتى نهاية حراسة المساء ماذا يعنى راباى اليعازر بذلك؟ لو أنه يعنى أن الليل فيه ثلاث حراسات يجب عليه أن يقول أربع ساعات وإن كان يعنى الليل فيه أربع

حراسات يجب عليه أن يقول حتى ثلاث ساعات وفى الحقيقة هو يعنى أن الليل فيه ثلاث حراسات. بل بهذا التعبير أن هناك حراسات فى السماء كما أنه هنا حراسات فى الأرض لأننا عندنا تعليم : راباى اليعازر يقول هناك ثلاث حراسات ليلية فى الليل وفى كل منها يزأر الواحد القدوس تبارك اسمه كالأسد لأنه مكتوب (أرميا ٢٥ : ٣٠) الرب من السماء يزمجر ومن مسكن قدسه يطلق صوته يزأر زئيراً على مسكنه والعلامات على هذا الشيء هى كالآتى : فى الحراسة الليلية الأولى ينهق الحمار ،فى الثانية ينبح الكلب، وفى الثالثة يرضع الرضيع من أمه وتتكلم الزوجة لزوجها، وكيف يدل عليها راباى اليعازر هل يدل على بداية حراسة الليل الأولى وما حاجتنا إلى علامة وقد نرى الليل أو يسير إلى نهاية حراسة الليل لأنها نهاية الحراسة لحراسة الليل، ولماذا يعطى علامة وهو يرى النهار بل هو يدل على نهاية الحراسة الليلية الأولى وبداية الحراسة الليلية الأخيرة وسط الحراسة الليلية الوسطى وإذا شئت سوف أقول أنه يشير إلى نهاية الحراسات الليلية ولو أنك تقول الأخيرة لا تحتاج إليها ماذا سنحصل عليه منها.

من قراءة الشيما اسمع يا اسرائيل لمن ينام فى بيت مظلم ولا يعلم وقت قراءة الشيما معنى هى بحيث عندما تتحدث المرأة مع زوجها ويرضع الطفل من أمه قد يقوم ويتلو صلاته يقول راباى اسحق بن صموئيل فى الليل ثلاث حراسات وفى كل من هذه الحراسات يجلس الواحد القدوس تبارك اسمه ويزأر كالأسد ويقول ويل للبنين لأنى بسبب خطاياهم خربت بيتى وحرقت هيكلى وطردتهم بين أمم الأرض.

لدينا تعليم رابى يوسى قال مرة كنت مسافراً ودخلت فى احدى خرائب أورشليم لأصلى فأتى إيليا لتكن ذكراه للخير وانتظرنى عند الباب حتى أنهيت صلاتى وبعد أن أنهيت صلاتى قال لى السلام لك رباى فقلت له : السلام رباى ومعلمى وقال لى :يا ابنى لماذا دخلت هذا المكان الخرب فقلت له : لكى أصلى فقال لى :كان يمكنك أن تصلى على الطريق فقلت له : كنت أخشى أن المارين على الطريق يقطعون على صلاتى فقال لى كان يلزمك أن تصلى صلاة قصيرة. وفى تلك الساعة تعلمت منه ثلاثة أمور أن ليس للانسان أن يدخل إلى مكان خرب وأنه مسموح أن يصلى الانسان فى الطريق وأن الانسان الذى يصلى فى الطريق عليه أن يصلى صلاة قصيرة فقال لى

أيضاً يا ابنى (أى صوت سمعه الانسان فى ذلك المكان الخرب فقلت له سمعت الباث كرل (صوت ابنة صوت من السماء) صوتها كصوت اليمامة وتقول ويل للبنين لأنه بسبب خطاياهم خربت بيتى وحرقت مقدسى وطردتهم بين الأمم وقال لى وحياتك وحياة رأسك لا فى هذا الوقت تقول ذلك فقط بل كل يوم ثلاث مرات تقوله ولا تقول هذا فقط بل كان وقت يدخل اسرائيل بيت الصلاة وبيت الدرس وعندما يقولون تبارك اسمه العظيم ثم الواحد القدوس تبارك اسمه يحرك رأسه ويقول طوبى للملك الذى يباركونه فى بيته ماذا للأب الذى يطرد بنيه للأسر ويل للبنين المطرودين من مائدة أبيهم ويعلم المعلمون لماذا لا يجب أن يدخلوا الخرائب بسبب الريبة (الاثم السرى) وبسبب تساقط الجدران وبسبب الأرواح الشريرة فأما بسبب الريبة ألا يكفى بسبب هذا وحده.

إذا كانت حديثه أى إذا لم تخرب إلا من مدة صغيرة وإذا كانت الأرواح الشريرة لا تكون إذا كان اثنان ولكن إذا كان هناك اثنان هل يتقدم داعى الريبه الأ إذا كانا شريرين.

وعلم المعلمون (الراباى) فى الليل أربع حراسات هذا كلام راباى يهوذا القديس وناثان يقول ثلاثة وما استند راباى ناثان لأنه مكتوب (قض ٧ : ٩) «وأتى جدعون والمائة رجل اللذين كانوا معه إلى خارج المعسكر فى مبتدأ الحراسة الوسطى» علم ليس هناك وسط إلا إذا كان واحد قبل وواحد بعد (راباى) وما معنى كلمة وسط أجاب أحد الحراسات الوسطى بين الحراسات الوسطى وراباى ناثان مكتوب وسط الحراسات الوسطى ليس مكتوباً إلا الحراسة الوسطى ولكن ما سند راباى : راباى سريكا قال ان راباى آلى قال ان راباى يشوع بن لاوى فى مكان يقول (مز ١١٩ : ٦٢) «فى منتصف الليل أقوم وأشكرك على أحكام عدلك» وفى مكان آخر يقول (مز ١١٩ :١٤٨) «تقدمت عيناى الهزع» لأن الليل فيه أربع حراسات وراباى يوناثان يفسر كما يفسر راباى يشوع لأننا عندنا التعليم الآتى راباى يشوع يقول إلى ثلاث ساعات فى النهار يمكن أن تتلى صلاة الشيما (اسمع يا اسرائيل) لأن هذا هو طريق الملوك أن تستيقظوا الساعة الثالثة (عند الفجر) وست ساعات من الليل (أى من منتصف الليل للفجر ست ساعات) وساعتين بالنهار هما حراستان (كل أربع ساعات) راباى آشى يقول حراسة ليل ونصف يمكن أن تسمى حراسة ليل.

راباى سيريكا قال أن راباى آمى قال أن راباى يشوع بن لاوى قال لا يجب عليك أن تكلم الموتى إلا كلمات الموتى وراباى ابن كهانا قال لا يقولون هذا إلا بالاشارة إلى كلمات الناموس (لأنه مفروض أن كل واحد ملزم أن يشترك فى هذا الحديث) واما بخصوص السماوات العادية فلا يهم ويقول البعض راباى أبا بن كاهانا قال لا يقولون ذلك إلا بخصوص كلمات الكتاب ولكن أكثر من ذلك بخصوص الحديث العادى.

وداود قام فى منتصف الليل كما ورد سابقاً ألم يقم فى المساء لأنه مكتوب (مز ١١٩ : ١٤٧) «تقدمت العتمة (شفق المساء) فصرخت» وكيف نعرف أن هذه العتمة هى الغسق قبل المساء لأنه مكتوب فى (الأمثال ٧ : ٩) «فى العتمة فى مساء اليوم فى ظلام الليل ومن الظلمة» وراباى أوشجا قال ان راباى عكا قال وهذا قال داود لم يمر نصف الليل على مرأنا نائم. وقال راباى سهيرخ إلى منتصف الليل كان ينام كالحصان ومن ذلك اليوم ما بعده كان يتشدد كالأسد. راباى آشى قال إلى منتصف الليل شغل نفسه بكلمات الناموس؛ ومن ذلك وما بعد بالمزامير والترانيم والعتمة فى المساء أليس هناك غنمه الصباح كما هو مكتوب (١ صم ٣٠ : ١٧) وضربهم داود من العتمة إلى مساء اليوم التالى ألا يكون القصد من عتمة الصباح إلى عتمة المساء، لا لم يقصد ذلك بل قصد من المساء إلى المساء ولو كان ذلك صحيحاً لكان المكتوب من العتمة إلى العتمة أو من المساء إلى المساء وأيضاً راباى قال هناك عتمتان عتمة المساء (ما نسميه نحن الشفق) وبعدها يأتى الصباح وعتمة الظهر (نسميه نحن غسق) وبعدها يأتى الليل وكيف عرف دواد نصف الليل ومتى تكون لأن موسى معلمنا لم يعرفه لأنه مكتوب (خر ١١ : ٤) حول نصف الليل أخرج إلى وسط مصر ما هو نحو نصف الليل فإذا قيل أن الواحد القدوس مبارك اسمه قال له نحو الوسط فهل يمكن هناك أى شك فى السماء ولكنه قال فى منتصف الليل ثم أتى وقال نحو منتصف الليل (أى أن موسى قال هذا لأنه لم يعرف بالضبط متى نصف الليل وعلى ذلك كان هو فى شك وداود هل حقيقة كان يعرف أما داود فكان لديه علامة لأن راباى عكا ابن بسنا قال ان راباى سيمون التقى قال كان هناك ناى معلق فوق سرير داود وعندما كان نصف الليل يحل كانت ريح الشمال تقوم وهبت عليه فكان يصدر أصواتاً من ذاته وعلى التو كان دواد يستيقظ ويدرس التوراه

حتى يشرق عمود الصباح (الفجر) وما أن يبزغ عمود الصباح إلا ويأتى حكماء اسرائيل فقالوا له أيها السيد أيها الملك شعب اسرائيل يطلبوا أن يعانوا فقال أعينوا أنفسكم ليعن الواحد منكم الآخر فقالوا له الحفرة لا تكفى أسداً والحفرة لا تمتلئ برملها فقال لهم مدوا أيديكم فى الجيش (أى حاربوا واغزوا) حينئذ استشاروا أخيتوفل وفكروا فى السنهدريم واستشاروا الادريم والقوميم راباى يوسف قال وماذا كان الكتاب غير هذا (١ أخ ٢٧ : ٣٤) وكان بعد أخيتوفل بنياهو بين يهويا داع وابيآثار وكان رئيس جيش الملك يؤاب وكان اخيتوفل مشيراً للملك ولذا يقال (٢ صم ١٦ : ٢٣) وكانت مشورة أخيتوفل التى كان يشير بها فى تلك الأيام كمن يسأل بكلام الله وبنياهو بين يهويا داع أى السنهدريم وآبيآثار كانوا الاوريم والتميم Urim,Thummim وهكذا يقال (٢ صم ٢٠ : ٢٣) وبنيايا ابن يهويا داع كان على الكيرثتيت وعلى البيليثيت ولماذا كان اسمهم الكيرثتيت ولبيليثيت أما الكيرثتيت فكانوا يقصرون كلماتهم وأما البيليثيت فكانوا غريبين فى كلماتهم (هنا تلاعب فى الألفاظ اليهودية) وبعد هؤلاء كان يؤاب قائد الملك وقال راباى اسحق به ابدى يقول البعض وماذا أيضاً يعنى الكتاب (مز ٥٧ : ٨) «ستيقظ يا مجدى استيقظى يا رباب ويا عود أنا أستيقظ سحراً» وقال راباى سريل موسى عرفها (ساعة نصف الليل) وكذلك داود عرفها فإن كان داود عرفها فلماذا كان هناك عدد ليوقظه من نومه، وإن كان موسى يعرفه فلماذا قال نحو منتصف الليل وربما دار فى فكر موسى أن فلكيى فرعون قد يخطئون فيقولون أن موسى كاذب لأن السيد يقول علم لسانك أن يقول أنا لا أعرف ربما تعتبر أنك تكذب ويقبض عليك وقال راباى آشى كنت فى منتصف ليل الثالث عشر وبعدها يطلع فجر الليلة الرابعة عشر وهكذا قال موسى لاسرائيل الواحد القدوس تبارك اسمه يقول باكراً نحو نصف الليل كالآن سأذهب وسط مصر.

قال راباى اليعازر ما هو ما كتب (مز ٦٣ : ٤) «هكذا أباركك فى حياتى باسمك أرفع يدى» فقوله سوف أباركك فى حياتى هذا هو قول الشيما (اسمع يا اسرائيل أما قوله باسمك أرفع يدى : هذه صلاة ولو يفعل يقول عنه الكتاب «ستشبع نفسى كما من شحم ودسم» وليس ذلك فقط بل أنه سوف يرث عالمين العالم الحاضر والعالم الآتى كما هو مكتوب «وبشفتى الابتهاج يسبحك فمى».

راباى اليعازر بعد أن أكمل صلاته قال لتكن المسرة أمامك أيها السيد الهنا أن

يكون من نصيبنا الحب والأخوة والسلام والصداقة وأن تزيد من ممتلكاتنا بالتلاميذ وتبتهج نهايتنا بنهاية سعيدة وبالرجاء وتضع نصيبنا فى الفردوس إسمح أن نكون فى شركة صالحة يميل للصلاح فى هذا العالم حتى نقوم ونجد قلوبنا فى خوف من اسمك وحتى يأتى شهوة قلوبنا أمامك للصلاح.

راباى يوكانان بعد أن أكمل صلاته: قال لتكن المسرة أمامك أيها السيد الهنا أن تتطلع إلى عارنا وتنظر إلى أحزاننا وأن تكسو نفسك بالرحمة وتغطى نفسك بقوتك وتلبس نفسك رداء نعمتك وتمنطق نفسك بالعطف وأن يأتى أمامك كل ملء صلاحك وتنازلك.

راباى سعيرة بعدما أكمل صلاته قال: لتكن المسرة أمامك أيها السيد الهنا ألا نخطىء ولا نخزى أو نضطرب أمام آبائنا.

راباى كيجا بعدما أكمل صلاته قال: لتسر أيها السيد ربنا بأن يكون توراتك عملنا وبألا تضعف قلوبنا وألا تظلم عيوننا.

راب بعد أن أكمل صلاته قال: لتسر أيها السيد ربنا أن تعطينا حياة طويلة، حياة سلام، حياة صلاح، حياة بركة، حياة تعزية، حياة قوة وصلابة، حياة خوف من الاثم، حياة خالية من العار والاضطراب، حياة غنى وشرف، حياة حب للتوراه وخوف السماء، حياة تكمل أنت فيها كل رغبات قلوبنا للصلاح والخير.

راباى بعد أن أكمل صلاته قال: لتكن المسرة أمامك السيد الهنا وإله آبائنا أن تحفظنا من الخاطئ الجسور وفى الجسارة على الإثم ومن رجل شرير وحادثة شريرة ومن حافز على الشر ومن رفيق شر وجار شرير ومن الشيطان المخرب ومن دينونة قاسية ومن عدو قاس سواء كان إبن العهد المقدس أم لا وصلى هكذا مع أنه كان محوطاً بالضباط ولم يعقه حضورهم من الصلاة.

راباى سافرا بعد أن أكمل صلاته قال: لتكن المسرة أمامك أيها السيد ربنا أن تحل السلام فى العائلة فوقنا (الملائكة) وبالعائلة أسفل وبين الطلبة الذين يشتغلون بتوراتك سواء شغلوا أنفسهم بها من أجلها أو ليس من أجلها وفيما يختص بكل من يشغلون أنفسهم لا بسببها لتسر بالله بأن يشغلوا أنفسهم بها من أجلها.

راباى الاسكندر بعد أن أكمل صلاته قال: لتكن مسرتك أيها السيد ربنا بأن تضعنا فى ركن ضوء لا فى ركن ظلمه ولا تضعف قلوبنا أو تظلم عيوننا ويقول البعض أن راب هو الذى صلى هذه الصلاة راباى الاسكندر بعد أن صلى قال يارب العالم ظاهر ومعروف أمامك أن مسرتنا أن نعمل مسرتك ومن يعوقها الخميرة فى bake meat وخدمة السيادة الأجنبية لتسر بالله أن يخلصنا من أيديهم لترجع ونضع ناموس مسرتك الصالحة بقلب كامل.

رابا عندما أكمل صلاته قال: أيها السيد إلى أن خلقتنى لم أكن شيئاً أما وقد خلقت فإنى مكانى لم أخلق تراباً أنا فى الحياة وأقل من ذلك عندما أموت تطلع يا الله ها أنا أمامك كإناء ملآن عاراً واضطراباً فلتسر أيها السيد الإله أنى لا أخطئ بعد وامنح فى عظيم رحمتك ما ارتكبت من اثم ولكن لا يكن ذلك بالتأديب والأمراض الشريرة وهذه كلمة اعتراف الآب (حمونا الصغير) فى يوم الغفران.

مار رابينا عندما أكمل صلاته قال: ما يأتى: يا سيد احفظ لسانى من الشر وشفتاى من أن تتكلما بالمكر ومن ناحية الذين يلعنون روحى فلأكن صادقاً لتكن نفسى كالتراب من ناحية الجميع افتح قلبى فى شريعتك ولتجعل روحى تتبع وصاياك وخلصنى من حادث شر ومن ميل شرير وإمرأة شريرة ومن كل شر يرتفع ليأتى للأرض وكل من يفكرون بالشر عليك أشرع وحمق مشورتهم واجعل أفكارهم كلا شيء لتسر يا الله بأن تكون كلمات فمى وتأملات قلبى مقبولة لديك يا الله قونى فادى (مفتدى).

راباى شيشيت بعد أن صام وعندما أكمل صلاته: يا سيد العالم واضح أمامك أنه فى الوقت الذى كان فيه المقدس قائماً أخطأ انسان وأحضر تقدمة ولم يقدم منها إلا شحمها ودمها فكان يغفر له والآن أنا صمت وشحمى ودمى قد نقصا فلتكن المسرة أمامك أن شحمى ودمى اللذين قد نقصا يكونان وكأنى قدمتهما على المذبح وارحمنى.

رباى يوحانان عندما أكمل سفر أيوب قال: نهاية كل انسان هو أن يموت ونهاية كل حيوان أن يذبح والكل يموت وبارك الذى نما فى التوراه وشغل نفسه بالتوراه ويجاهد لتكون روحه هادئة من جهة خالقه والذى نما باسم طيب والذى انتقل من

هذا العالم باسم طيب وعن مثل هذا قال سليمان (جا ٧ : ١) «الصيت خير من الدهن الطيب ويوم الممات خير من يوم الولادة».

كان راباى مائير يردد هذا القول تعلم بكل قلبك وبكل نفسك لكى تعرف طرقى ولكى تنمو على أبواب توراتى احفظ توراتى فى قلبك وليكن خوفى أمام عينيك احفظ فمك من كل إثم واطهر وقدس نفسك من كل تعدى وإثم وسأكون معك فى كل مكان.

راباى حسدا: كل حلم ليس له معنى إلا إذا صام أحد (بسببه) وقال أيضاً راباى حسدا الحلم الذى لا يفسر هو كالخطاب الذى لا يقرأ وأيضاً راباى حسدا قال ليس هناك حلم صالح يتم كل شىء فيه وليس هناك حلم ردىء يتم كل سىء به وأيضاً قال الراباى حسدا الحلم السيئ كالحلم الخير وأيضاً قال: راباى حسدا : يكفى الحلم السيئ حزنه ويكفى الحلم الجيد سروره وقال راباى يوسف وكان هذا الراباى أعمى: الحلم الجيد السرور فيه يلغيه وأيضاً قال راباى حسدا إن الحلم السيئ أثقل من العقوبة والتأديب لأنه مكتوب (جا ٣ : ١٤) إن الله يعمله حتى يخاف الناس أمامه ورباه حفيد حناه قال راباى يوحنان قال يشير هذا إلى حلم شرير (أر ٢٣ : ٢٨) النبى الذى معه حلم فيلقص حلماً والذى معه كلمتى فليتكلم كلمتى بالحق وللتبن والحنطة وللأحلام ولكن رابى يوحنان يقول باسم راباى سمعون بن يوخى: إذ أن القمح لا يكون ممكناً بدون القش هكذا الحلم لن يكون ممكناً بدون الأشياء الكاذبة وقال راباى براخيا الحلم لو تم جزء منه لن يتم كله ومن أين أتينا بهذا من يوسف لأنه مكتوب (تك ٣٧ : ٩) وإذا الشمس والقمر... وفى هذا الوقت كانت أمه ماتت وقال راباى ليفى لينتظر الانسان حلم إلى اثنتين وعشرين سنة ومن أين هذا من يوسف لأنه مكتوب (تك ٣٧ : ٢) هذه مواليد ليعقوب كان يوسف سبعة عشر عاماً..... ومكتوب (تك ٤١ : ٤٦) وكان يوسف ابن ثلاثين سنة لما وقف أمام فرعون ـ ومن سبعة عشر إلى ثلاثين سنة ثلاث عشرة وسبع سنين شبع واثنتان جوع فيكون الجميع اثنتين وعشرين.

قال راباى: هونا للرجل الطيب لا يظهر حلم طيب وللرجل الشرير لا يظهر حلم شرير وعندنا هذا التعليم كل سنى داود لم يحلم حلماً جيدا وكل أيام أخيتوفل لم

يحلم حلماً رديئاً ومع ذلك مكتوب (مز ٩١ : ١٠) «فلا يلاقيك شر».

رابای هونا بن آمی قال: رابای ببداث قال رابای يوخنان قال من رأى حلماً فاضطربت روحه فليذهب ويفسره أمام ثلاثة ليفسره ولكن رابای خيرا قال الحلم الذى لا يفسر مثل خطاب لم يقرأ ولكن بكل تأكيد (أقصد) أن يفسره تفسيراً حسناً أمام ثلاثة فيدعو ثلاثة ويقول لهم قد حلمت حلماً سعيداً فيقولون له إنه جيد وسوف يكون خيراً الرحوم وحده يحوله للخير ليتقرر من السماء سبع مرات أنه خير وسوف يكون خيراً فهم يقولون ثلاث تحويلات وثلاث خلاصات وثلاث مرات سلام ثلاث حولت (مز ٣٠ : ١) «حولت نوحى إلى رقص لى حللت مسحى ومنطقتنى فرحاً» ثم (أرميا ٣١ : ١٣) «حينئذ تفرح العذراء بالرقص والشبان والشيوخ معاً وأحول نوحهم إلى طرب» ثم (تث ٢٣ : ٥) «ولكن لم يشأ الرب إلهك أن يسمع لبلعام فحول لأجلك الرب الهك اللعنة إلى بركة لأن الرب إلهك أحبك» «وثلاث مرات خلاصى كما هو مكتوب» (مز ٢٥ : ١٨) «فدى بسلام نفسى من قتال على» (أش ٣٥ : ١٠) «ومفديو الرب يرجعون ..... (١ صم ١٤ : ٤٥) وقال الشعب لشاول أيموت يوناثان الذى صنع هذا الخلاص فى اسرائيل. وثلاث مرات سلام كما هو مكتوب (أش ٥٧ : ١٩) «خالقا ثمر الشفتين سلام سلام للبعيد (للقريب) قال الرب وسأشفيه» (١ أخ ١٢ : ١٨) «فحل الروح على عماساى رأس الثوالث فقال له نحن لك ياداود ومعك» نحن يا ابن يسى سلام لك وسلام لمساعديك لأن الرب إلهك معك» (١ صم ٢٥ : ٦) «وقولوا له حييت وأنت سالم وبيتك سالم وكل مالك سالم».

رابای أميمر ورابای مارسوترا ورابای آشى كانوا جالسين وقالوا هلا يقول وكل منا ما لم يسمعه رفقاؤه من قبل فبدأ واحد منهم وقال: إذا رأى شخص حلماً ولم يعرف ما حلم فليذهب وليضع نفسه أمام كهنة وقته عندما يمدون أيديهم (فى اعطاء البركة) وليقل ما يأتى: يا سيد العالم إنما أنا ملك لك وكل أحلامى لك لقد حلمت حلماً ولست أعرف ما هو ولست أعرف حلماً لنفسى أم حلم زملائى لى ولست أعرف أحلمت من أجل الآخرين فإن كانت أحلام خير فثبتها وتوجها كأحلام يوسف وإن كانت تحتاج للشفاء فإشفها كمياه مارة على يد موسى معلمنا ومريم من برصها وحزقيال من مرضه وكمياه أريحا على يد أليشع وكما حولت لعنة

بلعام الشرير إلى بركة، حول أحلامى للخير» وليختم كلامه مع الكاهن لكى يقول الناس آمين وإن لم يفعل ذلك أيها القوى فى الأعالى الذى يسكن القوة أنت السلام واسمك السلام لتسر أن تعطينا السلام.

وقال الثانى: إذا دخل أحد مدينة وخاف من العين الشريرة فليأخذ إبهام يمناه فى يسراه وإبهام يسراه فى يمناه ويقول أنا فلان بن فلان من نسل يوسف الذى ليس للعين الشريرة عليه سلطان كما هو مكتوب (تك ٤٩ : ٢٢) «يوسف غصن شجرة مثمر يتقلب على العين (هذه تدل على بئر)» راباى يوسى بن راباى حنانيا قال: من هذه (تك ٤٨ : ١٦) «من هذه خلصنى من كل شر وليكونوا كالأسماك التى تسكن البحار التى تغطيها فلا يكون لعين شريرة قوة عليها أما إذا كان خائفاً من عينه هو الشريرة فينظر إلى خياشيمه. إذا كان أحد مريضاً فلا يخبر بذلك فى اليوم الأول لئلا يصير حظه أسوأ ولكن بعد ذلك فليخبر وهكذا فعل رابا عنندما كان مريضاً لم يعرف أحداً بذلك فى اليوم الأول ولكن بعد ذلك فصاعداً قال لخادمه اذهب إلى الخارج وناد رابا مريض فمن يشفق عليه فليصل طالباً الشفقة وأما من يكرهنى فليفرح ومكتوب (أم ٢٤ : ١٧ - ١٨) «لا تفرح بسقوط عدوك ولا يبتهج قلبك إذا عثر لئلا يرى الرب فيسوء ذلك فى عينيه فيرد عنه غضبه. صموئيل عندما رأى حلماً شريراً قال (زكريا ١٠ : ٢) لأن الترافيم قد تكلموا بالباطل والعرافون رأوا الكذب وأخبروا بأحلام كذب، وعندما رأى حلماً حسناً وهل الأحلام حقيقة تخبرنا بالكذب لأنه مكتوب (عدد ١٢ : ٦) فى الحلم أكلمه فسأل رابا فى الحلم سأكلمه وكذلك مكتوب يخبرون بكلام كذب ليس فى هذا سؤال فالواحد بملاك والثانى بروح شرير.

راباى بسنا ابن سابدا قال راباى أكيبا قال راباى باندا قال راباى ناحوم قال راباى بديم قال باسم رجل مسن - ومن هو بيناه كان هناك أربعة وعشرون مفسراً للأحلام فى أورشليم ومرة حلمت حلماً وذهبت أمامهم كلهم وما فسره أحد ولم يفسره أخر ومع كل تحقق الجميع وذلك ليتم ما كتب كل الأحلام تتبع الفم ولكن هل كل الأحلام تتبع الفم قول كتابى هو كذلك كما قال راباى الآسار - لأن راباى الأسار قال أين قيل كل الأحلام تتبع الفم لأنه قيل (تك ٤١ : ٣) وحدث أنه كما فسر لنا كان ولكن رابا قال هذا لا يحدث إلا إذا فسر طبقاً لمحتويات الحلم كما هو

مكتوب (تك ٤١ : ١٢) عبر لكل واحد حسب حلمه (تك ٤٠ : ١٢) رأى رئيس الخبازين أنه عبر جيداً ومن أين علمها رابى الاسار قال هذا يعلمنا أن كل واحد رأى حلمه وتفسير حلم صاحبه.

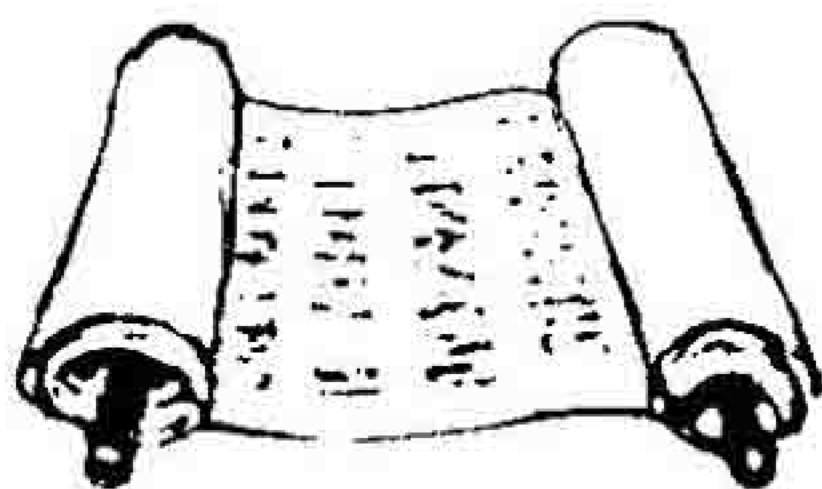
راباى يوحنان قال: إذا صحا أحد ووردت آية على فمه كان ذلك كنبوة صغيرة وراباى يوحنان قال ثلاثة أحلام تتحقق حلم الصباح وحلم حلمه صاحب للشخص وحلم فسر فى وسط حلم أو بواسطة حلم ويقول البعض وأيضاً حلم يتكرر كما قيل (تك ٤١ : ٣٢) ولذلك كان الحلم مزدوجاً الخ.. (ليس هكذا فى نص التوراة) راباى صموئيل بن باحمينى قال راباى يوناثان قال لا يرى شيئاً لإنسان إلا إنكار قلبه لأنه يقال (دا ٢ : ٢٩) أنت أيها الملك صعدت إلى عقلك على فراشك (ليست هكذا فى نص التوراه) ولو أردت لقلت من هذا (دا ٢ : ٣٠) ولكى تعلم أفكار قلبك ورابا قال لن يمكنك معرفتها لأن ما يأتى لم يحلم به إنسان شجرة نخيل من ذهب أو جمل يدخل من ثقب إبرة.

ابن مدجا كان مفسر أحلام وإذا أعطاه أحد مكافأة فسرها للخير وإذا لم يعطه أحد مكافأة فسرها للشر أباجى ورابا رأيا حلماً وأعطاه أباجى صوصا (عملة) ورابا لم يعطه شيئاً وقال له قرأنا فى الحلم (تث ٢٨ : ٣١) «ثورك يقتل أمام عينيك» (تث ٢٨ : ٣١) فلرابا قال تجارتك ستبور وسوف لاتشته أن تأكل من حزن قلبك والى أباجى قال تجارتك ستتسع وسوف لا تشته أن تأكل من فرح القلب وقالا له قرأنا (تث ٢٨ : ٤١) «سوف تلد بنين وبنات الخ».. لرابا قال سوف يؤخذون أسرى ولأباجى قال أبناؤك وبناتك سوف يتكاثرون ولذلك سيتزوج بناتك من خارج الأرض حتى أنهن يبدو لك قد سبين سبايا وقرأنا (تث ٢٨ : ٣٣) «بنوك وبناتك سوف يعطون لشعب آخر» إلى أباجى قال بنوك وبناتك سيكثرون وسوف تقول لأقاربك سوف تتزوجونهم ولكنها (زوجتك) سوف تقول لأقاربها وذلك يشبه أمة أخرى ولرابا قال ستموت زوجتك وبنوك وبناتك سيقعون تحت يد زوجة أخرى لأن لرابا قال راباى ارميا ابن آبار رات قال ما هو ذاك المكتوب أبناؤك وبناتك سوف أعطى لأمة أخرى تلك هى زوجة الأب وقرأنا فى أحلامنا (جا ٩ : ٧) «اذهب قلب خبزك بفرح» إلى أباجى قال أعمالك ستتسع وستأكل وستشرب وتقرأ الآية بفرح القلب ولرابا قال ستخسر وسوف تقتل وسوف لن تأكل أو تشرب وسوف تقرأ لتعزية نفسك.

وفى النهاية ذهب رابا وحده وقال له: رأيت وكأن الباب الداخلى للمنزل قد سقط فقال له: سوف تموت زوجتك فقال له رأيت أن ضروسى وأسنانى سقطت فقال له أولادك وبنوك سيموتون فقال له رأيت أن يمامتين طارتا فقال له سوف تتطلق زوجتين وقاله له رأيت رأسى كرنبتين فقال له سيصيبك لكمتان على اذنيك وذهب رابا إلى المدرسة فرأى أعميين يتقاتلان فذهب ليفصل بينهما ضرباه مرتين ورفعا يديهما مرة أخرى فقال كفا لم أر إلا اثنتين.

وفى النهاية رابا أتى وأعطاه مكافأة وقال له رأيت الحائط يسقط فقال له ستحصل على ممتلكات بلا نهاية قال له رأيت قصر أباجا يسقط وترابه يغطينى فقال له سيموت أباجى وكرسيه سيكون لك. وقال له رأيت قصرى يقع وكل العالم أتى وأخذ قالباً قالباً فقاله تعليمك سوف ينتشر فى كل العالم. وقال له رأيت رأسى شجت وبرز مخى قُرأت لهليل المصرى فى الأحلام وقال له أن عجائب ستتم لك، وذهب معه على سفينة فقال لرجل ستتم له معجزات ما نفع هذه وبينما هو يصعد سقط منه كتاب فأخذه رابا ورأى أن فيه قد كتب كل الأحلام تتبع الفم فقال له أيها الشرير إنما إعتمدمت عليك لقد أحببتنى كثيراً أسامحك فى كل شىء إلا ما قلته على ابنه راباى حسدا (كانت زوجته) ياليت الله يسلم هذا الرجل لأيدى الحكومة التى لا ترحمه وقال ماذا أفعل لأن لعنة الحكيم حتى لو كانت بلا سبب سوف تحدث فكم بالأولى ما فعلته مع رابا الذى حكم لى بالعدل وقال: سأهاجر لأن السيد قال : النفى يغفر الاثم. فقام وهاجر إلى الرومانيين فذهب وجلس على باب رئيس خزانة الملك فرأى ذلك حلماً حلمت أن ابرة دخلت فى اصبعى فقال له أعطنى سوسا فلم يعطه شيئاً فلم يقل له شيئاً فقال له أنى حلمت أن دودة سقطت على اصبعين لى فقال له أعطنى سوسا فلم يعطه شيئاً فلم يقل له شيئاً فقال له أنا رأيت دودة تسقط على كل يدى فقال له إن دودة ستأتى إلى كل الملابس (الملك) فسمعوا ذلك فى منزل الملك فأحضروا رئيس الخزانة ليقتلوه فقال له ولماذا أنا أحضروا من عرف ولم يقل فأتوا بان جوجا فقالوا بسبب سوسا تلفت ملابس الملك فربطوه فى شجرتين بحبل وربطوا قدماً من قدميه لواحدة والأخرى إلى الشجرة الأخرى وشدوا الحبل فشقت رأسه نصفين لأن كل فرع عاد وثبت فى مكانه وشق هو ووقع نصفين.

وهكذا تفسير الأحلام استمر في مجلدين ونصف وهاقد رأيت ثلاثة مقتبسات مثالية لعلها تكفى لأن تعطى أمثلة لما يجب أن نمر به مروراً سريعاً للجيد وللسفيه التافه الذى يكون االتلمود وهذا يبين ضرورة التمييز وكيف أن التلمود ككل إما أن يسفه الأعداد أو أن يحترم احتراماً بالغاً باختيار حكيم من مقطوعاته.



المحتويات

فصل ١ فلسطين من ثمانية عشر قرن

فصل ٢ - اليهود والأمميون فى الأرض

فصل ٣ - فى الجليل فى أيام سيدنا

ـ طريق القوافل العظيم ـ فاكهة الجليل ـ مدن وقرن وسكان الجليل ـ صناعاتها ـ الناصرة ـ المدن الشهيرة فى الجليل ـ آراء وأقوال المعلمين بشأنها ـ الفروق اللاهوتية بين الجليل واليهودية ـ مميزات الجليل ـ بحيرة الجليل.

فصل ٤ - السفر فى فلسطين. الطرق. الفنادق. الضيافة. ضباط الجمارك. الضرائب. العشارون

السفر فى فلسطين ـ الطرق العظمى ـ الطرق الثانوية ـ مصطلحات أخرى لها ـ الطرق الرومانية ـ اصلاح الطرق ـ العربات ـ القوافل ـ الضيافة ـ أقوال المعلمين بشأنها ـ قواعد المضيف والضيف ـ الحانات ـ البوليس السرى ـ جامعو الضرائب ـ المكوس والضرائب ـ الدخل الملكى ـ نظام الضرائب الرومانى ـ الاعتراضات الدينية الخاصة بها ـ العشارون ـ دعوة لاوى.

فصل ٥ - فى اليهودية

اليهودية وامتيازها على الجليل ـ المناظر ـ الأماكن التى يمر بها الحجاج ـ شيلوه ـ بيت إيل ـ الرامة ـ عمود راحيل ـ الشفيلاه ـ برية يهوذا ـ مسادا ـ أريحا ـ العربة ـ سلوك اليهود من ناحية اليهودية ـ انتظار المسيا ـ المسحاء الكذبة ـ شعور المعلمين بالموضوع ـ الموضوعات التى تجذب التفات المعلمين ـ امتيازات الحياة فى اليهودية ـ حدودها ـ قيصرية ـ أقسام اليهودية ـ سهل شارون ـ أنتيباتريس ـ لدة ـ شيفار ـ تاباى ـ يافا ـ عمواس ـ بيت لحم وعلاقتها بميلاد المسيح مجدل عدر ـ الرعاة يعلنون ميلاد المسيح ـ أورشليم ـ مشاعر المعلمين بإزائها ـ أسماء المدينة ـ مجامع أورشليم ـ كرم ضيافة سكانها ـ بيت عنيا وبين فاجى ـ صفات سكان أورشليم ـ مشاعر اليهود من قبل المدينة ـ كيف أُهلت بالسكان ـ الهيكل.

فصل ٦ - المنازل اليهودية

الفرق بين اليهود والأمم ـ المدن والقرى اليهودية ـ عدد المدن ـ الفرق بين القرى

والمدن والمدن الحصينة ـ القرى ـ مظهر المدن ـ البوابة ـ أماكن التجارة ـ اتحادات الحرف ـ صفات اليهود ـ مظهر مدينة ليلا ـ الشبابيك ـ مشاعر اليهود بصدد تمثيل الأشياء فى السماء والأرض ـ وجهات نظر راباى غمالائيل ـ حكم القرى والمدن ـ السنهدريم المحلى ـ التنظيمات الأمنية والصحية ـ أرصفة المدن ـ تركيب المنازل ـ الأسقف ـ طريق السقف ـ حجرات الغرباء ـ الطريق حول الرواق ـ العليّة ـ الرواق الداخلى ـ الأثاث ـ الحياة العائلية ـ الطقوس الدينية فى العائلة ـ الأعياد العائلية ـ السبت ـ مركز النساء ـ العلاقات بين أفراد العائلة ـ العقم ـ العلاقة بين الوالدين والأولاد ـ احترام السن ـ روح التقليد محطمة لروح احترام العائلة.

فصل ٧ - تربية الأطفال اليهود

اصطلاحات مراحل الطفولة الأولى ـ أطوار الحياة المختلفة طبقاً لراباى يهوذا ـ العمر الذى يبدأ فيه قراءة الكتاب المقدس ـ التربية متى تبدأ ـ تعليم الطفل من الحياة العائلية والطقوس ـ شعور الطفل فى الهيكل ـ الدور الذى يشارك فيه الأطفال فى عشاء الفصح ـ عناية التدريب الوالدى فى كتاب الأمثال ـ مركز الأم ـ ملكة مسا ـ آجور ـ لموئيل ـ أمهات العهد الجديد ـ نشأة تيموثاؤس ـ الاضطهاد الدينى وزمن قيام المكابيين ـ تأثير النساء التقيات ـ طفولة سيدنا ـ يسوع يجلس فى الهيكل بين الشيوخ.

فصل ٨ - مواضيع الدراسة. التعليم المنزلى فى إسرائيل. تعليم الإناث التعليم الأولى. المدرسون والتنظيمات المدرسية

تأثير الكتاب المقدس فى رفع مستوى الأخلاق العامة ـ تفوق الحياة العائلية اليهودية ـ معرفة شريعة الله ـ تعليم اللغات ـ تعليم التوراة أو الشريعة ـ أساطير خاصة بأهمية المعلمين ـ تأثير الاقتصار على تعليم الشريعة على التعليم ـ التعليم بالمنزل ـ طريقة تعليم القراءة ـ الكتابة ـ الكتبة ـ استخدام الحروف الأولى ـ تزوير التوقيعات والأوراق الرسمية ـ مواد الكتابة ـ تعليم البنات ـ المدارس الأولية ـ المدرسون ـ دراسة المشناة والكتاب المقدس ـ المدارس فى المجامع ـ العناية بأطفال الفقراء والأيتام.

فصل ٩ - الأمهات والبنات والزوجات في إسرائيل

مركز المرأة فى إسرائيل ـ النساء القديسات فى القديم ـ آراء المعلمين فى خلقة حواء ـ الأربع أمهات ـ نساء فاضلات : مريم، دبورة، زوجة منوح أم صموئيل، أبيجايل المرأة الحكيمة فى تكوع. خلدة ـ الشونمية، راعوث، أستير، مساواة النساء فى الحياة الاجتماعية ـ خدمة النساء ـ تعدد الزوجات ـ نظرة على الطلاق فى أيام ملاخى ـ العرائس ـ أربع أسباب للزواج ـ الصفات المرغوبة فى المرأة ـ أسباب المعلمين لخلقة حواء من جنب آدم ـ الزواج التزام دينى ـ السن التى يجب أن يتزوج فيها انسان ـ الهموم المالية ـ الزواج وكيف يعتبر ـ كتابات عن الزواج ـ عقود الزواج (أو كيتوباه) ـ الصداق المهرى ـ الشكليات القانونية فى الخطوبة ـ حفل الزواج ـ أيام الزواج ـ الأسبوع قبل الزواج فى قانا ـ الزواج يوضح الممارسات اليهودية ـ أعياد الزواج ـ أصدقاء العريس ـ أطفال حجرة العروس ـ لباس العروس ـ حجاب وتاج العروس ـ عوائق الزواج ـ الطلاق وأسبابه ـ الالتزامات الملقاة على الأزواج والزوجات ـ نساء العهد الجديد ـ نصوص يوم الميلاد.

فصل ١٠ - فى الموت وبعد الموت

موت رباى يوحنان بن سكاى وموت يهوذا القديس ـ تعاليم الانجيل عن الموت ـ تأثير حالة الوالدين الروحية على حالة الأولاد ـ المرض وكيف ننظر إليه ـ العقوبات ـ تنظيمات وأوامر المعلمين للصحة ـ الأطباء ـ الدواء وكيف يستعمل ـ طول الحياة ـ الموت المبكر ـ الموت دون ترك ابن ـ ٩٠٣ ميتة مختلفة ـ الموت بفم الله ـ الأشخاص الذين ليس لملاك الموت عليهم سلطان ـ علامات على زمن وطريقة الموت ـ زيارة المرضى ـ الدفن ـ جنازة الشاب فى نايين ـ الجنائز ـ التوابيت ـ قيامة يسوع ـ معاملة النادبات ـ الفرق بين الأونين الأونين onen والأفيل Avel ـ الحزن ـ الذكرى السنوية للأموات ـ تعاليم المعلمين عن الحالة فى المستقبل ـ الجنة والنار ـ الإثم ـ أمثال المعلمين التى تذكرنا بدعوى العرس ـ وجهات نظر تعليم المعلمين عن المطهر والجنة.

فصل ١١ - آراء اليهود عن التجارة والتجار واتحادات التجار

أقوال المشناه عن التجارة ـ آراء راباى نحوراى ـ تأثير البيئة اليهودية على تاريخ الانجيل ـ سيدنا وتلاميذه ـ احترام العمل كما فى رأى القديس بولس ـ احترام المعلمين للعمل الشريف ـ تفوق آراء اليهود فى الموضوع ـ الجمع بين الدراسة والعمل اليدوى ـ العمل فى رأى العهد القديم وفى الابوكريفا ـ حرف المعلمين ـ مبادئهم بخصوص التجارة ـ المشناة والعمل ـ الاختلاف والتشابه بين تعاليم المعلمين وتعاليم المسيح ـ تعاليم المعلمين عن شرف العمل ـ الحرف المحرمة فى المشناة ـ النساجون ـ العمال فى الهيكل ـ تقاليد عمال الاسكندرية ـ اتحادات صناعات الاسكندرية ـ اتحادات صناعات فلسطين ـ الأماكن المسماة بأسماء العمال ـ العمال الذين استخدمهم هيرودس الأكبر فى إعادة بناء الهيكل ـ حجاب قدس الأقداس ـ صعوبات أصحاب العمل اليهود مع عمالهم ـ اتحادات العمال.

فصل ١٢ - التجـارة

تغيير آراء المعلمين عن العمل اليدوى ـ آراء المعلمين بخصوص الخضوع للسلطات ـ آراء يهودية عن التجارة ـ اسرائيل ليست شعباً تجارياً ـ فلسطين غير مهيأة للمهن التجارية ـ التجارة فى أيام سليمان ويهوشافاط ـ دخل سليمان ـ الرد على الهجوم على الأسفار الخمسة ـ رأى المعلمين فى التجارة ـ الأشخاص غير الصالحين لأداء الشهادة ـ تفتيش الأوزان والمقاييس ـ الأثمان ـ النسبة المئوية ـ يهود الاسكندرية ـ مقالات عن التجارة ـ الواردات والصادرات ـ القوانين المنظمة للتجارة الداخلية والتجارة الخارجية ـ الصفقات ـ الصيارفة ـ قوانين ضد المعاملات غير الأمينة ثمن القمح ـ الربا ـ المدينون والدائنون ـ الرهن.

فصل ١٣ - بين الشعب ومع الفريسيين

الفريسيون ـ صلاة الفريسيين فى الشوارع ـ تعاليم المعلمين عن فاعلية الصلاة ـ

درجات الفريسيين الكاسيديم ـ أزياء ذلك الوقت ـ ملابس السيدات ـ الشعر كيف يصفف ويزين ـ الجواهر ـ أطراف الجلابيب ـ الأهداب ـ العصائب أو التيفيلين ـ أين ومتى تلبس ـ قيمة وأهمية العصائب فى نظر المعلمين ـ خرافات المعلمين الخاصة بالعصائب ـ إتهام المسيح للفريسيين ـ الخرافات الشائعة عن العصائب ـ وطنية ودين الفريسيين ـ تاريخ الأخوة ـ أقسامهم والتزاماتهم ـ الفريسيون بصفتهم ممثلين للتحمس والغيرة الدينية ـ تأثيرهم.

فصل ١٤ - أخوّة الفريسيين

نظام الفريسيين ـ شرح المؤامرة ضد القديس بولس ـ الحِلْ من الأُقْسام ـ تشابه الفريسيين مع الالترامونتانيرم (حلف مناصرة البابا) ومع اليسوعيين ـ النيفداليم فى أيام عزرا ونحميا ـ البيروشيم أو الفريسيين ـ تطبيق شروط الكسيديم والنيفداليم على الحياة المسيحية ـ سياسة نشر الروح الاغريقية على يد خلفاء الاسكندر ـ ثورة المكابيين ـ اتحاد الكلسيديم مع الفريسيين ـ مبادئ الكسيديم ـ أصل الفريسيين ـ تنظيمات الثيروما والعشور فى أيام يوحنا هيركانوس ـ التزامات الكابريم ـ درجات الفريسيين ـ الأقسام التى تربط الأخوة ـ احتقار المعلمين والصدوقيين للطائفة ـ عداء الفريسيين للانجيل.

فصل ١٥ - علاقة الفريسيين مع الصدوقيين والاسينيين ومع انجيل المسيح

انتصار الفريسيين على الصدوقيين ـ رئيس كهنة صدوقى فى عيد المظال ـ تعاليم الصدوقيين ـ أصل التسمية ـ الطبقات التى انتمى إليها الصدوقيون والفريسيون ـ الاسينيون ـ علاقة آرائهم بآراء زراستر ـ عدد الاسنيين ـ الطوائف التابعة للفرع السرى والمتطرف للفريسيين ـ ملابس ومظهر الاسينيين ـ طقوسهم الدينية ـ الأقسام والأنظمة المفروضة على الطائفة ـ طريقة قضائهم اليوم ـ الفرق والتشابه بين الاسينيين والمسيحية ـ الفروق الأساسية بين انجيل المسيح والفريسيين والصدوقيين والاسينيين.

فصل ١٦ - المجامع-أصلها-تركيبها-تنظيمها الخارجي

آراء راباى يوحنان عن الصلاة ـ الصلاة فى البيت وفى المجمع ـ التلمود البابلى عن التردد على المجمع ـ اشتقاق كلمة المجمع ـ الايدا والكحال ـ أصل وتاريخ المجمع ـ أصغر عدد يكون جماعة ـ موقع ومعمار هذه المبانى ـ مجمع كفرناحوم ـ (يو ٦ : ٢٦) ويفسره نقوش سجف باب مجمع كفرناحوم ـ أقدم مجمع قائم ـ طريقة الصلاة فى المجمع ـ قصة عن إيليا ـ راباى سعيره على الجرى إلى المجمع ـ الكنيسة فى المنزل ـ جامعو المال فى المجمع ـ قداسة المبنى ـ المنبر ـ فصل الجنسين فى المجمع ـ تنظيم داخل المجمع ـ أدراج الشريعة فى المجمع ـ المقاعد فى المجمع.

فصل ١٧ - العـــباده

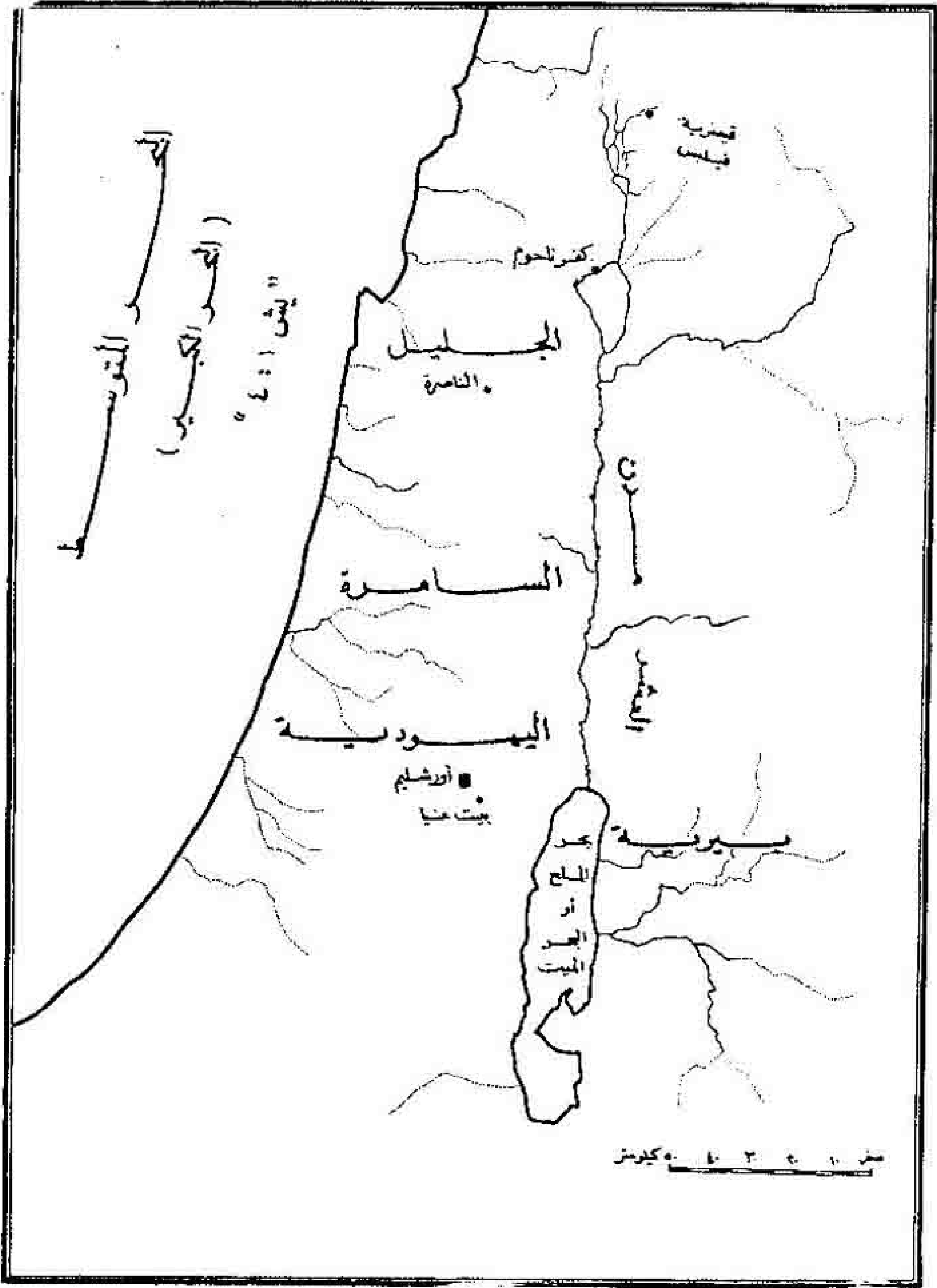
مجمع فى الهيكل ـ صالة الحجر المصقول ـ عبادة المجمع تسود على عبادة الهيكل ـ فرص هيأها المجمع لنشر الانجيل ـ صلوات المجمع ـ الشيما ـ البركات ـ الصلاة بعد الشيما ـ الثمانية عشر التمجيدات ـ المتقدمون للصلاة فى المجمع ـ بركات الكهنة ـ السلوك واللبس والمظهر فى الصلاة ـ كتاب القراءات ـــ عدد ومدة الخدمة ـ العظات ـ المسيح فى المجامع.

فصل ١٨ - ملخص للأدب اللاهوتي اليهودى القديم

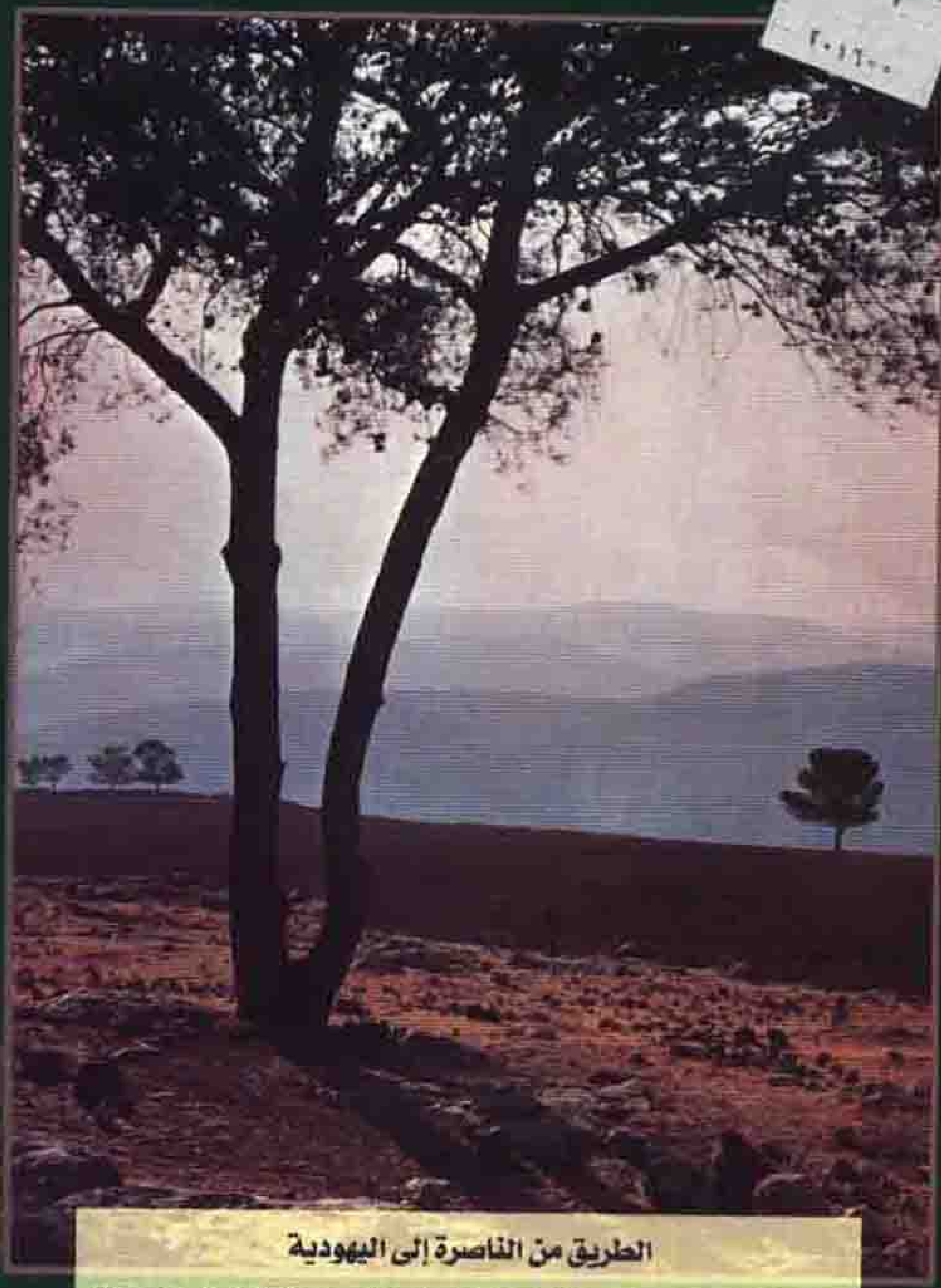
التعيينات فى المجمع ـ السنهدريم ـ رسم رجال السنهدريم ـ مؤهلاتهم ـ الخرانيم (الخادمون فى السيناجوج) ـ الشلياك زبور ـ جباى صدقه ـ الميتورجمان ـ كتاب أعياد اليوبيل ـ كتاب أعياد اليوبيل (التكوين الأصغر) والكتابات المحذوفة الكاذبة ـ تنظيماتها ـ الحلاقاه ـ الهجاداه ـ الأربع الكتب الرسمية والاثنان والثلاثون قاعدة بخصوص الهيجاداه مع الكتاب ـ القيمة العددية للحروف ـ المشناه ـ الجيمارا ـ تلمود أورشليم والتلمود البابلى ـ ترتيب المشناه ـ الكابالا ـ علاقة المسيح مع رجال عصره

ملحق ١ - تقاليد رسالة المشناه الميدوث.

ملحق ٢ - تقاليد مختارات من التلمود البابلى رسالة البيراكوث.



فلسطين في أيام السيد المسيح



الطريق من الناصرة إلى اليهودية

وفى هذا الطريق غير الممهد سار يوسف البار والعذراء مريم الفتاة الصغيرة (لو ٢ : ٤)